النِّزَاع وَالتَّخَاصُم

فِيمَا بَيْن

بَنِي أُمَيَّة وَبَنِي هَاشِم

المقريزى ، احمد بن على بن عبدالقادر ، 1365 – 1441 .
كتاب النزاع والتخاصم فيما بين بنى أمية وبنى هاشم / تأليف تقى الدين المقريزى؛
حققه وعلق حواشيه دكتور حسين مؤنس .– ط 1 .–
القاهرة : دار الرشاد للنشر والتوزيع ، 2018.
168 ص ؛ 17 × 24 سم .
تدمك : 978-977-364-156-6
1 – التاريخ الاسلامى
2 – العالم العربى – تاريخ
أ – مؤنس ، حسين ، 1911-1996 (محقق ومعلق)
ب – العنوان 953

النـــاشر : دار الرشاد
العنـــوان : 14 ش جواد حسنى – عابدين – القاهرة
تليفاكس : 23934605 – 02 / 01282919332
الايميـــل : Dar_alrashad@hotmail.com
المكتبـــة : اول عبدالله العربى – الحى السابع – مدينة نصر – القاهرة
الهـــاتف : 23789075
رقم الايداع : 13153 / 2018
جميع حقوق الطبع والنشر محفوظة
الطبعة الاولى : 1440 هـ – 2019 م
الغلاف للفنان : عباده الزهيرى
مراجعـــــــة : محمد دياب

النِّزَاع وَالتَّخَاصُم
فِيمَا بَيْن
بَنِي أُميَّة وَبَنِي هَاشِم

تأليف
تَقِيّ الدِّين المَقْرِيزِيّ

حَقَّقَه وعلَّق حواشيه
دكتور حسين مؤنس

دار الرشاد

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة التحقيق

بسم الله والحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله ..

سبقني إلى تتبُّع مراحل حياة تقيِّ الدين أحمد بن عليٍّ المقريزيّ (766 - 845هـ/ 1364 - 1442 م) أستاذي الدكتور محمد مصطفى زيادة - طيَّب الله ثراه - في مقدمته لتحقيق الأجزاء الأولى من كتاب (السلوك لمعرفة دول الملوك) ، ثم تلاه أخي الأستاذ الدكتور جمال الدين الشيَّال - عليه رحمة من الله ورضوان - في مقدمة تحقيقه الثاني لكتاب (اتعاظ الحُنفا بأخبار الأئمة الفاطميين الخُلَفا) (القاهرة 1967م) وسبقهما إلى ذلك كارل بروكلمان في تاريخه المعروف للأدب العربي .

ثم أضاف المستشرق الإنجليزي كليفورد إدموند بوزورث ملاحظات قيِّمة على حياة المقريزيّ ومذهبه في التاريخ ، وموقفه من نزاع بني أميَّة وبني هاشم ، وذلك في مقدمة الترجمة الإنجليزية القيِّمة لكتاب (النزاع والتخاصم) الذي أُقدِّم لنصه المحقَّق بهذه السطور .

وقد نشر بوزورث هذه الترجمة بعنوان :

Clifford Edmund Bosworth : Al.Maqrizi`s Book of the Contention and strife Concerning the Relations between the Bany Umayya and the Bany Hashim. Journal of Semetric Studies , Monagraph no 3 University of Manchester, 1980 .

وقد تعاون أولئك الأساتذة الأجلَّاء على بيان فضائل المقريزيّ وخصائصه ومكانته بين مؤرخي الإسلام ، فلم يبقَ لي في الحقيقة فضل أضيفه إلى ما كتبوا عن ذلك الرجل المجيد الذي وهب عمره كله لعلم التاريخ ، فألَّف فيه الكتب الكبار والصغار والرسائل والبحوث ، وأضاف إلى المكتبة العربية بجهده المبارك ثروة طائلة من العلم والمعرفة .

وقد كان كتاب المقريزيّ عن النزاع بين بني أمية وبني هاشم موضع عناية واهتمام كثيرين من أهل التاريخ منذ ألّفه صاحبه إلى اليوم في الشرق والغرب على السواء ، فكثر استنساخ الناس إياه في الماضي ووصلتنا منه نسخ عديدة ، وكان أول من نشره محقّقاً تحقيقاً علميًّا وقدّم له وترجمه إلى الألمانية المستشرق جِرهاد فوس :

Gerhadrdus Vos: Die Kaempfe und Streitigkeiten Zwischen die Bany Umayya und die Bany Hashim . Leiden, 1888.

وقد اعتمد فوس في تحقيقه على مخطوطة ممتازة لتقيّ الدين المقريزيّ ، كتب معظمها بيده ، وراجعها أدق مراجعة في (شوال 841 هـ/ مارس - أبريل 1438م) أي : قبل موته بأربع سنوات ، وما زالت هذه المخطوطة القيّمة محفوظة في مكتبة لايدن في هولندا .

وكذلك سبق إلى نشر هذا النص الأستاذ محمود عرنوس ، وقد نشر النص دون تحقيق يذكر في مكتبة الأهرام بالقاهرة (بدون تاريخ) ، وألحق الناشر بالنص رسالة أبي عثمان عمرو بن بحر الجاحظ في النابتة ، وهي رسالة قيّمة فيها كلام كثير حول موضوع « النزاع بين بني أمية وبني هاشم » نشرها المحقّق المدقّق المتقن الأستاذ عبد السلام هارون فيما نشر من نوادر المخطوطات .

وقد كان نشر هذا النص القيّم من آمالي منذ زمن طويل ، لأنه - بالإضافة إلى كتاب صغير آخر من مكتبة المقريزيّ - هو « إغاثة الأُمَّة بكشف الغُمَّة » يعتبر من الدلائل القليلة على تأثر المقريزيّ بأستاذه شيخ المؤرخين عبد الرحمن بن خلدون ومذهبه في النظر التحليلي المتفلسف للتاريخ .

وإذا كان المقريزيّ قد درس في (النزاع والتخاصم) موضوعاً مهمًّا ، ظل يشغل أذهان المسلمين جيلاً بعد جيل إلى يومنا هذا ، هو موضوع الخصومة بين

بني هاشم وبني أمية - وهي الخصومة التي أدت في النهاية إلى استئثار بني أمية بالخلافة وخروجهم بها عن نِصَابِها وسَمْتِها الذي عرفه المسلمون أيام الراشدين - ، فقد درس المقريزيّ في كتابه الثاني - وهو « إغاثة الأمة » - موضوع أسباب الأزمات المالية والغَلَوات - أي : ارتفاعات الأسعار - والمجاعات في تاريخ مصر الإسلامية ، أي أنه أنشأ في صورة مختصرة - ما يمكن أن يُسمَّى بتاريخ اقتصادي لمصر ، وهذه محاولة مشكورة للخروج بالتاريخ من مجرد سرد الحوادث إلى استقرائها والاستنتاج منها واستخراج الأحكام من سياقها .

وليس بغريب أن ينفق المقريزيّ ذلك الجهد العظيم في دراسة موضوع التخاصم بين بني أمية وبني هاشم ، فإن الموضوع ظل من موضوعات السياسة الحية التي لا يملُّ المسلمون قَطُّ الحديث فيها حتى أصبحت بالنسبة لكل عصر وكأنها مشكلة سياسية راهنة ، وإلى حين قريب جدًّا كان الناس عندنا لا يملُّون الكلام في مجالسهم عما وقع بين عليٍّ ومعاوية ، وبعضهم كان يأخذ الأمر مأخذ الجد الصارم فَيَسْحَنْفِر في الكلام فيه وكأنه يناقش مشكلة من مشكلات الساعة . وقد استوقفت هذه الظاهرة مستشرقاً ألمانيًا هو فلهلم إنْدِه ودفعته إلى اتخاذها موضوعاً لرسالته للدكتوراه ، وعنوان رسالته « الأمة العربية والتاريخ الإسلامي - الأمويون في رأي المؤلفين العرب من أهل القرن العشرين » :

Wilhelm Ende : Arabische Nation und islamische Geschichte . Die Umayyeden in Urteil arabische Autoren des 20 Jahrhunderts . Beirut , Wiesbaden , 1977 .

وقد درس المؤلف في ذلك الكتاب كيف أن مشكلة النزاع بين فَرْعَيْ عبد مناف بن قُصَيّ ظلت تثير حماس أهل الفكر في العالم العربي حتى أيام محمد عبده ورشيد رضا وأضرابهما ، ولكن القارئ سيتبين عندما يقرأ نص « النزاع والتخاصم » أن المقريزيّ وضع السؤال ولم يجب عنه ، فقد كان دافعه إلى تأليف

كتابه - كما قال في مدخله - أن يتعرف على السبب في وصول بني أمية إلى الخلافة مع أنهم كانوا أبعد الناس عن استحقاقها ، ولكنه عندما عالج الموضوع لم يضع يده على السبب ، وإنما أنفق الكتاب كله في ذكر مثالب بني أمية وما أوقعوه ببني هاشم من المقَاتل والمذابح ، واستطرد فذكر ما أصاب آل عليٍّ على أيدي بني العبَّاس . وقد كان المقريزيّ يستطيع أن يسلك مسلكاً آخر إذا أراد حقيقةً أن يعرف السبب في وصول بني أمية إلى الخلافة ، وهو أن يعود بالموضوع إلى الجاهلية ويتتبَّع سَيْرَ تاريخ قريش قبل الإسلام ويتأمل ما يقرأ تأمُّلًا طويلاً لكي يصل إلى جواب السؤال الذي شغل خاطره ، ولو أنه فعل ذلك لتبيَّن حقائق كثيرة كانت ستجعل دراسته أكثر عمقاً وأصالة ؛ فإن النزاع والتخاصم بين بني أمية وبني هاشم لا يرجع كله إلى ما قبل الإسلام ، وهو لم يبدأ قطعاً قبل مولدهما ، كما يزعم الرواة من أن هاشمًا وعبد شمس وُلِدَا توءمين وإصبع أحدهما ملتصقة بجبهة الآخر ، وكان لابد من فصل أحدهما عن الآخر بالسيفِ ، فكان ذلك أول دم سال بينهما ، فهذا حديث قُصَّاص لأن الثابت تاريخيًا أن عبد شمس كان طوال حياته حليفًا ومُعينًا لأخيه هاشم ، فعندما خرج هاشم لأخذ العِصَم - أي : جوازات المرور - من ملوك الشام (الروم وغسَّان) ؛ لكي تستطيع متاجر قريش دخول بلادهم دون مشقة ، اشترك معه أخوه عبد شمس .

قال الطبري : « فكانوا أول مَنْ أخذ لقريش العِصَم ، فانتشروا من الحرم : أخذ لهم هاشم حَبْلًا (عهدًا) من ملوك الشام (الروم وغسَّان) ، وأخذ لهم عبد شمس حبلًا من النجاشيّ الأكبر ، فاختلفوا بذلك السبيل إلى أرض الحبشة »[1] ... « وأكمل أخواهما نوفل والمُطَّلِب العمل فأخذا عهدين من الأكاسرة وملوك حِمْيَر ، فجبَّر الله بهم قريشًا فَسُمُّوا المُجبِّرين .. بل كان الإخوة الأربعة حِلْفًا على مَنْ عداهم»[2].

وقال ابن سعد : « إن هاشمًا وعبد شمس ونوفلًا بني عبد منافٍ أجمعوا على

---

1 ، 2 - الطبري ، تاريخ ، جـ 2 ص 252.

أن يأخذوا ما بأيدي بني عبد الدار بن قُصَيّ ، مما كان قُصَيّ جعل إلى عبد الدار (وهو عمهم) فرفضت بنو عبد الدار ذلك ، وانضم إلى هاشم وإخوته بنو أسد بن عبد العُزَّى وبنو زُهرة بن كلاب وبنو تَيْم بن مُرَّة وبنو الحارث بن فِهْر » ، وهؤلاء هم أصحاب حِلْف المُطَيَّبين . وفي مواجهتهم قام حِلْف الأحلاف من بني عبد الدار وبني مخزوم وسهم وجُمَح وعَدِيّ بن كعب ، ووقف بنو عامر بن لؤيّ ومحارب ابن فهر على الحياد [1] . وهؤلاء الأخيرون يدخلون في قريش الظواهر .

فالعداوة بين بني هاشم وبني عبد شمس لم تكن قديمة ولا دموية منذ ميلادهما، بل هي نشأت بعد ذلك لأسباب قبلية وأخرى سياسية ، بل إننا نجد رجال بني عبد شمس في جملة المعتدلين في عداوة محمد ﷺ والإسلام ، وكان رأي عتبة ابن ربيعة بن عبد شمس وأخيه شَيْبة أن تُخَلِّيَ قريش بين محمد والعرب ، فإذا انتصر عليهم كان عِزُّه عِزَّهم ، وإذا انتصروا عليه كان ذلك خلاصًا لهم دون كبير مئونة ، وعندما كانت قريش تستعد للخروج لمعركة بدر ، كان من أبطئهم في ذلك الحارث بن عامر وأمية بن خلف وعتبة وشيبة ابنا ربيعة (بن عبد شمس) وحكيم ابن حزام وأبو البختري ، وعلي بن أمية بن خلف والعاص بن مُنبِّه حتى بَكَّتهم أبو جهل بالجُبن ، وأعانه على ذلك عُقْبَة بن أبي مُعَيط والنضر بن الحارث بن كَلَدَة وتحمَّسوا للخروج ، فقالوا : هذا فعل النساء ! فأجمعوا المسير . وقالت قريش : لا تدعوا أحدًا من عدوكم خلفكم»[2].

وسياق حديث الواقدي يدل على أن عتبة وشيبة ابني ربيعة بن عبد شمس ، كانا كارهين للمسير لقتال المسلمين فعلًا ، وما عرض رجلٌ منهم حُمْلانًا - أي : دوابَّ للركوب والحمل - على أحد من الخارجين لقتال الإسلام ولا حملوا أحدًا من الناس ، وإن كان الرجل ليأتيهم حليفًا أو عديدًا ولا قوة له ، فيطلب الحُملان منهم فيقولون : إن كان لك مال فأحببت أن تخرج فافعلْ ، وإلا فأقمْ ، حتى كانت قريش

1- الواقدي : مغازي 1 / 37 .

2- انظر خبر ابن سعد برمته عند النويري ، نهاية الأرب : 34/16.

تعرف ذلك منهم [1] . فأين - إذن - هذه العداوة القديمة التي يتحدثون عنها ؟!

أما ما كان من تطاول أمية بن عبد شمس على عمه هاشم وتحدِّيه إياه ، ثم ما كان بينهما من المفاخر التي حكم فيها الكاهن الخُزاعيّ حُكْماً جائرًا على شاب في مثل سن أمية بن عبد شمس إذ ذاك فيغلب أنه حديث قُصَّاص ، والأغلب أن أصله عند الخُزاعِيِّين الذين دخلوا في حِلْف رسول الله ﷺ بعد الإسلام ، ثم أرجع رواتهم الحِلْف إلى الوراء فزعموا أنهم كانوا أحلاف عبد المطلب في الجاهلية ، بل رجعوا به إلى أيام هاشم [2] . بل إن أبا سفيان بن حرب لم يكن ألدَّ أعداء الإسلام من قريش ، وكان في أمره كله معتدلًا في موقفه من محمد ﷺ وأمة الإسلام بعد الهجرة ، وخاصة بعد هزيمة الأحزاب أيام الخندق ، فإن الرجل اقتنع بأن لا قِبَلَ لقريش بمحمد والإسلام ؛ ولهذا لا نجد له أثرًا في مفاوضات الحُدَيْبِية ، ولكنه يعود إلى الظهور قُبيل فتح مكة ، فيكون سفير قريش إلى رسول الله ﷺ بتجديد عهد الحديبية بعد انقطاعه - ولم يكن لأبي سفيان يد في ذلك الانقطاع - ، وعندما لم يوفَّق في تجديد العهد ورأى العزيمة من رسول الله على دخول مكة ؛ قام بناء على نصيحة من عليٍّ بن أبي طالب بالإجارة لنفسه بين الناس . ورسول الله لم يرفض هذه الإجارة ، وإن لم يقرَّها ؛ فأصبحت سارية تشمله وتشمل قريشاً ومكة - إذا وقف القرشيون من جيش الإسلام موقف المستجير المسالم - . وعندما عاد أبو سفيان إلى مكة خائب المسعى - في ظن القرشيين - كان قد كسب لقريش أفضل مما كانت تطلب من مدِّ المدة ، أي : تجديد العهد . وهو أن مكة في الحقيقة والواقع أصبحت في جوار أمة الإسلام، وتَمهَّدَ الطريق ليدخلها المسلمون سلماً بغير قتال ؛ وكان هذا ما يريده الرسول فعلًا ؛ ولهذا - وعلى طريقته من الحكمةِ البالغة - كافأ أبا سفيان على صنيعه بأن

1- الواقدي : مغازي 37/1.

2- انظر الطبري : 250/2. وانظر الخبر عن ابن سعد برواية النويري: 34/16.

جعل له كرامة ظاهرية ، وهي قوله : « ومَنْ دخلَ دارَ أبي سفيان فهو آمِنٌ » . وكان في هذا إرضاءٌ كافٍ لكرامة أبي سفيان وتقديرٌ من رسول الله ﷺ لجهده .

إذن : فلم تكن هذه العداوة بين بني هاشم وبني عبد شمس قائمة قبل الإسلام بالشكل الحادِّ الذي يصوره لنا المؤرخون ، فلم يكن هاشم منذ الميلاد عدوًّا لأخيه عبد شمس ، ولا كان بنو عبد شمس جميعًا ألدَّ أعداء الإسلام طوال حياة رسول الله ﷺ ، بل كان العبَّاس بن عبد المطلب صاحبًا ونديمًا لأبي سفيان صخر بن حرب . وإنما نحن نجد بدايات لكراهية بني أمية لعليٍّ بن أبي طالب بالذات أثناء موقعة بدر وبعدها ، بسبب مَنْ قتل وجرح منهم في ذلك اليوم ؛ فقد قتل وحده أربعة من بني عبد شمس هم : حنظلة بن أبي سفيان والعاص بن سعيد والوليد بن عتبة بن ربيعة وعامر بن عبد الله حليف بني عبد شمس ، واشترك في قتل خامس هو شيبة بن عبد شمس ، أي أن عليًّا كان أكبر مَنْ هَدَّ بنيان بيت بني عبد شمس في ذلك اليوم ، ونستطيع أن نتصور حقدهم عليه إذا ذكرنا ما فعلوه (في موقعة أُحد) بعمِّه وَصِنْوِهِ في حسن البلاء في ذلك اليوم (يوم موقعة بدر) وهو حمزة بن عبد المطلب .

على أننا لا نستطيع أن نرد أمثال هذه العداوات الضخمة إلى مسائل ثارات وعاطفيات فحسب ، خاصة وأن الإسلام جَبَّ ما قبله ، ودخل به الناس في عصر جديد . وهذا العصر بالذات كان سبب الخصومة الأكبر ، لا بين عليِّ بن أبي طالب وبني عبد شمس فحسب ، بل بين رجال كل البيوت القرشية الكبيرة بعضها وبعض . لقد دخل هذا العصر على العرب بالإسلام ، ولكنه دخل بالخلافة أيضًا ، والخلافة في منتصف سنوات عثمان بن عفان تَبدَّلَ تركيبها ونسيجها تَبَدُّلًا حاسمًا، فقد كانت إمامة ورياسة شورية أيام أبي بكر وعمر ، ولكنها أصبحت سلطانًا دنيويًّا ماديًّا في منتصف أيام عثمان ، فقد انتهز بنو أميَّة الفرصة وتولَّوا الولايات الكبرى في ظل عثمان، وخاصة في بلاد الشام ، فقد حوَّلوها إلى إقطاعية عبشمية ، وعندما

سخطت الأمة على عثمان وأرادت عزله استمسك بها استمساكًا بالغًا وقال عبارات مثل: لا أخلع قميصًا قَمَّصَنِيه الله ! ولا أخلع سِرْبالًا سَرْبَلَنِيه الله !. أي أنه صار خليفة بإرادة الله ولا حَقَّ لأحد في إخراجه منها أبدًا ..

وتشعر في أثناء النزاع بين عثمان ومخالفيه بأن قومه بني أميَّة كانوا من خلفه ، وعندما قُتل وقام بالأمر عليُّ بن أبي طالب لم يكونوا مستعدين للتخلِّي عما بلغوه من القوة والجاه والمال منذ أيام عمر . وعندما أصرَّ عليُّ بن أبي طالب على عزلهم بدأت المعركة فعلًا وبدأت معها الخصومة الحقيقية التي تحولت نتيجة لذلك إلى خصومة سياسية صِرْفَة ونزاع على سلطان ومال وجاه. ومثل هذا الصراع يفتح الباب لكل خصومة وعداوة . والمبادئ والإخلاصات تهون ، والدماء أيضاً ، بدليل أن بني هاشم أنفسهم عندما أتيحت الفرصة لفرع منهم للاستيلاء على الخلافة انقلبوا على أبناء عمومتهم آل عليٍّ ، وأنزلوا بهم من المذابح والويلات ما زاد على ما فعل معهم بنو أمية .

وهذه الحقيقة تجيب عن السؤال الذي وضعه المقريزيّ ثم لم يجب عنه وهو : كيف وصل بنو أمية إلى الخلافة وهم كانوا - في رأيه - أقل القوم استحقاقًا لها ؟ الجواب : أن الخلافة ما دامت قد أصبحت سياسة وقوة ومالاً وجاهًا ، فإن الذي يفوز بها هو الأمهر في شئون الدنيا والسياسة والقوة والمال ، ولا ينتصر فيها قَطُّ الأتقى أو الأقوم خُلُقًا أو الأشد تمسكًا بالدين ؛ لهذا فاز بالخلافة أولًا بنو أمية ثم بنو العبَّاس ، وعندما يتعلم بعضُ آلِ عليٍّ أسرارَ السياسة وأساليبَ الوصول إلى الجاه والسلطان سيفوزون بها أيضًا .

***

وقد اعتمدنا في تحقيق النص على المخطوطات التالية :

المخطوطة الأولى: رقم 2855 (تاريخ) في دار الكتب المصرية ، وهي

حديثة النسخ كتبت سنة 1332هـ/ 1914م، وهي منقولة عن نسخة أخرى نُسخت عام 1131 هـ كتبها السيد محمد الشبلاوي ، وهي الأصل الذي اعتمد عليه الأستاذ محمود عرنوس في تحقيق نص «النزاع والتخاصم» الذي أشرنا إليه آنفًا ، ورمزنا لها بحرف [ك] .

المخطوطة الثانية : رقم 1949 (تاريخ طلعت) بدار الكتب المصرية ، وهي بخط قديم ، منقولة عن المخطوطة السابقة ، ورمزنا لها بحرف [ب] .

المخطوطة الثالثة: رقم 1794 (تاريخ تيمور) بدار الكتب المصرية ، وهي مكتوبة بخط حديث، وفيها شطب وأخطاء من الناسخ ، وهي منقولة في الغالب عن المخطوطة الأولى ، وقد رمزنا لها بحرف [ت] .

المخطوطة الرابعة : رقم 6/26247 ، وهي ضمن مجموعة مخطوطات المقريزيّ التي صُوِّرت من المكتبة الوليدية بالآستانة ، وهي مكتوبة بخط قديم جدًّا ، ومنقولة عن نسخة بخط المؤلف موجودة في المكتبة الوليدية في إستانبول أيضًا ، وقد اتخذناها أساسًا لتحقيقنا ، ورمزنا لها بحرف [و] .

وعلى هذا تكون رموز المخطوطات الواردة في هوامش التحقيق كما يلي :

المخطوطة الأولى [ك] .

المخطوطة الثانية [ب] .

المخطوطة الثالثة [ت] .

المخطوطة الرابعة [و] وهي التي اعتبرناها أساسًا للتحقيق .

وقد استعنا كذلك بصورة لمخطوطة لايدن التي نشرها جِرهارد فوس ، وأفدنا فائدة كبيرة من تعليقات الأستاذ كليفورد بوزورث الكثيرة التي أضافها إلى ترجمته الإنجليزية لنص «النزاع والتخاصم» ، وحقيقٌ بنا هنا أن نشيد بعمله ونقدِّر فضله .

ولابد قبل ختام هذا التقديم من أن نقول : إن صلب كتاب المقريزيّ نفسه بيان حزين بما أصاب آل بيت النبي ﷺ من بني أميَّة أولًا ثم من أبناء عمومتهم بني العبَّاس .

وهذا البيان يضم الكثير من حقائق الصراع الدموي حول الخلافة ، ويرينا كيف أن كل وسيلة أصبحت في نظر أصحابها مشروعة ومقبولة ما دامت تعينهم على الوصول إلى الخلافة أو البقاء فيها .

فالقرابة مثلًا - وهي مفهوم واضح يراد به القرابة من رسول الله ﷺ - أصبح لها عند بني أميَّة ودعاتهم معنى جديد ، وهو القرابة من حرم الله وبيته ، وإذا كان لابد أن يكون المراد بها قرابة النسب ، فإن بني أميَّة هم آل عثمان ذي النورين وصِهْر الرسول مرتين ؛ فهم أقرب إلى رسول الله ﷺ من عليِّ بن أبي طالب ؛ لأنه لم يُصْهِرْ إليه إلا مرة واحدة !

والسابقة في الإسلام أصبح محورها عند بني أميَّة عثمان بن عفان ، فهو من السابقين الأولين ، وبنو أميَّة قومه ، فهم أهل سابقة - على ذلك القول - .

وخلال العصر العباسي يتسع معنى أهل البيت ليشمل بني العبَّاس ويجعلهم أحق بالخلافة من آل عليِّ بن أبي طالب ، فهم أقرب أهل بيت رسول الله إليه؛ لأن العبَّاس كان صاحب السِّدانة وأقرَّه الرسول ﷺ على السِّقاية ، وهم أَوْلَى آل البيت بالميراث لأنهم أولاد عم الرسول صلى الله عليه وسلم ، في حين أن آل عليٍّ أولاد ابن عمه .

ويستحدث رجال بني العبَّاس لقبًا جديدًا يُشرِّفون به أولياءهم ، وهو أنهم أهل الكساء ، أي : كساء الكعبة أو كسوتها ، وقد اهتم العباسيون من أيام المهديّ بتلك الكسوة اهتمامًا بالغًا.

والمقريزيّ لا يرضى عن هذه المذاهب كلها ويعتبرها زيوفًا ؛ ولهذا فهو بعد أن يحمل على بني أميَّة يحمل حملة أشدَّ منها على بني العبَّاس .

ولم يكن كتاب «النزاع والتخاصم» هو الرسالة الوحيدة التي كتبها المقريزيّ في هذا المعنى ، بل إن له رسالتين أُخريين هما :

- كتاب في ذكر ما ورد في بني أميَّة وبني العبَّاس . وهو مخطوط في مكتبة ڤيينا رقم 345 (مخطوطات عربية) وقد نشر بوزورث نص هذه الرسالة في كتاب ذكرى المهديّ، تحقيق د / إحسان عباس ، بيروت 1980 م .
- كتاب معرفة ما يجب لأهل البيت النبوي من الحق على مَنْ عداهم . وقد نشر هذا الكتاب محمد أحمد عاشور في بيروت (1393هـ / 1973م) .

***

ومخطوطات كتاب «النزاع والتخاصم» كثيرة نظرًا لطرافة موضوعه بالنسبة لأهل العصور الماضية ، وقد أورد بروكلمان معظمها في تاريخ الأدب العربي (جـ 1 ص47 وما يليها ، جـ 2 ص 38 ، والملحق جـ 1 / 305 ، جـ2 / 36). ولكن أحسن تلك المخطوطات هي مخطوطة لايدن رقم 1888 ومعظمها بخط المقريزيّ نفسه ، وقد راجع النص كله وأصلحه بقلمه في (شوال 841 هـ / مارس - أبريل 1438م)، وقد اعتمد على هذه المخطوطة الجيدة جِرهارد فوس في تحقيقه وترجمته اللتين أشرنا إليهما ، وقد رجعنا في هذا التحقيق على مصوَّر لطبعة فوس وترجمته الألمانية ، ونعتقد أيضًا أن هذه المخطوطة هي التي رجع إليها بوزورث ، وتلي مخطوطة لايدن في الجودة مخطوطتا ڤيينا وإستراسبورج وبعض مخطوطات دار الكتب في مصر .

***

ونختم هذه المقدمة فنورد فيما يلي الخطوط الرئيسية لحياة تقيِّ الدين المقريزيّ : اسمه الكامل: تقيُّ الدين أحمد بن علي بن محمد الحسينيّ ، تقيّ الدين ، ولد في حارة برجوان في حيّ الجمَّالية في القاهرة سنة (766 هـ / 1364م).

وتولَّى تربيته وتعليمه جَدُّه لأمه (ابن الصائغ) ، وأراد له أن يكون حَنَفِيَّ المذهب، وقد ظل المقريزيُّ حنفيًا حتى توفي أبوه سنة (786هـ / 1384م) فتحول إلى المذهب الشافعيّ وكانت سِنُّه إذ ذاك عشرين سنة . ويذهب بروكلمان – دون أن يذكر السِّنَّ – إلى أن المقريزيَّ مال إلى المذهب الظاهريِّ . ودرس المقريزيُّ بعد ذلك دراسة واسعة في الفقه واللغة والتاريخ ، ويقول السخاويُّ في (التبر المسبوك في ذيل السلوك) (جـ 2 ص 22) إنه طاف على الشيوخ ، ولقي الكبار وجالس الأئمة وأخذ عنهم ، وكان من بين مَنْ درس عليهم عبد الرحمن بن خلدون ، وكان المقريزيُّ من خيرة تلاميذه وأكثر المعجبين به – على ما قلناه – . ودخل المقريزيُّ وظائف الدولة ، فعمل موقِّعًا بديوان الإنشاء ، وكان بعد ذلك نائبًا من نواب الحكم عن قاضي القضاة الشافعيّ ، ثم خطيبًا بجامع عمرو بن العاص ثم مدرِّسًا بمدرسة السلطان حسن ، ثم أصبح إمامًا بجامع الحاكم بأمر الله ، ثم مدرِّسًا للحديث بالمدرسة المؤيدية .

وفي سنة (791 هـ / 1389م) اختاره السلطان برقوق محتسبًا للقاهرة والوجه البحريّ ، ثم سافر إلى دمشق في صحبة السلطان فرج بن برقوق ، وكسب صداقة واحد من كبار الأمراء هو « بشتك الداوديّ » ونالته منه دنيا عريضة كما يقول السخاويُّ ، وتولَّى النظر على أوقاف القلانسيّ والبيمارستان الغوريّ بمدينة دمشق. وقضى في دمشق عشر سنوات ودرَّس في أثنائها في المدرستين الأشرفية والأقبلية ، ثم عاد إلى القاهرة وترك الوظائف وانقطع للتأليف . وفي سنة (834هـ / 1380م) رحل إلى الحجاز بأسرته حاجًّا ، وجاور هناك نحو خمس سنوات

اشتغل في أثنائها بالتدريس والتأليف ، ثم عاد إلى مصر حيث لزم داره يؤلف الكتب والرسائل حتى توفي في حارة برجوان (يوم الخميس 11 من رمضان سنة 845 هـ) ودفن قبل صلاة الجمعة من اليوم التالي بحوش الصوفية البيبرسية بعد عمر حافل بالتدريس والتأليف .

ومرجعي في معظم هذه الترجمة القصيرة على ما كتبه الدكتوران زيادة والشيّال في مقدماتهما لما نشرا من كتب المقريزيّ . وقد أخذت بعض الملاحظات من الترجمة الصغيرة التي أوردها بروكلمان في «تاريخ الأدب العربي» كما ذكرت آنفًا .

وقد قمت بهذا التحقيق مستعينًا فيه بتلميذَيَّ عماد بدر الدين أبو غازي ومحمد زينهم محمد عزب ، وهما من خيرة الشباب ، ونرجو منهما الخير الكثير في تكوين مدرسة من الشباب المتخصص في تحقيق كتب التراث .

والحمد لله في البداية والنهاية ، وله الفضل والمنَّة - سبحانه - .

- القاهرة في يناير ١٩٨٤م .

د/ حسين مؤنس

بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم

الحمد لله المعطي ما شاء من شاء لا مانع لعطائه ولا راد لمراده ومضائه
الحمد بما هو اهله من الحامدين واشكره على فضله المتزايد
واشهد ان لا اله الا الله وحده لا شريك له ولا معاند له واشهد
ان محمدا عبده ورسوله ونبيه وخليله اللهم صل عليه وعلى آله
وصحابته ومحبيه واهل طاعته وسلم وشرف وكرم
اما بعد فاني كثيرا ما كنت اتعجب من تطاول بني امية الى
الخلافة مع بعدهم من جذم رسول الله صلى الله عليه وسلم
وقرب بني هاشم واقول كيف حدثتهم انفسهم بذلك وابن بنو امية
وبنو امولون بن الحكم طريد رسول الله صلى الله عليه وسلم ولعينه
من هذا الحديث مع تحكم العداوة من بني امية وبني هاشم في
ايام جاهليتها ثم شدة عداوة بني امية لرسول الله صلى الله عليه
وسلم وما التحم في اذاه وكاد بهم في تكذيبه فيما جاء به من
بعثه الله تعالى بالهدى ودين الحق الى ان فتح مكة شرفها
الله تعالى فدخل من دخل منهم في الاسلام كما هو معروف مشهور
وارد قول القائل

كم من بعيد الدار نال مراده ... واخو دانى الدار وهو بعيد

فلعمري لا بعد ابعد حاكما بين بني امية وبين هذا الامر
اذ ليس لبني امية سبب الى الخلافة ولا بينهم وبينها نسب
الا ان يقولوا انا من قريش فهاوون في هذا الاسم قريش
الظواهر الى رسول الله صلى الله عليه وسلم الا بمن قريش واقع على
ملة بني ومع ذلك فاسباب الخلافة معروفة وما يدعيه كل
جيل معلوم والى كل ذلك قد ذهب الناس فمنهم مراد عيا
لعلي بن ابي طالب رضي الله عنه باجتماع القرابة الى السابقة والى
بزعمهم كان كان الخلافة لذلك فليس لبني امية في ذلك شيء من ذلك
وهو عند اهل العباية وان قارنت لرسول الله صلى الله عليه وسلم
فليس لهم في السابقة قديم عهد مذكور ولا يوم مشهور
بل لو كانوا اذ لم تكن لهم سابقة ولم يكن فيهم ما يستحق
به الخلافة ولم يكن فيهم ما يمنعهم منها اشد المنع كان لهون
وكان الامر عليهم ايسر فقد عرفنا كيف كان ابو سفيان
هدلونه للنبي صلى الله عليه وسلم يوم في محاربته وفي الجملة
عليه وغزوه اياه وعرفنا اسلامه كيف اسلم وخلاصه
كيف خلص على انا انما سلم على يد العباس رضي الله عنه
والعباس هو الذي منع الناس من قتله وجاء به يردفا
الى النبي صلى الله عليه وسلم وسأل ان يشرفه وان يكرمه
وينوه به وتلك يد بيضاء ونعمة غراء ومقام مشهور
وخبر غير منكور فكان من جزاء ذلك من بنيه ان حاربوا اعلياء
وسعوا الحسن حتى سلوه اللعين وحملوا اللعين على الاقتاب
حتى اسروه وكشفوا عن عورته على بن الحسين حتى اشكل عليهم
بلوغه كما يصنع بذراري المشركين اذا وقعت بايديهم عنوة
وبعث معوية بن ابي سفيان الى اليمن بسر بن ارطاة
فقتل ابني عبيد الله بن العباس وهما غلامان لم يبلغا الحلم
فقالت امهما عاتكة بنت عبد الله بن عبد المدان بن الديان ترثيهما

يا من احس بنيي اللذين هما ... كالدرتين تشظى عنهما الصدف

الحي على ودحي على قتلى ... مطورة وعظيم الاثم يقترف

وقتل الصلب علي بن ابي طالب رضي الله عنه تسعة ولصلب
عقيل بن ابي طالب تسعة. ولذلك قالت نائحتهم

عين جودي ببعرة وعويل ... واندبي ان ندبت آل الرسول

تسعة منهم لصلب علي ... خلفوهم وتسعة لعقيل

هذا وهم يزعمون ان قتلنا اعادي معوية على ما كانوا ذبين

(صورة الصفحة ١٠٢ من النسخة المحفوظة بالمكتبة الوليدية بالآستانة برقم ٢٦٢٤٧ / ٦)

(صورة الصفحة ١٠٣ من النسخة المحفوظة بالمكتبة الوليدية بالآستانة برقم ٢٦٢٤٧ / ٦)

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله المعطي ما شاء من شاء ولا مانع لعطائه ولا راد لمراده وقضائه [illegible] ما هو
اهله من الحامد واشكره على فضله المتزايد واشهد ان لا اله الا الله وحده
لا شريك له ولا معاند واشهد ان محمدا عبده ورسوله ونبيه وخليله [illegible]
عليه وعلى اله وصحابته ومحبيه واهل طاعته وسلم وشرف وكرم [illegible]
فاني كثيرا ما كنت اتعجب من تطاول بني امية الى الخلافة مع بعدهم من جذم
رسول الله صلى الله عليه وسلم وقرب بني هاشم واقول ليت هذه تبين انفسهم
بذلك وابن بني امية وبني مروان بن الحكم طريد رسول الله صلى الله عليه وسلم
ولعنته من هذا الحديث مع تحكم العداوة بين بني امية وبين بني هاشم في ايام
جاهليتها ثم شدة عداوة بني امية لرسول الله صلى الله عليه وسلم وما الفتهم
في اذاه وتمادرهم على تكذيبه فيما جاء به منذ بعثه الله عز وجل بالهدى ودين
الحق الى ان فتح مكة شرفها الله تعالى فدخل من دخل منهم في الاسلام كما هو معروف
مشهور وارد قول القائل

كيف من بعيد [illegible] مراده واخر والى الله [illegible] بعيد

فلعمري لا بعد ابعد مما كان بين بني امية وبين هذا الامر اذ ليس لبني امية سبب
الى الخلافة ولا بينهم وبينها نسب الا ان يقولوا انا من قريش فيساوون في هذا
الاسم قريشا الظواهر لانه قوله صلى الله عليه وسلم الائمة من قريش واقع على كل
قرشي ومع ذلك فاسباب الخلافة معروفة وما يدعيه كل جيل معلوم وانكل ذلك
قد ذهب الناس فمنهم من ادعاها لعلي بن ابي طالب رضي الله عنه باجماع القرابة
والسابقة والوصية يزعمهم فان كان الامر كذلك فليس لبني امية في شيء من
ذلك دعوى عند احد من اهل القبلة وان كانت انما تنال الخلافة بامورائة وتحق
بالقرابة وتستوجب بحق العصبية فليس لهم في السابقة قديم مذكور ولا يوم
مشهور

(صورة الصفحة الأولى من النسخة المخطوطة بدار الكتب المصرية برقم ١٩٤٩ تاريخ طلعت)

الشديد ارشادهم واهرج العرب قول رسول الله صلى
الله عليه وسلم الذين اقام الله بهم دين الاسلام من الديوان
واسقط عطاؤهم فسقط ولم يفرض لهم فيه عطاء وقاما
به نحم الاتراك وخلع لباس العرب وزيهم ولبس التاج
وتزيا بزي العجم الذين بعث الله نبيه محمدا صلى الله عليه وسلم
بقتلهم وقتالهم فزالت به وعلى يديه الدولة العربية
وتحكم منذ عهده وايام دولة الاتراك الذين انذر
رسول الله صلى الله عليه وسلم بقتالهم فتغلبوا من بعده على
الممالك وسلطهم الله على ابنه جعفر سوء فعلوه
ثم قتلوا ابن ابنه احمد المستعين وتلاعبوا بدين الله وتغلبوا
على الاطراف كلها وفعل المتوكل جعفر بن المعتصم
في خلافته من الانهماك في الترف النهي عنه ما ينبغي
مثله من آحاد الرعية وجهر بالسوء من القول في امير
المومنين علي بن ابي طالب رضي الله عنه حتى بتلاه
الله بيد اصحابه وانصار دولته فقام من بعده ابنه
محمد المنتصر فاتى بظلامة لم يسمع في الجور نظيرها وهو
انه كتب الى الآفاق بان لا يقبل علوي ضيعة
ولا يركب فرسا الى طرف من الاطراف وان يمنعوا من
اتخاذ العبيد الا العبد الواحد ومن كان بينه وبينه
من الطالبيين خصومة من سائر الناس قبل قول خصمه
فيه ولم يطلب بينة وقرئ هذا الكتاب على منبر

مصر

(صورة الصفحة ٦٥ من النسخة المحفوظة بدار الكتب المصرية برقم ١٧٩٤ تاريخ تيمور)

قالت يا عزة إن الأمر الذي كنت تقاتلنا عليه بالأمس قد ملكناه اليوم وكنا أحق به منكم تيم وعدي

قالت أما والله ويا لها الدنيا وإن الدين لعارض فيها والعاهد محمد ورهنا ارتفعت رؤس وضمنت نفوس فإن الأمور تنكشف وتباشير الخير تعرف والله في خلقه قضاء يمضيه ويا لها الله أن يتم شيء من أمر الدنيا الدنيئة النفس

لما كانت بنو هاشم من بين قريش اختصها الله سبحانه بهذا الأمر أعني الدعوة إلى الله تعالى والنبوة والكتاب فحازت بذلك الشرف الباقي وكانت أموال الدنيا من الخلافة والملك وكونه زائلة لهذا رزاها الله تعالى عنهم تنبيها على شرفهم وعلو مقدارهم. فانظر ذلك هو خيرة الله لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم كما ثبت أن صلى الله عليه وسلم لما خير اختار أن يكون نبيا عبدا ولم يختر أن يكون نبيا ملكا وسأل ربه أن لا يكون كما ثبت في الصحيحين. وفيهما من حديث عائشة عن أبي زرعة عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اللهم اجعل رزق آل محمد قوتا وروى أبو يعلى الموصلي من حديث عبيد الله بن زحر عن علي بن يزيد عن القاسم أبي عبد الرحمن عن أبي أمامة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال عرض علي ربي ليجعل لي بطحاء مكة ذهبا قلت لا يا رب ولكن أشبع يوما وأجوع يوما أو قال ثلاثا أو نحو هذا فإذا جعت تضرعت إليك وذكرتك وإذا شبعت شكرتك وحمدتك وقال الترمذي هذا حديث حسن وفرج البخاري من حديث ابن أبي ليلى حدثنا علي رضي الله عنه أن فاطمة عليها السلام اشتكت ما تلقى من الرحى مما تطحن فبلغها أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أتي بسبي فأتته تسأله خادما فلم توافقه فذكرت لعائشة رضي الله عنها فجاء النبي صلى الله عليه وسلم فذكرت له عائشة فأتانا وقد دخلنا مضاجعنا فذهبنا لنقوم فقال على مكانكما (فقعد بيننا)[1] حتى وجدت

(فقعد بيننا) هذه الجملة لم تكن في النسخة المنقول عنها كذلك واردة في جميع الموارد

(صورة الصفحة ٣٤ من النسخة المحفوظة بدار الكتب المصرية برقم ٢٨٥٥ تاريخ)

كتاب

النِّزَاع وَالتَّخَاصُم

فِيمَا بَيْن

بَنِي أُميَّة وَبَنِي هَاشِم

تأليف

الشيخ الإمام الحَبْر الحُجَّة الحافظ

تقيّ الدين المقريزيّ

تغمَّده الله برحمته

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة المؤلف

الحمد لله المعطي ما شاء لمن شاء ، لا مانع لعطائه ، ولا رادَّ لمراده وقضائه ، أحمده بما هو أهله من المحامد ، وأشكره على فضله المتزايد ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ولا مُعاند ، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله ، ونبيُّه وخليله . اللهمَّ صلِّ عليه وعلى آله وصحابته ، ومحبِّيه وأهل طاعته ، وسَلِّمْ وشَرِّفْ وكَرِّمْ .

[الغرض من تأليف الكتاب](•)

أما بعد ، فإني كثيرًا ما كنت أتعجب من تطاول بني أمية إلى الخلافة - مع بُعْدِهم من جِذْم [1] رسول الله ﷺ ، وقُرْبِ بني هاشم - وأقول : كيف حدَّثتهم أنفسهم بذلك ؟ وأين بنو أمية وبنو مروان بن الحكم طَرِيد رسول الله صلى الله عليه وسلم ولَعِينه من هذا الحديث ، مع تحكُّم العداوة بين بني أمية وبني هاشم في أيام جاهليتها ، ثم شدة عداوة بني أمية لرسول الله ﷺ ومبالغتهم في أذاه وتماديهم في [2] تكذيبه فيما جاء به منذ بعثه الله تعالى [3] بالهدى ودين الحق ، إلى أن فتح مكة - شرَّفها الله تعالى - فدخل من دخل منهم في الإسلام كما هو معروف مشهور ؟

وأردد قول القائل :

كَمْ مِنْ بعيدِ الدَّارِ نَالَ مُرادَهُ ... وآخَرَ دَانِي الدَّارِ وَهْوَ بَعِيدُ

(•) العنوان من عندنا .

1- الجِذْم (بكسر الجيم وتسكين الذال) : الأصل ، وجِذْم الرجل : أهله وعشيرته.

2- وردت في المخطوطة [و] (في) وفي المخطوطة [ب] (على) .

3- وردت في المخطوطة [و] (الله تعالى) وفي المخطوطة [ب] (الله عز وجل) .

فلعمري لا بُعْدَ أبعدُ مما كان بين بني أمية وبين هذا الأمر ، إذ ليس لبني أمية سببٌ إلى الخلافة ، ولا بينهم وبينها نسبٌ إلا أن يقولوا : إنَّا من قريش . فيساوون في هذا الاسم قريشَ الظواهر [1] ، لأن قوله ﷺ : « الأئمةُ من قريش » [2] واقعٌ على كل قرشيّ .

ومع ذلك فأسباب الخلافة معروفة ، وما يدَّعيه كل جيل معلوم ، وإلى كل ذلك قد ذهب الناس ، فمنهم من ادَّعاها لعليٍّ بن أبي طالب - رضي الله عنه - باجتماع القرابة والسابقة والوصية بزعمهم ، فإن كان الأمر كذلك فليس لبني أمية في شيء من ذلك * دعوى عند (أحد من) [3] أهل القبلة ، (وإن كانت إنما تُنال الخلافة بالوراثة وتُستحقُّ بالقرابةِ وتُستوجبُ بحق العصبيةِ ، فليس لبني أمية في ذلك متعلَّق عند أحد من المسلمين) [4] ، وإن كانت لا تُنالُ إلا بالسابقةِ ، فليس لهم في السابقةِ قديمُ عهدٍ مذكورٌ ولا يومٌ مشهورٌ . فإذا لم تكن لهم سابقة ، ولم يكن فيهم ما يستحقونَ به الخلافة ، ولم يكن فيهم ما يمنعهم منها أشدَّ المنع ؛ كان الأمرُ عليهم أَهْوَنَ وأيسر .

* * *

1- (قريش الظواهر) هم بنو الحارث وبنو محارب ابنا فهر بن مالك ، وتضيف إليهم بعض المصادر بني تيم وبني الأدرم ومعيص بن عامر بن لؤيّ ، وذلك لأنهم نزلوا حول مكة وما والاها ، وما سوى ذلك من بطون قريش يقال لهم : «قريش البطاح» ؛ لأنهم سكنوا بطحاء مكة.
انظر : الأصفهاني في (الأغاني) جـ1 ص 258 ، وابن عبد ربه الأندلسي في (العقد الفريد) جـ3 ص 319 ، 320 .

2- رواه أبو بكر الصديق عن الرسول ﷺ فيما قاله يوم سقيفة بني ساعدة عندما اختلف المهاجرون والأنصار حول من يلي أمر الأمة بعد وفاة الرسول ﷺ .
انظر : ابن عبد ربه جـ 4 ص 258 ، وابن خلدون في (المقدمة) ص 194 .
وانظر كذلك : فنسنك (مفتاح كنوز السنة) ص 6 .

3- وردت في المخطوطة [ب] ولم ترد في المخطوطة [و] .

4- وردت العبارة بين القوسين في المخطوطة [ب] ولم ترد في المخطوطة [و] .

مثالب بني أمية (•)

(•) العنوان من عندنا.

قد عرفنا كيف كان أبو سفيان في عداوته للنبي [1] ﷺ وفي محاربته وفي إجلابه عليه ، و (في) [2] غزوه إياه ، وعرفنا إسلامه كيف أسلم ، وخلاصه كيف خلص ؛ على أنه إنما أسلم على يد العبَّاس - رضي الله عنه - والعبَّاس هو الذي منع الناس من قتلهِ ، وجاء به رديفًا [3] إلى النبي ﷺ ، وسأل أن يشرِّفه وأن يكرِّمه وينوِّه به ، وتلك يد بيضاء ، ونعمة غرَّاء ، ومقام مشهور ، وخبر غير منكور . فكان جزاء ذلك من بنيه أن حاربوا عليًّا ، وسَمُّوا الحَسَنَ وقتلوا الحسين ، وحملوا النساء على الأقتاب [4] حواسر [5] ، وكشفوا عورة عليِّ بن الحسين حين أشكل عليهم بلوغه[6] كما يُصنع بذراري [7] المشركين إذا دُخلت ديارهم عنوةً ، وبعث معاوية بن

1- وردت في المخطوطة [ب] (النبي) .

2- وردت في المخطوط [ب] ولم ترد في المخطوطة [و] .

3- الرديف : الراكب خلف الراكب .

4- الأقتاب : جمع قَتَب ، والقَتَب : الرَّحْل الصغير على قَدْر سنام البعير .

5- حواسر : جمع حاسر ، والحاسر من النساء هي من ألقت عنها ثيابها ، وهي المكشوفة الرأس والذراعين ، وتجمع على حُسَّر كذلك . والمقصود هنا واقعة نقل نساء بيت الحسين بعد موقعة كربلاء إلى يزيد بن معاوية .

6- هو علي الأصغر (علي زين العابدين) بن الحسين بن علي بن أبي طالب من أم ولد ، توفي بالمدينة سنة (94هـ/ 712م) على الأرجح . وكان يوم كربلاء مريضاً فلم يشترك في القتال ، وأُخذ أسيراً مع بقية أهل بيت الحسين ، ونُقل بعد المعركة برغم مرضه إلى يزيد بن معاوية ، فأمر بكشف عورته ليتأكد إذا كان قد بلغ أم لا ، فيأمر بقتله إذا كان قد بلغ - حسبما جاء في روايات المصادر التاريخية - وهو غير علي الأكبر بن الحسين الذي استشهد في المعركة .

حول تفاصيل الخبر انظر : ابن سعد في (الطبقات الكبرى) جـ 5 ص 211 وما بعدها ، والطبري في (تاريخ الرسل والملوك) جـ5 ص 454 وما بعدها ، والأصفهاني في (مقاتل الطالبيين) ص 118 - 122 ، والنويري في (نهاية الأرب) جـ20 ص 465 وما بعدها .

وقد رجَّح بوزورث في تعليقاته (ص 610) أنه علي الأكبر . وهو خطأ .

7- ذراري : جمع ذرية بمعنى نسل .

أبي سفيان إلى اليمن بُسْرَ بن أرطأة [1] ، فقتل ابني عبيد الله بن العبَّاس وهما غلامان لم يبلغا الحُلُم[2] ، فقالت أمهما عائشة بنت عبد الله بن عبد المدان بن الديان [3] ترثيهما [4] :

1- بُسر بن أرطأة أو بسر بن أبي أرطأة القرشيّ ، من بني عامر بن لؤيّ بن غالب بن فهر ، كان من أنصار معاوية في صراعه ضد علي ، واختلف المؤرخون في تحديد تاريخ وفاته .
انظر ابن سعد (طبقات) جـ 7 ص 409 ، وابن عبدالبر (الاستيعاب في معرفة الأصحاب) القسم الأول ص 157 – 166.

2- ابنا عبيد الله بن العباس بن عبدالمطلب اللذان ذبحهما بُسر هما عبدالرحمن وقثم ، وكان أبوهما عبيد الله بن العباس يلي اليمن لعلي بن أبي طالب عندما وجَّه معاوية بُسر بن أرطأة إلى الحجاز واليمن سنة (40هـ / 660م) فذبح ابني عبيد الله .
وقد اختلفت الروايات حول ذبحهما : هل كان في اليمن أم في المدينة ؟
حول تفاصيل الخبر انظر : الطبري جـ5 ص 139 ، 140 ، والمسعودي في (مروج الذهب) جـ2 ص 16 ، 17 ، وابن عبد البر (القسم الأول) ص 159 – 161 ، والنويري جـ 20 ص 259 – 264 .

3- ورد الاسم هكذا في المخطوطة [و] وفي باقي المخطوطات ورد (بن عبدالديان) .
انظر الزبيري (نسب قريش) ص 31 ، وانظر – كذلك – ترجمة عبد الله بن عبد المدان في طبقات ابن سعد جـ5 ص 528 .
هذا وقد اختلفت الروايات حول أم عبدالرحمن وقثم ابني عبيد الله ، فيذكر المسعودي جـ2 ص 17 أنها (جويرية بنت قارظ الكناني) ، في حين يقول النويري : إن أم ابني عبيد الله أم الحكم جويرية بنت خويلد بن قارظ ، وقيل عائشة بنت عبدالله بن عبدالمدان (جـ 20 ص 261).
أما المبرد فيذكر أنها الحارثية من بني الحارث بن كعب . انظر : المبرد في (الكامل في اللغة والأدب) جـ2 ص 320 .

4- البيتان وردا ضمن مجموعة من الأبيات المنسوبة إلى أم عبدالرحمن وقثم ابني عبيد الله ترثيهما بها ، وقد وردت الأبيات عند المبرد على النحو التالي :

يا من أحس بُنيئ اللذين هما	كالدرتين تشظى عنهما الصدفُ
يا من أحس بنيئ اللذين هما	سمعي وطرفي ، فَطَرْفي اليوم مختطف
يا من أحس بُنيئ اللذين هما	مُخُّ العظام فمخي اليوم مزدهف
نُبئت بُسْرا وما صدقت ما زعموا	من قولهم ، ومن الإفك الذي اقترفوا
أنحى على وَدَجَيْ طِفْلَيْ مرهفة	مشحوذة وعظيم الإفك يُقترف
منْ دَلّ والهةً حَرْى مُفَجَّعَةً	على صَبيَّيْنِ غابا إذ مضى السلف

المبرد جـ2 ص 320 .

وقد وردت الأبيات كذلك مع اختلافات في عدد من مصادرنا نذكر منها : ابن عبد البر=

يــا مَــنْ أحــسَّ بُنَيَّيَّ اللذينِ هُمَا كالدُّرَّتينِ تَشَظَّى [1] عنهما الصَّدَفُ

أَنْحَى على وَدَجَيْ [2] طِفْلَيْ مُرَهَّفَةٍ مَطْرُورَةٍ [3] وعظيمُ الإثـمِ يُقترفُ

وقتلوا لِصُلْبِ عليِّ بن أبي طالب تسعة ، ولِصُلْبِ عقيل بن أبي طالب تسعة ، لذلك قالت نائحتهم [4] :

عينُ جُودِي بعَبْرةٍ وعويلِ وانْدُبِي إنْ نَدَبْتِ آلَ الرسولِ

تسعةٌ منهم لِصُلْبِ علـيٍّ قـد أُصيبوا وتسعـةٌ لعقيلِ

= الاستيعاب (القسم الأول) ص 160 ، والمسعودي جـ2 ص17 ، والنويري جـ2 ص262، وابن الأثير (الكامل في التاريخ) جـ3 ص 195 .

1- تشظى الصدف عن الدر ، أي : تشقَّق عنه .

2- الوَدَجُ عِرْقٌ متصل في العنق ، وهما وَدَجان .

3- مطرورة : مقطوعة ، أو مذبوحة .

4- أورد ابن عبد ربه جـ4 ص 383 هذه الأبيات منسوبة إلى بنت عقيل بن أبي طالب وهي ترثي الحسين ومن استشهدوا معه يوم كربلاء مع اختلاف في الأبيات ، فقد وردت :

عَيْنِيَ ابكي بعبرة وعويل وانْدبي إن ندبت آل الرسول

ستــة كلهــم لصلب علـي قـد أصيبوا وخمسة لعقيل

وقد ذكر ابن عبد ربه جـ 4 ص 385 أن من قُتل مع الحسين من أبناء علي بن أبي طالب خمسة هم : عثمان وأبو بكر وجعفر والعباس وإبراهيم ، أما أبناء عقيل بن أبي طالب فقد ذكر أن خمسة منهم قُتلوا بكربلاء ولم يحدد أسماءهم .

هذا وقد حاولنا إحصاء من استشهدوا من أبناء علي بن أبي طالب وعقيل بن أبي طالب في عهد بني أمية فتوصَّلنا إلى تسعة من أبناء علي وخمسة من أبناء عقيل أحصاهم الأصفهاني وهم: الحسن والحسين وعبد الله وجعفر وعثمان والعباس ومحمد الأصغر وأبو بكر وعبيدالله أبناء علي بن أبي طالب ، ومسلم وعبد الرحمن وجعفر وعبدالله الأكبر وعلي أبناء عقيل بن أبي طالب .

انظر الأصفهاني (مقاتل الطالبيين) ص 46 ، ص 80 – 86 ، ص 92 – 95 ، ص 125 .

وقد ذكر الأصفهاني أن جميعهم قتلوا يوم كربلاء – ما عدا الحسين بن علي ومسلم بن عقيل وعبيد الله بن علي – ، والأخير قتله أصحاب المختار بن أبي عبيد الثقفيّ يوم المذار حسب الرواية التي يرجحها الأصفهاني ، كذلك يذكر الأصفهاني أن بعض الروايات تذكر إبراهيم ابن علي بن أبي طالب من أم ولد ضمن من قتلوا في كربلاء ، ويقول الأصفهاني في ذلك : وما سمعت بهذا... ولا رأيت لإبراهيم في شيء من كتب الأنساب ذكراً . (مقاتل الطالبيين) ص 87 .

هذا وهم يزعمون أن عقيلًا أعان معاوية على عليٍّ ، فإن كانوا كاذبين * فما أولاهم بالكذب ، وإن كانوا صادقين فما جازوه خيرًا إذ ضربوا عنقَ مسلم بن عقيل صبرًا وقتلوا معه هانئ بن عروة لأنه آواه ونصره [1] .

قال الشاعر [2] :

فإن كنتِ لا تدرينَ ما الموتُ فانظري ... إلى هانئٍ في السوق وابن عقيلِ
تَري بطلًا قَدْ هَشَّمَ السيفُ رأسَهُ ... وآخرَ يُرْمَى مِنْ طِمَارِ[3] قتيلِ

1- هما مسلم بن عقيل بن أبي طالب بن عبدالمطلب وهانئ بن عروة المرادي ، قتلهما عبيد الله ابن زياد بالكوفة عندما بعث الحسين بن علي مسلماً من مكة ليأخذ له البيعة بالكوفة فنزل على هانئ بن عروة في داره .
انظر : ابن سعد (طبقات) جـ4 ص 42 ، وأبو حنيفة الدينوري (الأخبار الطوال) ص 231 – 242، وابن عبد ربه جـ4 ص 377 ، 378 ، والأصفهاني (مقاتل الطالبيين) ص 95 – 109.

2- أورد الدينوريّ البيتين ضمن مجموعة من الأبيات منسوبة إلى عبدالرحمن بن الزبير الأسديّ يقول فيها :

فإن كنت لا تدرين ما الموت فانظري ... إلى هانئ في السوق وابن عقيلِ
إلى بطلٍ قد هشم السيف أنفَهُ ... وآخر يَهْوِي من طمارٍ قتيلِ
أصابهما ريبُ الزمانِ فأصبحا ... أحاديثَ من يَسعى بكلّ سبيلِ
تَري جسداً قَدْ غيّرَ الموتُ لونَهُ ... ونضحَ دمٍ قَدْ سالَ كلّ مسيلِ

الدينوري ص 242 .

أما الطبري فقد أورد البيتين في أكثر من موضع وقد نسبهما في إحدى رواياته إلى الفرزدق . الطبري جـ5 ص 350 ، 351 ، ص 379 ، 380 .

أما الأصفهاني في (مقاتل الطالبيين) فقد نسبهما إلى عبد الله بن الزبير الأسديّ ، وأوردهما في مطلع سبعة أبيات تقول :

إذا كنت لا تدرين ما الموت فانظري ... إلى هانئ في السوق وابن عقيلِ
إلى بطل قد هشم السيف وَجْهَهُ ... وآخر يهوي من طمار قتيلِ
تري جسداً قد غيّر الموت لونه ... ونضح دم قد سال كل مسيلِ
أصابهما أمرُ الأميرِ فأصبحا ... أحاديث من يسعى بكل سبيلِ
أيركبُ أسماءَ الهَمالِيجَ آمناً ... وقَدْ طَلَبَتْهُ مُذْحِجٌ بذحولِ
تطيفُ حواليهِ مرادٌ وكلُّهم ... على رقبةٍ من سائلٍ ومسولِ
فإنْ أنتمُ لم تثأروا بأخيكمُ ... فكُونوا بَغايا أرضيتْ بقليلِ

الأصفهاني (مقاتل الطالبيين) ص 108

3- الطمار : المكان العالي المرتفع .

وأكلت هندٌ كبدَ حمزة ، فمنهم آكلة الأكباد، ومنهم كهف (النفاق) [1] ، ونقروا (بالقضيب) [2] بين ثنيَّتي الحسين [3] ، ونبشوا زيدًا [4] وصلبوه ، وألقوا رأسه في عرصة الدار تطؤه الأقدام ، وتنقر دماغَهُ الدجاجُ ، حتى قال القرشيّ [5] :

اطردِ الدّيكَ عن ذؤابةِ زيدٍ طالَ ما كانَ لا تطؤهُ الدّجاجُ

وقال شاعر بني أمية [6] :

صَلَبنا لكم زيدًا على جِذْعِ نخلةٍ ولم نَرَ مهديًّا على الجذعِ يُصْلَبُ

1- وردت في المخطوطة [و] (الشقاق) وفي باقي المخطوطات (النفاق) وهو الصحيح، وقد استخدم هذه العبارة زياد بن عبيد (الذي اشتهر بزياد بن أبيه) وذلك عندما كان عاملاً لعليٍّ على فارس قبل انضمامه إلى معاوية في خطبة رد بها على معاوية عندما أرسل إليه يتوعده ويتهدده فاستهلَّها بقوله : (إن ابن آكلة الأكباد وكهف النفاق وبقية الأحزاب ، كتب يتوعدني ويتهددني) انظر : تاريخ اليعقوبي م2 ص218.

2- لم ترد في المخطوطة [و] وقد وردت في باقي المخطوطات.

3- حول الخبر انظر : الطبري جـ5 ص 456 ، والأصفهاني (مقاتل الطالبيين) ص 119 .

4- زيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب : الإمام الرابع من أئمة الشيعة وهو الذي تنسب إليه الفرقة الزيدية ، استشهد في عهد هشام بن عبد الملك عندما خرج بالكوفة فوجَّه إليه يوسف بن عمر الثقفيّ عامله على العراق من يقاتله ، فاقتتلوا وتفرَّق عن زيد من خرج معه، وقُتل ثم صُلب ، وقد اختلفت الروايات في تاريخ وفاته بين سنوات (120 و 121 و122هـ / 737 و 738 و 739م) .
انظر : ابن سعد (طبقات) جـ5 ص 325 ، 326 ، والطبري جـ7 ص 160 – 173 ، ص 180 – 191، والمسعودي (مروج الذهب) جـ2 ص 161 – 164، وابن عبد ربه جـ4 ص 484 – 487، والأصفهاني (مقاتل الطالبيين) ص 133 – 151 ، وابن الأثير جـ5 ص 229 – 236 ، ص 242 – 247 .

5- ورد البيت عند المبرد جـ 3 ص 310 منسوباً إلى شاعر من أنصار بني أمية ممن كانوا يهجون الشيعة .

6- ورد البيت منسوباً إلى أعور كلب أو الأعور الكلبيّ في (العقد الفريد) و (الأغاني) ، وقد ورد البيت باختلاف في اللفظ في بعض أصول (العقد الفريد) ، حيث ورد على النحو التالي:
نصبتُ لكم زيداً على جذع نخلة وما كان مهدىٌّ على الجذع يُنْصَبُ
انظر: ابن عبد ربه جـ4 ص 483 ، والأصفهاني في (الأغاني) جـ5 ص 120 ، وابن خلكان (وفيات الأعيان) جـ6 ص 111.
وأعور كلب أو الأعور الكلبيّ هو حكيم بن عياش ، وكان ممن يهجون عليًّا وأهل البيت فهجاه الكميت . انظر : الأصفهاني (الأغاني) جـ 17 ص 9 ، جـ 18 ص 36 ، 37 .

وقتلوا يحيى بن زيد [1] ، وسَمَّوا قاتله ثائر مروان [2] وناصر (الدين) [3]، وضربوا عليَّ بن عبد الله بن العبَّاس [4] بالسياط مرتين ، على أن تزوَّج بنت عمه الجعفرية التي كانت عند عبد الملك بن مروان [5] ، وعلى أن نَحلُوه [6] قتل

1- يحيى بن زيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب ، قُتل في معركة مع سلم بن أحوز بنشابة أصابت جبهته ، رماه بها رجل يقال له عيسى العنزيّ ، فوجده سَوْرَة بن محمد قتيلا فاجتزَّ رأسه وأرسله إلى نصر بن سيار ، فبعث بها الأخير إلى الوليد بن يزيد وصُلب جسده على باب مدينة الجوزجان ، وربما كان ذلك في رمضان سنة (125هـ / 743م) .
انظر : الطبري جـ7 ص 228 – 230 ، والأصفهاني (مقاتل الطالبيين) ص 152 – 158 ، وابن الأثير جـ2 ص 271 .

2- ثائر مروان أي : الآخذ بثأر مروان . والثائر الذي لا يُبقي على شيء حتى يدرك ثأره .

3- وردت في المخطوطة [و] (ناصر الدعيّ) وفي المخطوطة [ب] ناصر الدين.

4- علي بن عبدالله بن العبَّاس بن عبدالمطلب الملقب بالسَّجَّاد لتقاه وكثرة صلاته ، نفاه الوليد إلى موضع جنوبي الأردن في إقليم حوران يقال له «الحميمة» وظل فيه حتى وفاته في سنة (117 أو 118هـ/ 735 أو 736م) . وقد أصبحت «الحميمة» مركزاً للدعوة السرية للحركة العباسية .
انظر : أخبار الدولة العباسية لمؤلف مجهول من القرن الثالث الهجري ص 134 – 159 ، وابن سعد جـ5 ص 312 – 314 ، والزبيري ص 28 ، 29 ، وابن حزم في (جمهرة أنساب العرب) ص 19 ، 20 ، وانظر كذلك تعليقات بوزورث على ترجمته لمخطوطة «النزاع والتخاصم» ص 113 . وانظر (دائرة المعارف الإسلامية) الطبعة الجديدة ، مادة : الحميمة . Vol. III, P.574 (D. Sourdel) ومادة : علي بن عبد الله بن العباس Vol. I, p.381 (K. V. Zettersteen)

5- تشير المصادر إلى أن هذا الزواج كان فاتحة الخلاف بين علي بن عبد الله وبين عبد الملك بن مروان ، وقد اختلفت المصادر في تحديد اسمها ، ففي أخبار الدولة العباسية لمجهول ص138 ، 139 ورد أنها لبابة بنت عبد الله بن جعفر ، في حين يذكر الزبيري في (نسب قريش) ص83 أنها أم أبيها بنت عبد الله بن جعفر بن أبي طالب وأن علي بن عبدالله تزوجها بعد أن طلقها عبد الملك بن مروان فظلت زوجة له إلى أن ماتت ، ويذكر ابن عبد ربه جـ5 ص 103 أن الوليد بن عبد الملك ضرب علي بن عبد الله في تزوُّجه لبابة بنت عبدالله بن جعفر ، وهو ما ورد كذلك في (الكامل) للمبرد جـ2 ص 112 وعند ابن خلكان جـ3 ص 275. وقد وردت أم أبيها ولبابة ضمن بنات عبد الله بن جعفر بن أبي طالب في (نسب قريش) للزبيري ص87، وبمراجعة ترجمة علي بن عبد الله في (طبقات ابن سعد) جـ5 ص 312 – 314 وجدنا أم أبيها بنت عبد الله بن جعفر بن أبي طالب ضمن زوجاته ، كذلك ذكرها الزبيري في ذكره لولد عبد الله بن العباس ضمن زوجات علي ص 29 .

6- نسبوا إليه أمراً لم يفعله ، والإشارة هنا إلى ما نُسب لعلي بن عبد الله .

سليط [1]، وسَمُّوا أبا هاشم بن محمد بن علي [2] ، وضربَ سليمانُ بن حبيب بن المهلَّب أبا جعفر المنصور بالسياط قبل الخلافة [3] ، وقتلَ مروانُ الحمَّارُ الإمامَ

1- سليط بن عبدالله بن العباس من أم ولد ، وكان عبدالله بن العباس قد نفاه ثم استلحقه ، واتهم علي بن عبدالله بقتله بسبب خلاف على الميراث بينهما ، وسليط هذا هو الذي انتسب إليه أبو مسلم الخراساني فيما بعد . انظر : أخبار الدولة العباسية ص 149 ، 150 ، والطبري جـ7 ص 491 ، وابن حزم ص 19 ، 20.

هذا وتذكر بعض المصادر أن علي بن عبد الله ضُرب بالسياط في المرة الثانية بسبب ما نُسب إليه من أنه قال إن الخلافة ستكون في بنيه . (أخبار الدولة العباسية) ص 39 ، وابن عبد ربه جـ5 ص 103 ، 104 ، وابن خلكان جـ3 ص 276.

وقد ورد في مخطوط (أخبار الدولة العباسية) ص 149 ، 150 أن الوليد عندما اتهم علي بن عبد الله بقتل سليط أقامه في الشمس حتى حمله عبد الله بن عبد الله بن الحارث وعالجه ثم نفاه الوليد بعدها إلى «الحميمة» .

2- هو عبد الله بن محمد بن علي بن أبي طالب ، ويكنى أبا هاشم ، ويقال إن سليمان بن عبدالملك دس له سُمًّا فمات منه لأنه كان يخشى منه كمنافس سياسي ، ويقال إنه عندما أحس باقتراب أجله اجتهد في الوصول إلى «الحميمة» حتى يتنازل عن حقه في الخلافة إلى محمد بن علي بن عبد الله بن العباس . وقد درج المؤرخون على اعتبار هذا التنازل أو هذه الوصية أساساً شرعيًّا لادعاء العباسيين بحقهم في الخلافة وهو الحق الذي انتقل من محمد إلى إبراهيم الإمام .

ومن الجدير بالذكر أن أبا جعفر المنصور في مراسلاته مع محمد (النفس الزكية) فيما بعد ، لم يشر إلى ذلك التنازل على الإطلاق ، لأن العباسيين بعد أن استقر لهم الأمر ادعوا أنهم هم أصحاب الحق دون العلويين . هذا وكان عبد الله قد أصبح زعيماً لفرع الكيسانية في الشيعة وهم الذين اتبعوا المختار الثقفيّ في ثورته ضد الأمويين.

انظر: أخبار الدولة العباسية ص173 وما بعدها ، والأصفهاني (مقاتل الطالبيين) ص126 ، وابن عبد ربه جـ5 ص 79 وما بعدها ، وابن الأثير جـ5 ص529 وما بعدها ، وابن خلكان جـ4 ص173 ، 187 ، 188 ، وانظر كذلك : تعليقات بوزورث ص113 ، 114 ، ومادة: الكيسانية في (دائرة المعارف الإسلامية) (E.I.) IV , V01 .

وانظر البحث المنشور في مجلة جمعية المستشرقين الإيطالية: R.S.O. (مجلد 27) (1952م) ص28 – 46
S. Moscati: Il Testamento di Abu Hashim.

3- فيما يتعلق بما ذكره المقريزي هنا من ضرب المنصور بالسياط على يد سليمان بن حبيب ، كتب بوزورث تعليقاً مطولاً في ترجمته الإنجليزية للنزاع والتخاصم قال فيه : إن سليمان بن حبيب عامل خراسان لمروان بن محمد آخر خلفاء بني أمية كان قد قبض على أبي جعفر عبدالله بن =

إبراهيمَ بن محمد بن علي ؛ أدخل رأسه في جِرَابِ نُورَةٍ [1] حتى مات .

= محمد بن محمد بن علي (المنصور فيما بعد) في الأهواز سنة (129هـ/746-747م) واتهمه بأنه متواطئ مع عبد الله بن معاوية وسجنه وتوسَّط له أبو أيوب المورياني كاتب سليمان ونصح أبو أيوب سليمان بألاَّ يسرف في الإساءة إلى أبي جعفر لأن ذلك يغضب العباسيين الذين كانت ثورتهم بقيادة أبي مسلم في طريقها إلى النصر ، وقد استمع سليمان لنصيحة وزيره وأطلق سراح أبي جعفر ، ولكن بعد أن ضربه بالسياط ، وقد كوفئ أبو أيوب بعد ذلك - في أيام خلافة المنصور - بالوزارة ، إلا أن المنصور سرعان ما انقلب عليه وقتله.
ويشير بوزورث هنا إلى أن الخليفة العباسي السَّفَّاح قد قتل سليمان بن حبيب بتحريض من الشاعر سديف بن ميمون ، وبمراجعة مصادرنا وجدنا اختلافات عدة حول هذا الخبر فيذكر الجهشياري في (كتاب الوزراء والكتَّاب) ص98 ، 99 أن سبب الخلاف بين سليمان بن حبيب وأبي جعفر كان بعض الأمور المالية ، ويذكر المبرد جـ2 ص306 أن الذي قُتل على يد السَّفَّاح بتحريض سديف هو سليمان بن هشام بن عبد الملك ، وهو ما ذكره اليعقوبي كذلك م2 ص389 ، وابن الأثير جـ5 ص 429 .
أما ابن خلكان فيذكر أن المنصور هو الذي قتل سليمان بن حبيب «جـ2 ص 410 - 414»، ويشير ابن عبد ربه جـ4 ص 485 ، جـ2 ص90 إلى أن الأبيات المنسوبة إلى سديف قيلت في التحريض على قتل عدد من بني أمية يجاوز الثمانين ولم تُقل في التحريض على قتل شخص واحد .
راجع كذلك الجهشياري ص198 ، والأصفهاني (الأغاني) جـ14 ص172 طبعة بولاق.
وانظر كذلك : بحثي سوردل دومين والفاروق عمر (الأجزاء الخاصة بالوزراء في العصر العباسي):

Sourdel: Le Vizirat àbbaside de 749 à 936 (132 à 324 de 1'Hegire), Damascus 1959–60, I. 78–79.

F. Omar: Politiccs and the problem of succession in the early Abbasid Period 132–750,158–775, in Abbasiyyat, studies in the history of the early Abbasids.Baghdad 1976, 62.

1- النُّورَة هي الحجر الجيري أو أخلاط من أملاح الكالسيوم والباريوم تستخدم لإزالة الشعر . والمقصود هنا أنهم وضعوا رأسه في جراب مملوء بالجير . وحول قتل إبراهيم الإمام انظر: أخبار الدولة العباسية ص 387 وما بعدها ، والطبري جـ7 ص 435 - 437 ، والمسعودي جـ2 ص 192 ، 193 ، وانظر كذلك مادة: إبراهيم بن محمد في (دائرة المعارف الإسلامية): (Vol. III ,P. 988 (F. Omar) . (E.I.).

(وقتلوا يوم الحِرَّة [1] عون بن عبد الله بن جعفر) [2] ، (وقتلوا يوم الطَّفّ[3] مع الحسين أبا بكر بن عبد الله بن جعفر) [4] ، وقتلوا يوم الحِرَّة (أيضًا) [5] الفضل ابن العبَّاس بن ربيعة بن الحارث بن عبد المطلب) (والعبَّاس بن عتبة بن أبي لهب ، وعبد الرحمن بن العبَّاس بن ربيعة بن الحارث بن عبد المطلب) [6] ، ومع ذلك كله فإن عبد الملك بن مروان (أبا الخلفاء من بني مروان) [7] أعرق الناس في الكفر لأن جدَّه لأبيه الحكم بن أبي العاص لَعِين رسول الله ﷺ وطريده ، وجدَّه لأمه معاوية بن المغيرة بن أبي العاص طَرَدَهُ رسولُ الله ﷺ ثم قتله عليٌّ وعمارٌ صبرًا.

ولا يكون أمير المؤمنين إلا أولاهم بالإيمان وأقدمهم فيه ، هذا وبنو أمية قد هدموا الكعبة [8] ، وجعلوا الرسول ﷺ دون * الخليفة ، وختموا في أعناق

1- كانت واقعة الحِرَّة في ذي الحجة سنة (63هـ/ 682م) عندما خلع أهل المدينة يزيد بن معاوية فوجَّه إليهم مسلم بن عقبة بن رياح ، والحرة المذكورة هي حِرَّة المدينة . انظر : الطبري جـ5 ص482 – 495 ، والنويري جـ20 ص 400 – 490 .

2- وردت العبارة بين القوسين في المخطوطتين [ب ، ك] ولم ترد في المخطوطتين [و ، ت] وعون ابن عبدالله بن جعفر المذكور هنا هو عون الأصغر بن عبد الله بن جعفر بن أبي طالب ، انظر: الأصفهاني في (مقاتل الطالبيين) ص 124 .

3- يوم الطفّ هو يوم كربلاء ، ووقع في العاشر من المحرم سنة (61هـ / 680م).
والطفّ هو المنطقة المحيطة بالكوفة ، وهو ما أشرف من أرض العرب على ريف العراق . والطفّ لغة :الجانب أو الشاطئ أو سفح الجبل أو فناء الدار .

4- وردت العبارة بين القوسين في المخطوطة [ب] ولم ترد في المخطوطة [و] ، ويذكر الأصفهاني في (مقاتل الطالبيين) ص123 ، والنويري جـ 20 ص 494 أن أبا بكر بن عبد الله بن جعفر ابن أبي طالب قد قُتل يوم الحِرَّة .

5- كلمة (أيضاً) لم ترد في المخطوطتين [و ، ت] .

6- العبارة بين القوسين لم ترد في المخطوطة [و] ووردت في المخطوطة [ب] .

7- العبارة بين القوسين لم ترد في المخطوطة [و] ووردت في المخطوطة [ب] .

8- ضرب الأمويون الكعبة إبَّانَ ثورة عبد الله بن الزبير مرتين بالمنجنيق : المرة الأولى سنة 64هـ على يد الحُصَين بن نُمير ، والمرة الثانية سنة 73هـ على يد الحجَّاج بن يوسف ، كما هدم الحَجَّاج سنة 74هـ الزيادات التي كان عبد الله بن الزبير قد أدخلها على الكعبة . انظر : الطبري جـ5 ص 498 ، جـ6 ص 187 – 195 .

الصحابة [1] ، وغيَّروا أوقات الصلاة ، ونقشوا أكفَّ المسلمين ، ومنهم مَنْ أكل وشرب على منبر رسول الله ﷺ ، ووُطِئَتِ المسلمات في دار الإسلام بالبقيع في أيامه[2] .

وكان أبو جعفر المنصور إذا ذكر ملوك بني أمية قال : « كان عبد الملك جبَّارًا لا يبالي ما صنع ، وكان الوليدُ مجنونًا ، وكان سليمان هَمُّهُ بَطْنُهُ وفَرْجُهُ ، وكان عمرُ أعورَ بين عميان ، فإذا قيل : عدل ، قال : إنَّ مِنْ عدلهِ أن (لا) [3] يقبلها ممن لم يكن لها أهلًا ويتولاها بغير استحقاق ، وكان رجلهم هشام » .

وقد صدق أبو جعفر .

وقد كان يقال لهشام : الأحول السَّرَّاق ، لأنه ما زال يُدْخِلُ عطاء الجند شهرًا

1- إشارة إلى وضع الحَجَّاج بن يوسف الثقفيّ أختام الرصاص في أعناق الصحابة في المدينة سنة 74هـ بعد أن قضى على ثورة عبد الله بن الزبير . انظر : الطبري جـ6 ص195 ، وابن تغري بردي في (النجوم الزاهرة) جـ1 ص191، وانظر كذلك : عبد الرحمن فهمي محمد (موسوعة النقود العربية وعلم النُّمَيَّات) ص68 – 76 .

2- المقصود بوطء المسلمات هنا : ما وقع يوم الحِرَّة . وقد ذكر الطبري والنويري أن مسلم بن عقبة أباح المدينة ثلاثة أيام بعد انتصاره على أهلها ، وذكر ابن خلكان أنه بعد واقعة الحِرَّة (وَلَدَتْ أكثرُ من ألف بِكْرٍ من أهل المدينة ممن ليس لهن أزواج بسبب ما جرى فيها من الفجور) . انظر كذلك الطبري جـ5 ص 482 وما بعدها ، والنويري جـ 20 ص 487 وما بعدها ، وابن خلكان جـ6 ص 276 وما بعدها .

والمراد بالبقيع بقيع الغرقد وهو موضع مدافن المدينة أيام الرسول ﷺ واستمر مدة بعده ، ويقع شرقيَّ المدينة ، وقد أصبح البقيع موضعاً له مكانته الكبرى عند الشيعة نظراً لكثرة مَنْ دُفن فيه من كبار أهل البيت وأولهم فاطمة (رضي الله عنها) ، والحسن بن علي ، ومحمد ابن الحنفية ، وعلي بن الحسين وابنه محمد الباقر وابنه جعفر الصادق وغيرهم .

انظر : السمهودي في (وفاء الوفا) جـ3 ص 893 – 924 ،جـ 4 ص 1154 ، وانظر كذلك مادة: بقيع الغرقد في دائرة المعارف الإسلامية :

Vol. I. PP 957 U 958 (A. J. Wensinck – A.S. Baznee Ansari).

وحول هذه الأحداث كلها: راجع رسالة الجاحظ في بني أمية في نهاية هذا الكتاب.

3- وردت في المخطوطة [ب] ولم ترد في المخطوطة [و] .

في شهر حتى أخذ لنفسه مقدار أرزاق سنة ، فلذلك قالوا : الأحول السَّرَّاق .

وقال خاله إبراهيم بن هشام المخزوميّ : « ما رأيت من هشام (خطأ) [1] قَطُّ إلا مرَّتين ؛ فإن الحادي حَدَا به مرة فقال :

إنَّ عليكَ أيُّها البُخْتِيُّ [2] أكرمَ مَنْ تَمشى بهِ المَطِيُّ

فقال : صدق قولك .

وقال مرة: « واللهِ لأشكونَّ سُليمان بن عبد الملك يوم القيامة إلى أمير المؤمنين عبد الملك بن مروان » .

وهذا ضعفٌ شديدٌ وجهلٌ عظيم .

وكان هشام يقول : « واللهِ إني لأستحي من الله أن أُعْطِيَ رجلًا أكثر من أربعة آلاف درهم » .

وقدَّم هشام ابنه سعيدًا على حِمص فَرُمِيَ بالنساء ، فكتب أبو الجعد الطائيّ إلى هشام مع (حِمْصيٍّ) [3] وأعطاه فرسًا على أن يُبلغ الكتاب ، وفيه [4] :

أبلغْ لديكَ أميرَ المؤمنينَ فقدْ أمْدَدْتنَا بأميرٍ ليسَ عِنّينَا
طَوْرًا يخالفُ عَمْرًا في خليلتِهِ وعند راحتهِ يَبغِي الأجرَ والدّينا

فعزله وقال : « يا بنَ الخبيثة ، تزني وأنت ابن أمير المؤمنين ، أعجزتَ أن

1- وردت في المخطوطة [ب] ولم ترد في المخطوطة [و] .
2- البُخْت : لفظ معرَّب بمعنى: الإبل الخراسانية ، ومفردها : بُخْتِيّ .
3- وردت في المخطوطة [و] (يحيى) وفي المخطوطة [ب] (خصيّ) وقد صوَّبناها من (العقد الفريد) جـ4 ص 448 ، وقد وردت في بعض أصول (العقد الفريد) (خصيّ) إلا أن الأصح هو ما أُثبت في المتن وأثبتناه هنا .
4- ورد البيتان في (العقد الفريد) على النحو التالي :

أبلغ لديك أمير المؤمنين فقد أمددتنا بأمير ليس عنينا
طوراً يخالف عمراً في خليلته وعند ساحته يسقى الكلادينا

ابن عبد ربه جـ 4 ص 448 .

تفجرَ فجورَ قريش قبل هذا ؟ . وأظنه قال [1] : هذا لا يلي لي عملًا أبدًا [2] .

وحسبك من عبد الملك بن مروان قيامه على منبر الخلافة وهو يقول : * «ما أنا بالخليفة المُسْتَضْعَف ، ولا بالخليفة المُداهِن ، ولا بالخليفة المأفون» [3] .

وهؤلاء هم سَلَفُهُ وأئمته ، وبشُفعتهِمْ قام هذا المُقام وبتأسيسهم وتَقَدُّمِهِمْ نال تلك الرياسة . ولولا العادة المتقدمة ، والأجنادِ المُجنَّدة ، والصنائع القائمة ، لكان أبعد خلق الله عن ذلك المقام ، فالمُستضعَف عنده عثمان بن عفان - رضي الله عنه - ، والمُداهِن عنده معاوية - رضي الله عنه [4] - ، والمأفون عنده يزيد بن معاوية .

والضعيف لا يكون خليفة ، لأنه الذي ينال القويُّ منه عند انتشار الأمر عليه ، والمُداهِن لا يكون إمامًا ، ولا يُوثَقُ منه بعقدٍ ، ولا بوفاءِ عهدٍ ، ولا بضميرٍ صحيحٍ ، ولا بِخُلُقٍ كريمٍ ، والمأفون لا يكون إمامًا .

وهذا الكلام نَقْضٌ لسلطانهِ ، وعداوةٌ لأهلهِ ، وإفسادٌ لقلوبِ شيعتهِ ، وقُرَّةُ عينِ عَدُوِّهِ ، وعجزٌ في رأيهِ ، فإنه لم يقدر على إظهار قُوَّتهِ إلا بأن يُظْهِرَ عجزَ أئمتهِ .

* * *

1- وردت في المخطوطة [ب] (وما أخذ مالي) والمثبت في المتن ما ورد في المخطوطة [و] .
2- في رواية (العقد الفريد) جـ4 ص 448 ورد الخبر على النحو التالي : «فلما قرأ الكتاب بعث إلى سعيد فأشخصه ، فلما قدم عليه علاه بالخيزرانة وقال : يا بن الخبيثة ، تزني وأنت ابن أمير المؤمنين ، ويلك! أعجزت أن تفجر فجور قريش؟ أَوَتَدْرِي ما فجور قريشٍ لا أُمَّ لك ؟ قتل هذا وأخذ مال هذا، واللهِ لا تلي لي عملاً حتى تموت . قال : فما ولي عملاً حتى مات».
3- ورد في الهامش الأيمن للمخطوطة [و] شرح للفظ المأفون بأنه (الضعيف العقل والرأي والمُتمدِّح بما ليس عنده) ا هـ.
4- لم ترد (رضي الله عنه) إلا في المخطوطة [و] .

في أصل المنافرة

بين بني هاشم وبني أمية (•)

(•) العنوان من عندنا.

قد كانت المنافرة لا تزال بين بني هاشم وبني عبد شمس ، بحيث إنه يقال : إن هاشمًا وعبد شمس وُلِدَا توءمين ، خرج عبد شمس في الولادة قبل هاشم ، وقد لصقت إصبع أحدهما بجبهة الآخر ، فلما نُزعت دَمِيَ المكان ، فقيل : سيكون بينهما أو بين بنيهما [1] دم ، فكان كذلك .

ويقال : إن عبد شمس وهاشمًا كانا يومَ وُلِدَا في بطن واحد ، وكانت جباههما ملتصقة [2] بعضها ببعض ، فَأُخِذَ السيفُ فَفُرِّقَ بين جباههما بالسيف . فقال بعض العرب : ألَا فُرِّقَ ذلك بالدرهم [3] ! فإنه لا يزال السيف بينهم وفي أولادهم إلى الأبد [4] .

1- وردت في المخطوطة [ب] (ولديهما) وفي المخطوطة [و] (بَنِيهما) .

2- وردت في المخطوطة [ب] (ملصقة) وفي المخطوطة [و] (ملتصقة) .

3- الدرهم : لفظ معرَّب ، وهو القطعة من الفضة المضروبة للمعاملة .

4- تعليقاً على ما يذكره المقريزيّ هنا من أن هاشماً وأخاه عبد شمس ابني عبد مناف وُلدا توءمين ملتصقاً أحدهما بالآخر ، ذكر بوزورث في تعليقاته على ترجمته الإنجليزية للنزاع والتخاصم أن صديقاً له نبَّهه إلى أن هذا النوع من القصص الأسطوري المتعلق بالعداوة بين الإخوة التوائم يتوارد في الأدب الشعبي العالمي ، وهو يحيل في ذلك على فهرس لموضوعات الأدب الشعبي المتكررة في آداب الشعوب وهو :

Smith Thompson: Matif–index of folk literatire. Bloomingtons and London, 1966.

وقد ورد موضوع العداء بين التوائم في ذلك الدليل في أكثر من موضع ، فقد ورد تحت رقم (A.511.1.2.1)تحت عنوان (نزاع الإخوة المتعادين ثقافيًا وكيف يكونون كذلك قبل الميلاد) ، كما ورد تحت رقم (T.575.1.3) بعنوان (التوائم يتنازعون في رحم الأم قبل الميلاد)، كذلك ورد برقم (T.85.2.) بعنوان (التوائم المتعادون) وبرقم (F.523)في موضوع (شخصان يولدان بجسد واحد)، وكذلك ورد برقم (N.312) في موضوع (فصل التوائم).

ويضيف بوزورث معلِّقاً على ما يذكره المقريزيّ هنا من عداء هاشم وعبد شمس أن ما ذكره المقريزيّ يستند إلى ما ورد في العهد القديم من العداء بين عيسى ويعقوب ابني إسحاق. انظر: سفر التكوين الإصحاح 25 الآيات 19 – 34 ، والإصحاح 27 ، والإصحاح 28 الآيات 1 – 9) . ويرى لامانس أن مثل هذه القصص عن العداوة المبكرة بين عبد شمس وهاشم اختُرعت متأخراً لكي تشرح الانقسام الذي حدث بعد الإسلام بين الحيين ، لأنه في السنوات الأولى من حياتهما كانت العلاقات طيبة بينهما . =

وكانت المنافرة بين هاشم بن عبد مناف بن قُصَيّ ، وبين ابن أخيه أمية بن عبد شمس بن عبد مناف وسببها : أن هاشمًا كانت إليه الرِّفادة التي سَنَّها جده قُصَيُّ بن كلاب بن مُرَّة مع السِّقاية ، وذلك أن أخاه عبد شمس كان يسافر وقلَّما يقيم بمكة ، وكان رجلًا مُقِلًّا ، وله ولدٌ كثير ، فاصطلحت قريش على أن وَلِيَ هاشم السِّقاية والرِّفادة * وكان هاشم رجلًا مُوسِراً ، فكان إذا حضر موسم الحج قام في قريش فقال : يا معشر قريش ، إنكم جيران الله وأهل بيته ، وإنكم يأتيكم في هذا الموسم زُوَّار الله ، يعظِّمون حُرْمَةَ بيته ، وهم ضيفُ الله ، وأحقُّ الضيفِ بالكرامة ضَيْفُه ، وقد خَصَّكُمُ اللهُ بذلكَ ، وأكرمكم به ، حفظه منكم أفضلَ ما حفظ جارٌ من جارِه، فأكرِموا ضيفَهُ وزُوَّاره ، فإنهم يأتون شُعْثًا غُبْرًا ، من كل بلدٍ ، على ضوامرَ[1] كالقِدَاح[2] وقد أزحفوا [3] وتَفِلُوا [4] وقَمَّلوا [5] وأرملوا [6] ؛ فأَقْرُوهم ، وأغنوهم ، وأعينوهم ». فكانت قريش تُرافِدُ على ذلك حتى كان أهل البيت لَيرسلون بالشيء اليسير على قَدْرهم ، فيضمُّه هاشم إلى ما أَخرجَ من ماله وما جَمعَ مما يأتيه به الناس ، فإنْ عجزَ كمَّله .

= انظر: Lammens, H.: Etudes sur le Régne due Calif Moawiya 1er, PP. 154, flo.

ومهما يكن الأمر فإن هذه الأسطورة قد قُبلت في الأجيال التالية ، على أن العداوة بين هاشم وعبد شمس قديمة .

هذا وقد أورد المقريزيّ هذه القصة عن المصادر العربية القديمة ، فقد وردت عند كثير من المؤرخين السابقين عليه . انظر على سبيل المثال : ابن سعد جـ1 ص 76 ، والطبري جـ2 ص 252 – 254.

1- ورد بهامش المخطوطة [و] (ضوامر جمع ضامر وهو الجمل الذي يهزل) اهـ. والضامر هو القليل اللحم الرقيق ، ويقال للجمل: ضامر ، وناقة ضامر وضامرة.

2- ورد بهامش المخطوطة [و] (والقداح واحدها قدح – بكسر القاف – وهي السهام . وقيل: القدح هو العود إذا قُطع على مقدار النبل) اهـ .

3- ورد بهامش المخطوطة [و] : (ويقال : أزحف الرجل : إذا أعيت إبله) اهـ . وأزحف : أعيا . وأزحفهم السفر أي : أعياهم .

4- ورد بهامش المخطوطة [و] (وتفل: إذا ترك الطِّيب) اهـ. وتَفِلوا :تغيَّرت رائحتهم .

5- ورد بهامش المخطوطة [و] (وقمَّل : إذا كثر قمله) .

6- ورد بهامش المخطوطة [و] (وأرملوا : احتاجوا . يقال : رجل أرمل ، وامرأة أرملة محتاجة) اهـ. وأرملَ فلان أي : نفد زاده وافتقر .

وكان هاشم يُخْرِجُ في كل سنة مالًا كثيرًا ، وكان قوم من قريش يترافدون وكانوا أهل يسار ، فكان كل إنسان منهم ربما أرسل بمائة مثقال هِرْقليَّة [1] ، وكان هاشم يأمر بحياض من أَدَم ، فتُجعل في موضع زمزم من قبل أن تُحفر زمزم [2] ، ثم يُستقى فيها من الآبار التي بمكة فيشرب الحاج .

وكان يُطعمهم أولَ ما يُطعمهم قبل يوم التروية [3] بيوم بمكة ، ويُطعمهم بِمِنَى وبعرفة وبجَمع ، فكان يثرد [4] لهم الخبز واللحمَ ، والخبزَ والسَّمْنَ ، والسَّمْنَ والسَّويقَ[5] ، والسَّويقَ [6] والتمرَ ، ويحمل لهم الماء حتى يتفرق الناس لبلادهم ، وكان هاشم يُسمَّى عَمْرًا ، وإنما قيل له هاشم لهشمه الثريدَ بمكة ، وكان أولَ مَنْ أطعم الثريدَ بمكةَ [7] . وكان أمية بن عبد شمس ذا مال فتكلَّف أن يفعل كما فعل هاشم من إطعام قريش فعجزَ عن ذلك ، فشمتَ به ناسٌ من قريش وعابوه ، فغضبَ ، ونَافَرَ [8] هاشمًا على خمسين ناقة سُود الحَدَق [9] تُنحر بمكة ،

1- مثقال هرقلية : هي الدينار الذهبيّ البيزنطيّ . وكان العرب يستخدمونه في معاملاتهم قبل الإسلام.

2- كُشفت زمزم حسبما ترويه المصادر التاريخية على يد عبد المطلب بن هاشم .
انظر : ابن هشام في (السيرة النبوية) جـ1 ص 148 وما بعدها ، وابن سعد جـ1 ص 83 ، والطبري جـ2 ص 251 .

3- يوم التروية : في الحج ، وهو اليوم الثامن من ذي الحجة ، وكان الحُجَّاج يرتوون فيه بالماء قبل الذهاب إلى مِنَى .

4- يثرد : يفت الخبز ثم يبله بالمرق أو اللبن أو أي سائل آخر .

5- السويق : طعام يتخذ من مدقوق الحِنْطة والشعير ، وسُمِّيَ بذلك لانسياقه في الحلق .

6- كلمة (السويق) الثانية لم ترد في المخطوطة [ك] .

7- قصة إطعامه الثريد بمكة فيما يروي الرواة أن قريشاً أصابتها مجاعة فرحل هاشم إلى فلسطين فاشترى منها الدقيق وقدم به مكة فأمر به فخُبِزَ له، ونحر جُزُرًا (جمع جَزُور) ، ثم اتخذ لقومه ثريداً بذلك الخبز ؛ فسُمِّيَ لذلك هاشماً ، وكان اسمه من قبل عمراً .
انظر : ابن سعد جـ 1 ص 75 ، 76 ، والطبري جـ2 ص 251 ، 252 .

8- نافر : خاصم أو فاجر .

9- الحدق : جمع الحدقة وهي السواد المستدير وسط العين .

وعلى جلاء عشر سنين، وجعلا بينهما الكاهن الخُزاعيّ جد عمرو بن الحَمِق[1]، وكان منزله عسفان[2] ، وخرج مع أُميَّة أبو همهمة حبيب بن عامر بن عميرة بن وديعة بن الحارث بن فهر بن مالك الفهريّ . فقال الكاهن : « والقمرِ الباهر ، والكوكبِ الزاهر * والغمام الماطر ، وما بالجوِّ من طائر ، وما اهتدى بعَلَم [3] مسافر ، من مُنْجِدٍ [4] وغائرَ [5] ، لقد سبق هاشمٌ أُميَّةَ إلى المآثر ، أول منه وآخِر ، وأبو همهمة بذلك خابِر » .

فأخذ هاشم الإبل فنحرها وأطعم لحمها مَنْ حضر ، وخرج أمية إلى الشام فأقام به عشر سنين .

فكان هذا أول عداوة وقعت في بني هاشم وبني أُميَّة .

ولم يكن أُميَّة في نفسه هناك [6] ، وإنما رفعه أبوه وبنوه ، وكان مضعوفًا، وكان صاحب عِهَار ، يدل على ذلك قول نُفَيل بن عبد العُزَّى [7] جد أمير المؤمنين عمر ابن الخطاب – رضي الله تعالى عنه – ، حين تَنافَرَ إليه حَرْبُ بن أُميَّة وعبدُالمطلب ابن هاشم ، فنفرَ عبدُ المطلب وتعجَّبَ من إقدامه عليه وقال :

1- عمرو بن الحَمِق بن الكاهن بن حبيب بن عمرو من خزاعة .
انظر : ابن سعد جـ 6 ص 25 .

2- عسفان : هي منهلة من مناهل الطريق بين الجُحفة ومكة ، وقيل : قرية على بعد ثلاثين ميلاً من مكة ، وهي حد تهامة .
انظر : ياقوت الحموي في (معجم البلدان) جـ6 ص 173 ، 174 . والبكري في (معجم ما استعجم) جـ 3 ص 942 ، 943 .

3- عَلَم : جبل .

4- المراد بالمنجد : الذاهب إلى نجد ، أي : السائر إلى الشرق أو الشمال الشرقي من مكة .

5- الغائر : هو الذاهب إلى غور تهامة ، وهو الشريط الساحلي للجزيرة على البحر الأحمر . والمراد : المتجه غرباً .
انظر : تعليقات بوزورث ص 121 .

6- يراد بظرف (هناك) الوارد في النص أنه لم يكن بتلك المكانة التي يستطيع بها منافسة عمه هاشم ، وقد يرد هذا اللفظ (هنالك) فنقول: إن (فلاناً) يقول كذا وكذا وليس بهنالك . والمراد أنه ليس بالمستوى الذي يسمح له بأن يقول ذلك .

7- نُفيل بن عبد العُزَّى بن رباح بن عبد الله بن قرط بن رَزّاح بن عَدِيّ بن كعب .
انظر : الزبيري في (نسب قريش) ص 346 – 348 ، وابن حزم ص 150 – 152.

أَبوكَ مُعَاهِرٌ وأَبوهُ عَفٌّ وذادَ الفِيلَ عَنْ بلدٍ حَرَامِ

وذلك أن أُميَّة كان يعرض لامرأة من بني زُهْرَةَ [1] ، فضربه رجل منهم (ضربة)[2] بالسيف ، وأراد بنو أُميَّة ومَنْ تابعهم إخراج زُهْرَةَ من مكة ، فقام دونهم قيس بن عَدِيّ السهميّ [3] ، وكانوا أخواله ، وكان منيعَ الجانبِ شديدَ العارضة ، حميَّ الأنف ، أبيَّ النفس ، فقام دونهم وصاح : « أصبح ليلًا ». فذهبتْ مثلًا [4] . ونادى : ألَا إن الظاعن [5] مقيم .

ففي هذه القصة يقول وهب بن عبد مناف بن زُهرة [6]:

مَهـلًا أُمَيَّ فَـإنَّ البَغْيَ مَهلكـةٌ لا يكـسيَـنَّـكَ ثـوبُـا شَـرُّهُ ذَكِـرُ

تَبدو كواكبهُ والشمسُ طالعةٌ يُصَبُّ في الكأسِ مِنْهُ الصَّابُ والمَقِرُ [7]

وصنعَ أُميَّة في الجاهلية شيئًا لم يصنعه أحد من العرب ، زوَّج ابنه أبا عمرو ابن أُميَّة امرأته في حياة منه - والمَقْتِيُّون في الإسلام هم الذين أَولدوا نساءَ آبائِهم واستنكحوهنَّ من بعد (موتهم) [8] ، وأما أن يتزوجها في حياته ، ويَبْنِي عليها وهو يراهُ ، فإن هذا لم يكن قَطُّ ، وأُميَّة قد جاوز هذا المعنى ، ولم يرضَ بهذا المقدار ،

1- هم بنو زُهرة بن كلاب بن مُرَّة . انظر : ابن حزم ص 128 - 135 .

2- وردت في المخطوطة [ب] ولم ترد في المخطوطة [و] .

3- قيس بن عديّ بن سعد بن سهم . انظر ابن حزم ص 165 .

4- لم نستدل على هذا المثل في كتب الأمثال العربية ، ولكن ورد في (فرائد الآل في مجمع الأمثال) للشيخ إبراهيم بن السيد بن علي الأحدب الطرابلسي الحنفي (جـ١ ص ٣٤) مثل آخر قريب منه وهو (أصبحْ ليلُ) وله قصة أخرى ، فقد قالته امرأة من طَيِّئ تزوجها امرؤ القيس فكرهته من ليلته . ويقال في الليلة الشديدة التي يطول فيه الشر ، ويُضرب أيضاً في استحكام الغرض من الشيء .

5- الظاعن : الراحل .

6- وهب بن عبد مناف بن زُهرة : جَدُّ رسول الله ﷺ لأمه . انظر : الزبيري ص 261 .

7- الصَّابُ : شجرٌ مُرٌّ له عصارة بيضاء كاللبن بالغة المرارة . والمَقِرُ : الشيء المر أو الحامض .

8- في المخطوطة [و] وردت (موتهن) وفي باقي المخطوطات وردت (موتهم) وهو الصحيح حيث إن الضمير يعود على آبائهم وليس على نساء آبائهم .

حتى نزل عنها له وزوَّجها منه ، وأبو مُعَيْط بن أبي عمرو بن أُميَّة قد زاد في المَقْت درجتين [1] .

ثم نافرَ حربُ بن أُميَّة عبدَ المطلب بن هاشم من أجل * يهوديٍّ كان في جوار عبد المطلب ، فما زال أُميَّة يُغْرِي به حتى قُتل ، وأُخذَ ماله - في خبرٍ طويل - .

* * *

1- وردت العبارة التالية في هامش المخطوطتين [و ، ك] كما وردت في المخطوطة [ت] داخل مربع إشارة إلى أنها ليست في المتن : (وقد روى سُفينة عن أم سلمة أنه قال لها إن بني أمية يزعمون أن الخلافة فيهم . فقالت : كذبت أسناد بني الزرقاء ، بل هم ملوك ومن شر الملوك . ويقال إن الزرقاء هذه هي أم بني أمية بن عبد شمس واسمها «أرنب» وكانت في الجاهلية من صواحب الرايات) اهـ . وصواحب الرايات هن البغايا في الجاهلية .

عداوتهم

للرسول والإسلام (•)

(•) العنوان من عندنا.

تمادت العداوة بين البيتين حتى قام سيِّد بني هاشم ، أبو القاسم محمد بن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم - رسول الله ﷺ - بمكة يدعو قريشًا إلى توحيد الله - جلَّت قدرته - ، وتَرْكِ ما كانت تعبد من دون الله ، فانتدبَ لعداوته ﷺ جماعةٌ من بني أُميَّة .

***

[أبو أُحَيْحَة] (•)

منهم أبو أُحَيْحَة سعيد بن العاص بن أُميَّة حتى هلكَ على كفره بالله في أول سنةٍ من الهجرة أو في سنةِ اثنتين وهو يحادُّ الله ورسوله .

***

[عُقبة بن أبي مُعَيْط] (•)

ومنهم عُقْبَة بن أبي مُعَيْط أَبَانِ بن عمرو بن أمية ، وكان أشدَّ الناس عداوةً لرسول الله ﷺ وأذًى ، إلى أن قاتلَ يوم بدر فأُتي به إلى رسول الله ﷺ وقد أُسر ، فأمرَ بضرب عُنقه ؛ فجعل يقول : يا ويلتي عَلَامَ أُقْتَلُ (يا معشر قريش أَأُقْتَلُ) [1] من بين هؤلاء ؟ فقال رسولُ الله ﷺ : لعداوتك لله ولرسوله . فقال : يا محمد ، منك أفضل ، فاجعلني كرجل من هؤلاء من قومي وقومك ، يا محمد ، مَنْ للصِّبية ؟ فقال صلى الله عليه وسلم : النار . وضَرَبَ عُنُقَهُ .

(•) العنوانان من عندنا .

1- العبارة بين القوسين وردت في المخطوطة [ب] ولم ترد في المخطوطة [و] .

وقيل إن رسولَ الله ﷺ أمرَ به فصُلِبَ؛ فكان أولَ مصلوبٍ في الإسلام [1] .

وقال عطاء (عن) [2] الشَّعْبِيّ : إن رسولَ اللهِ ﷺ قال لعُقْبة بن أبي مُعيط يومَ بدر : واللهِ لَأَقتُلَنَّك . فقيل : أتقتله من بين قريش ؟ قال : نعم ، إنه وَطِئَ على عنقي وأنا ساجدٌ ، فما رفعتُ حتى ظننتُ أن عيني قد سقطتْ ، وجاء يومًا - وأنا ساجدٌ - بِسَلَى [3] شاةٍ ، فألقاهُ على رأسي ؛ فأنا قَاتِلُه [4] .

***

[الحكم بن أبي العاص] (•)

ومنهم الحكم بن أبي العاص بن أُميَّة ، وكان عارًا في الإسلام ، وكان مؤذيًا لرسول الله ﷺ بمكة ، يشتمه ويُسْمِعه ما يكره ، فلما كان فَتْحُ مكة أظهرَ الإسلامَ خوفًا من القتل ، فلم يحسن إسلامه ، وكان مغموصاً [5] عليه في دينه .

1- وردت هذه الرواية عند البلاذري في (أنساب الأشراف) جـ1 ص 147 ، 148 . ولم نعثر على قصة الصلب في أي من المصادر الأخرى .

2- وردت في المخطوطة [و] (وقال عطاء بن الشعبي) وفي باقي المخطوطات (وقال عطاء عن الشعبي) وهو الصحيح .

وعطاء : هو عطاء بن السائب بن مالك الكوفي ، وهو الوحيد الذي روى عن الشعبي من الذين يحملون اسم (عطاء) .

انظر : ابن حجر العسقلاني في (تهذيب التهذيب) جـ7 ص 203 .

أما الشعبي فهو أبو عمرو عامر بن شُراحبيل بن عبد ذي قار ، من حِمْيَر ، وهو كوفي .

3- السَّلَى : غشاء رقيق يحيط بالجنين ويخرج معه من بطن أمه .

4- وردت الرواية كلها في (أنساب الأشراف) للبلاذري جـ 1 ص 147 ، 148 . وانظر كذلك رواية الأصفهاني في (الأغاني) جـ1 ص 18 - 21 .

(•) العنوان من عندنا .

5- ورد في هامش المخطوطتين [و ، ك] (غمصه ، يغمصه ، غمصاً : حقره . ورجل مغموص عليه في دينه ، أي : مطعون عليه) ا هـ.

ثم قدم المدينة فنزل على عثمان بن عفان بن أبي العاص بن أُميَّة ، وكان يطالعُ * الأعرابَ والكفارَ بأخبار رسول الله ﷺ .

وبَيْنَا رسول الله ﷺ يمشي ذاتَ يوم ، مَشَى الحَكَمُ خلفه فجعل يختلج بأنفهِ وفمهِ ، كأنه يُحاكي رسولَ الله ﷺ ، ويتفكَّكُ ويتمايل ، فالتفتَ رسولُ الله ﷺ فرآه ، فقال له : كُنْ كذلك . فما زال بقيَّةَ عمره على ذلك .

واطَّلعَ يومًا على رسول الله ﷺ وهو في حُجْرة بعضِ نسائه ، فخرج إليه بعَنَزَةٍ ، فقال : مَنْ عَذِيرِي [1] في هذا الوَزَغَة [2] ؟! لو أَدركتُهُ لفقأتُ عينه [3] .

وقال زهير بن محمد عن صالح عن [4] أبي صالح قال : حَدَّثَني نافع (بن)[5] جُبير بن مُطْعِم عن أبيه ، قال : كنا مع النبي ﷺ ، فمَرَّ الحَكَمُ بن أبي العاص فقال النبي ﷺ : « ويلٌ لأُمَّتي مما في صُلْبِ هذا » [6] .

ثم إن النبي ﷺ لعنه وما ولد ، وَغَرَّبَهُ عن المدينة ، فلم يَزَلْ خارجًا عنها بقية حياة رسول الله ﷺ ، وخلافة أبي بكر وعمر - رضي الله عنهما - . فلما استُخلف

1- العَنَزَة (بفتح العين والنون والزاي) أطول من العصا وأقصر من الرمح ، في أسفلها زُجٌّ كزُجِّ الرمح . ومَنْ عَذِيرِي في فلان ، أي : مَنْ يَعْذِرُني في أمره إذا جازيتُه على صُنعه ، ولا يلومُني على ما أفعلُه .

2- الوزغة : نوع من الزواحف . وجمعها: الوَزَغ ، وهي الأبراص السامة .

3- وردت الرواية عند البلاذري في (أنساب الأشراف) جـ 1 ص 124 ، 151 .

4- في المخطوطة [ب] (عن صالح بن أبي صالح) وفي المخطوطة [و] (عن صالح عن أبي صالح) وهو الصحيح لأن صالحاً روى عن أبيه ، ولكنه لم يروِ عن نافع وهو صالح بن أبي صالح ذكوان السمان أبو عبد الرحمن المدني . انظر : ابن حجر جـ 4 ص 394 .

5- في المخطوطة [و] (حدثني نافع عن جُبَيْر بن مُطْعِم عن أبيه) ، وفي باقي المخطوطات (حدثني نافع بن جبير بن مطعم عن أبيه) وهو الصحيح لأن المعنى الأول لا يستقيم . انظر ترجمة نافع بن جُبَيْر بن مُطْعِم بن عَدِيّ بن نوفل في : ابن سعد جـ 5 ص 206 ، 207 ، وابن حَجَر جـ 10 ص 404 ، وترجمة جبير بن مطعم في : ابن عبد البر (القسم الأول) ص 232 ، 233 هـ ، وابن حَجَر جـ 2 ص 63 .

6- لم نتمكن من الاستدلال على هذا الحديث بمراجعة (المعجم المفهرس لألفاظ الحديث النبوي) لفنسنك وآخرين ، و(مفتاح كنوز السنة) لفنسنك .

عثمان - رضي الله عنه - ردَّه إلى المدينة وولده ؛ فكان ذلك مما أنكره الناس على عثمان ، وكان أعظم الناس شُؤْمًا على عثمان ، فإنهم جعلوا إدخاله المدينةَ بعد إطرادِ النبيِّ إيَّاه ، وبعد امتناع أبي بكر وعمر عن ذلك ، من أكبر الحُجَج على عثمان - رضي الله عنه - ، ومات في خلافته ، فضربَ على قبره فُسْطَاطًا [1] .

وقد قالت عائشة - رضي الله عنها - لمروان بن الحكم : أشهدُ أن رسولَ الله ﷺ لعنَ أباك - وأنتَ في صُلبِهِ - [2] .

وقال عبد الرحمن بن حسَّان بن ثابت لمروان بن الحكم [3] :

إنَّ اللَّـعِـينَ أَبَـاكَ فَـارِمِ عِظَـامَـهُ ... إنْ تَـرِمْ تَرِمْ مُخَلَّجًا مجنونَـا

يُضْحِي خَمِيصَ [4] البطنِ مِنْ عَمِلَ التُّقَى ... ويظلُّ مِنْ عَمِلَ الخبيثَ بَطِينا

* * *

1- أورد البلاذري هذه الرواية في (أنساب الأشراف) جـ 1 ص 151 ، كما أورد الطبري خبر رد عثمان إياه إلى المدينة (جـ 4 ص 347).

وقد ذكر بوزورث - في تعليقاته على ترجمته الإنجليزية للنزاع والتخاصم، حول موضوع الفسطاط الذي يقال إن عثمان قد ضربه على قبر الحكم - : إنَّ ضربَ الفساطيطِ والقِباب على قبور الموتى كان عادة جاهلية انتقلت إلى الإسلام ، فقد كان الجاهليون إذا توفي رجل عزيز عليهم يضربون فُسْطَاطًا أو قبة على قبره تعبيرًا عن حزنهم ، وإظهارًا لقدره .

انظر : ترجمة بوزورث ص 123 ، وقد أشار جولدتسيهر كذلك في دراساته الإسلامية إلى هذه الظاهرة . انظر : . Jgnaz Goldziher : Muhammadanis chestudein , I , 254

2- انظر : ابن عبد البر (القسم الأول) ص 360 .

3- ورد هذان البيتان ضمن أبيات وردت في ديوان عبد الرحمن بن حسَّان الأنصاريّ ، طبعة بغداد 1976م ، ص 63 ، وعند ابن عبد البر (القسم الأول) ص 360 ، وعند البلاذري في (أنساب الأشراف) جـ 1 ص 151 .

وانظر كذلك : ترجمة بوزورث للنزاع والتخاصم ص 123 ، وترجمة فوس (Vos , Yerardus) الألمانية للنزاع والتخاصم في تعليقه على هذه الأبيات .

4- خَميصُ البطن : جائعٌ خالي البطن .

مروان بن الحكم (•)

وكان الحَكَم هذا يقال له طريد رسول الله ولَعِينه ، وهو والد مروان بن الحكم الذي صارت الخلافةُ إليه بالغلبةِ ، وتوارثها بنوه من بعدِه ، وكان رجلًا لا فِقْهَ له ، ولا يُعرف بالزهدِ ، ولا بروايةِ الآثار ، ولا بصحبةٍ ، ولا ببُعد هِمَّةٍ ، وإنما وَلِيَ رستاقًا[1] من رساتيق درابجرْد [2] * لابن عامر [3] ، ثم وَلِيَ البحرين لمعاوية . وقد كان جَمَعَ أصحابه ومَنْ تَابَعَهُ ليبايع ابنَ الزبير حتى ردَّه عبيد الله بن زياد .

وقال يوم مرج راهط [4] والرءوس تُنبذ عن كواهلها [5] :

ومَاذا لَهُمْ غيرُ (حِينٍ) [6] النفو سِ أيّ غُلَامَيْ قُرَيشٍ غُلِبْ

وهذا كلام من لا يستحق أن يلي رُبْعًا من الأرباع ولا خُمْسًا من الأخماس [7].

(•) العنوان من عندنا .

1- رستاق : موضع فيه مزارع أو بيوت مجتمعة ، وهو قسم من الأقسام الإدارية في التنظيم الإداري الإيراني وقد أقره العرب عندما فتحوا فارس .

2- درابجرْد : بفارس . انظر : ياقوت الحموي جـ 4 ص 46 .

3- هو عبد الله بن عامر بن كُرَيْز بن حبيب بن عبد شمس بن عبد مناف بن قصيّ .
انظر : ابن سعد (طبقات) جـ 5 ص 44 – 49 .

4- يوم مرج راهط : الموقعة التي وقعت بين الضحاك بن قيس ومروان بن الحكم عند مرج راهط عندما خلع الضحاك طاعة بني أمية وأظهر البيعة لابن الزبير ، وقد وقعت سنة 64 هـ .
انظر : الطبري جـ 5 ص 535 وما بعدها .

5- أورد الطبري هذا البيت في حوادث سنة 64 هـ منسوبًا إلى مروان بن الحكم عندما مر برجل قتيل في المعركة ، وفي رواية الطبري اختلاف في الشطر الثاني فقد أورده على النحو التالي :
وماذا لهم غير حين النفو س أي أميري قريش غلب (الطبري جـ5 ص 538) .

6- وردت في المخطوطة [و] (حبس) ، وفي باقي المخطوطات (حين) . والحين : هو الهلاك أو المحنة .

7- الأرباع والأخماس هي الأقسام القبلية التي قُسِّمت إليها الأمصار الإسلامية الأولى ، فكان المسلمون إذا اختطوا مِصْرًا أرباعًا أو أخماسًا واختصوا كل قبيلة بقسم ، فالكوفة مثلًا قُسِّمت إلى أرباع ، والبصرة إلى أخماس . وأرباع الكوفة هي ربع أهل العالية ، وربع تميم ، وربع =

(ومما يُروى عن معاوية وعناده للمسلمين ومعاكسته للإسلام أن النبي ﷺ كان بعث إلى أهل فَدَك في سنة سبع من الهجرة يدعوهم إلى الإسلام فصالحوه على نصف القرية . فَقَبِلَ منهم ذلك وصار نصف فَدَك خالصًا لرسول الله صلى الله عليه وسلم لأنه لم يوجف المسلمون عليه بخيلٍ ولا رِكَابٍ ، يصرف ما يأتيه منها على أبناء السبيل . وفعلَ مثله الخلفاء الراشدون ، فلما وَلِيَ معاوية الخلافة أَقْطَعَهَا مروانَ بن الحكم هذا فوهبها مروانُ لبنيه) [1] ، فكان مروان هذا [2] أول من شَقَّ عصا الإسلام بغير تأويل . (وقال لخالد بن يزيد بن معاوية - وأم خالد [3] يومئذٍ عنده - : اسكتْ يا بنَ الرطبة . فكان حتفه في هذه الكلمة) [4] .

=همدان ، وربع ربيعة ، أي : بكر بن ربيعة ، وكندة ومَذْحج وأسد ، وأخماس البصرة هي خُمْس أهل العالية وخمس تميم ، وخمس بكر بن وائل وخمس عبد القيس وخمس الأزد .

انظر : Louis Massignon : Explication du plan du Kufa Melanges Maspero III , Orient Islamique , Le Caire , 1945–40 pp . 349 ff

وقد أعيد نشر هذا البحث في مجموعة الأعمال الصغرى للويس ماسينيون :

Opera Minora , Paris , 1969 , III , pp 39 ff

وكذلك انظر :

Charles Pellat : Le milieu Basrien etla formation du Gahiz , Paris , 1954 , p . 23 - 24

1- الفقرة بين القوسين وردت في النص العربي المطبوع كما وردت بهامش المخطوطة [ك] (ص13). وقد تكون زيادة من الناسخ أو تكون واردة في الأصل المنقول عنه تلك المخطوطة، ولم نستطع الوصول إليه ، ولم يورد بوزورث ترجمة لهذه الفقرة لأنها غير واردة في الأصل الذي اعتمد عليه وهو مخطوطة لَيْدَن .

2- وردت (هذا) في المخطوطة [و] فقط .

3- أم خالد هي : أم هاشم بنت أبي هاشم بن عتبة بن ربيعة . تزوجها يزيد بن معاوية ، وأنجبت له معاوية وأبا سفيان وخالدًا - وبه تكنى - . وتزوجها مروان بن الحكم بعد وفاة يزيد . انظر : الزبيري ص 128 ، 129 ، وابن حزم ص 77 .

4- هذه العبارة لم ترد في المخطوطة الأم ووردت في باقي المخطوطات .

وقد ذكر ابن عبد البر في ترجمة مروان بن الحكم (القسم الرابع) ص 1387 - 1390 الخبر الوارد في هذه العبارة ، ويروى أن أم خالد سَمَّتْ مروان بسبب هذه الكلمة (القسم الرابع) ص1389 . ويعارض لامانس هذه الفكرة . انظر : بوزورث ، التعليق رقم 28 .

وكتب عبد الملك بن مروان إلى محمد بن الحنفية : من عبد الملك أمير المؤمنين إلى محمد بن الحنفية . فلما نظر إلى عنوان الصحيفة استرجع وقال : تَسلَّطَ الطُّلَقَاءُ ولُعَنَاءُ رسول الله ﷺ [1] على سائر الناس ، والذي نفسي بيده إنها لَأُمورٌ لا يَقِرُّ قَرارُها .

***

عُتبة بن رَبيعة (•)

ومنهم عُتْبَة بن ربيعة بن عبد شمس بن أُميَّة ، أحد مَنْ عادى الله ورسوله إلى أن قُتل ببدر كافرًا ، قتله حمزة بن عبد المطلب - رضي الله عنه - . وعُتْبة هذا هو أبو هند بنت عُتْبة التي لَاكَتْ كبدَ حمزة (بن عبد المطلب) [2] - رضي الله عنه - ، ثم لفظتها، واتخذتْ - مما قطعتْ منه - مَسَكَيْنِ [3] ، ومِعْضَدَيْنِ [4] ، وخَدَمَتَيْنِ [5] ، وأعطت وحشيًا[6] قَاتِلَ حمزةَ حُلِيًا كان عليها من وَرِق [7] وجَزْع [8] ، وخواتيم وَرِق

1- يقصد بالطلقاء الإشارة إلى العبارة التي قالها الرسول ﷺ لأهل مكة يوم الفتح : (**اذهبوا فأنتم الطلقاء**) . فأعتقهم بذلك بعد أن كانوا له فيئًا بحق الفتح . فصار أهل مكة يُسَمَّون (الطلقاء) .

انظر : الطبري جـ 3 ص 6 . أما قوله (لُعَناء رسول الله) فإشارة إلى لعن الرسول ﷺ لجد عبد الملك بن مروان ، وهو الحكم بن أبي العاص .

(•) العنوان من عندنا .

2- وردت (بن عبد المطلب) في المخطوطة [ب] ولم ترد في المخطوطة [و] .

3- المَسَكُ : أحد الأساور والخلاخيل من القرون أو العاج أو نحوها .

4- المِعْضَد : كل ما يحيط بالعضد من حلي وغيرها .

5- الخَدَمَة : الخلخال أو كل حلقة محكمة .

6- وحشي بن حرب الحبشي . انظر ترجمته في ابن سعد (طبقات) جـ 7 ص 418 ، 419 ، وابن عبد البر (القسم الرابع) ص 1564 - 1566 .

7- وَرِق - بكسر الراء - هي الفضة المضروبة أو غير المضروبة .

8- الجَزْع : نوع من العقيق يُعرف بخطوط متوازية مستديرة مختلفة الألوان .

كانت في أصابع رجليها . كل ذلك شَمَاتة بحمزة - رضي الله عنه - من أجل أنه قتل أباها عُتبة رأس الكفر (في) [1] يوم بدر . وقيل : بل قتله عُبَيْدة بن الحارث ابن المطلب [2] .

وأنشدت هند [3] :

عَيْنَيَّ جُودَا بدمعٍ سَرِبْ ... على خيرِ خِنْدِفٍ [4] لم ينقلبْ

تَدَاعَى به رَهْطَةٌ قَصْرَةٌ [5] ... بَنُو هاشمٍ وبَنُو المُطَّلِبْ

وقيل إن عليًا - رضي الله عنه - لما فرغَ من الوليدِ بن عُتْبة مَالَ مع عُبيدة على عُتْبة فقتلاه جميعًا [6] .

1- وردت في المخطوطة [ب] ولم ترد في المخطوطة [و] .

2- وردت في المخطوطة [ب] (عُبَيْدة بن الحارث بن عبد المطلب) . والصحيح ما ورد في المخطوطة [و] . وعبيدة بن الحارث بن المطلب من بني المطلب بن عبد مناف .
انظر : ترجمته في ابن سعد (طبقات) جـ 3 ص 50 .

3- ورد البيتان في (سيرة ابن هشام) جـ 2 ص 299 ، 300 ، ضمن مجموعة من الأبيات باختلاف في بعض الألفاظ .

4- خِنْدِف - فيما يقول النسَّابة - هي ليلى بنت حلوان بن عمران بن الحاف بن قُضَاعة امرأة إلياس بن مُضَر ، وقد أطلق اسمها على بنيها ؛ فصار يقال لهم قبائل خِنْدِف . وربما كانت الحقيقة أن خِنْدِف اسم تجمُّع قبليّ كبير اقتصر مع الزمن على أبناء إلياس بن مُضَر ، وهو الفرع الذي انحدرت منه قبيلة كنانة ثم قريش . وقد وردت في (سيرة ابن هشام) (خناف) ، وهو الرجل الغضوب . وربما كان ما ورد في (سيرة ابن هشام) هو الصحيح .

5- القَصْرَة : أصل الشجرة ، وتقال في ابن العمَّة وابن الخالة وابن الخال . وذكر بوزورث في تعليقاته أنهم الأقارب من جهة الأم .

6- هناك أكثر من رواية لواقعة قتل عُتبة . انظر : الواقديّ في (المغازي) ص 63 ، وابن سعد (طبقات) جـ 2 ص 17 - 24 ، والطبريّ جـ 2 ص 426 ، 445 ، 446 .
وحول عُتْبة بن ربيعة يقول محمدُ بن حبيب النسَّابة في كتاب (المحبر) إن عُتْبة بن ربيعة كان واحدًا من المقتسمين الذين أشار إليهم القرآنُ الكريم في سورة الحِجْر (15) آية 90 ، وقال ابن حبيب إن عددهم من بين كفار قُريش كان سبعة عشر رجلًا ، وقد ورد في بعض=

وهند هذه أمرَ رسول الله ﷺ يومَ فتح مكة بقتلها ، فأسلمتْ ، ولما حضرتْ مع النساءِ لتبايع بيعةَ الإسلام كان مما قال لهنَّ رسولُ اللهِ ﷺ : ولا تَقْتُلْنَ أَوْلَادَكُنَّ. فقالت : (رَبَّيْنَاهُمْ) [1] يا محمد * صِغارًا (وقَتلتَهم) [2] كِبارًا .

وهى أم معاويةَ بن أبي سفيان الذي قاتَلَ عليَّ بن أبي طالب - رضي الله عنه - ، وأَخَذَ الخلافةَ من الحسن بن علي - رضي الله عنه - ، واستلحقَ زيادَ بن سُمَيَّة من زنيةٍ . واستخلفَ على الأمةِ ابنه يزيدَ القُرُود ، ويزيدَ الخُمُور .

* * *

الوليد بن عُتبة (•)

ومنهم الوليد بن عُتبة بن ربيعة ، وقُتل ببدر كافرًا ، قَتَله عليُّ بن أبي طالب - رضي الله عنه - . والوليدُ هذا هو خالُ معاوية .

* * *

= كتب التفسير أن المقصود بالمقتسمين في الآيةِ الكريمةِ اليهودُ والنصارى الذين أخذوا بعض الكتاب وتركوا بعضه ، إلا أن ابن هشام يذكر نفس رواية محمد بن حبيب دون تحديد لعتبة ضمن المقتسمين .

انظر : ابن هشام جـ 1 ص 271 – 273 ، وابن حبيب في (المحبر) ص 160 ، 161 .

وانظر كذلك : مختصر تفسير ابن كثير ، جـ 2 ص 318 – 320 .

وانظر كذلك : مختصر تفسير الطبري للتجيبي جـ 1 ص 355 .

1- في جميع الأصول (ربيناهن) ، وهو خطأ .

2- في جميع الأصول (قتلتهن) ، وهو خطأ ، وقد وردت العبارة عند الطبري على النحو التالي : (قد ربيناهم صغارًا وقتلتهم يوم بدر كبارًا ، فأنت وهم أعلم) . الطبري جـ 3 ص 62 .

(•) العنوان من عندنا .

شيبة بن ربيعة (•)

ومنهم شَيْبة بن ربيعة بن عبد شمس ، عمُّ هندٍ ، أُمِّ مُعاوية . وكان يجتمعُ مع قريش فيما يكيدُ رسولَ الله ﷺ من الأذى ، وقَتَلَهُ اللهُ يومَ (بدرٍ) فيمن قُتِلوا من أعدائهِ.

* * *

أبو سفيان صخر (•)

ومنهم (أبو سُفْيَان صَخْر بن حَرْب بن أُميَّة) [1] ، قائدُ الأحزابِ الذي قاتلَ رسولَ اللهِ ﷺ يوم (أُحُد) وقَتل من خيارِ أصحابهِ سبعينَ (ما بين مهاجريّ وأنصاريّ) [2] ، منهم أسدُ الله حمزةُ بن عبد المطلب - رضي الله عنه - .

وقاتلَ رسولَ الله ﷺ (في) [3] يوم الخَنْدَق وكتب إليه : « بِاسْمِكَ اللَّهُمَّ ، أحلفُ باللَّاتِ [4] والعُزَّى [5] و (أساف ونَائِلَة) [6] وهُبَل [7] ، لقد سرتُ إليك أريد

(•) العنوانان من عندنا .

1- وردت في المخطوطة [و] (أبو سفيان بن صخر بن حرب) وهو خطأ ، وقد وردت في باقي المخطوطات (أبو سفيان بن حرب) وهو الصحيح . وورد الاسم خطأ كذلك في هامش المخطوطة [و] وصححناه .

2- وردت في المخطوطة [و] (من مهاجري وأنصاري) وفي باقي المخطوطات (ما بين مهاجري وأنصاري) .

3- كلمة (في) لم ترد في المخطوطة [و] ووردت في باقي المخطوطات .

4- اللات : صنم كان يُعبد في الجاهلية وهو صخرة مربعة بالطائف . انظر : الكلبي (كتاب الأصنام) ص 16 ، 17 ، 27 ، 43 .

5- العُزَّى : شجرة كانت تعبدها قريش وهي أعظم معبوداتهم . الكلبي في (الأصنام) ص 17 ، 27 ، 44 .

6- وردت في جميع المخطوطات (ساف ونائلة) والصحيح ما أثبتناه ، وهما صنمان على صورة تمثالي رجل وامرأة وضعا بجوار الكعبة وعبدتهما قريش وخزاعة . الكلبي (كتاب الأصنام) ص 9 ، 29 .

7- هُبَل : صنم على صورة إنسان مصنوع من العقيق الأحمر وكان أعظم الأصنام بجوف الكعبة. (الأصنام) للكلبي ص 27 ، 28 .

استئصالكم فأراك قد اعتصمتَ بالخندق ، فَكَرِهْتَ لقاءنا ، ولك مِنِّي كيوم أُحُد».

وبعث بالكتاب مع أبي أسامة (الجُشَميّ) [1] فقرأه على النبي ﷺ أُبَيُّ بن كعب - رضي الله عنه - ، فكتبَ إليه رسولُ الله ﷺ :

« قد أتاني كتابُكَ ، وقَدِيمًا غَرَّكَ يا أحمقَ بني غَالب وسَفِيهَهُمْ باللهِ الغُرورُ ، وسَيَحُولُ اللهُ بينك وبين ما تُريد ، ويجعل لنا العاقبةَ . لَيَأْتِيَنَّ عليك يومٌ أكسرُ فيه اللَّاتَ والعُزَّى و (إسافَ)[2] ونائلةَ وهُبَلَ ، يا سفيهَ بني غالب » [3] .

ولم يزل يُحادُّ اللهَ ورسوله حتى سار رسولُ الله ﷺ لفتح مكة ، فأَتى به العبَّاس ابن عبد المطلب -رضي الله عنه- رسولَ اللهِ ﷺ - وقد أَرْدَفَهُ ، وذلك أنه كان صديقه (ونديمه) [4] في الجاهلية ، فلما دخلَ (به) [5] على رسول الله ﷺ سأله أن يُؤَمِّنه ، فلما رآه * رسولُ الله ﷺ قال له: وَيْلَكَ يا أبا سُفْيَان ، ألم يَأْنِ لكَ أن تعلم أنْ لا إله إلا الله تعالى [6]؟ فقال: بأبي أنتَ وأُمِّي ، ما أَوْصَلَكَ وأَحْلَمَكَ[7] وأَكْرَمَكَ ، واللهِ لقد ظننتُ أنه لو كان مع اللهِ غَيْرُه لقد أَغْنَى عنِّي شيئًا . فقال : يا أبا سُفْيَان ألم يأنِ لك أن تعلم أني رسولُ الله تعالى [8] ، فقال : بأبي أنت وأمي ، ما أوصلكَ وأحلمكَ [9] وأكرمكَ ، أما هذه ففي النفس منها شيءٌ . فقال له العبَّاس : وَيْلَكَ ؛ اشْهَدْ بشهادة الحق قبلَ أن يُضْرَبَ عُنُقُكَ . فشَهِدَ وأَسلَمَ .

1- ورد في المخطوطة [و] (أبو أسامة الحبشي) وفي المخطوطة [ط] (أبو أسامة الجهشمي) وفي المخطوتين [ت ، ك] (وأبو أسامة الجُشَمي) وهو الصحيح .
2- ورد في جميع المخطوطات (ساف) . والصحيح : أساف ، أو إساف .
3- انظر : محمد حميد الله (مجموعة الوثائق السياسية في العهد النبوي والخلافة الراشدة) ص 26 ، 27 .
4- لم ترد في المخطوطة [و] ، ووردت في باقي المخطوطات .
5- إضافة من عندنا .
6- كلمة (تعالى) وردت في المخطوطة [و] فقط .
7- في مخطوطات [الفئة ب] وردت (وأجملك) .
8- كلمة (تعالى) وردت في المخطوطة [و] فقط .
9- في المخطوطة [ب] وردت (وأجملك) .

فهذا حديثُ إسلامه (كما ترى) [1] ، واخْتُلِفَ في حُسْن إسلامه ، فقيل إنه شَهِدَ (حُنَيْنًا) مع رسول الله ﷺ ، وكانت الأزلام معه يَسْتَقْسِمُ بها ، وكان كهفًا للمنافقين ، وأنه كان في الجاهليةِ زِنْدِيقًا [2] .

وفي خبر عبد الله بن الزُّبَير أنه رآه يومَ (اليرموك) فكانت الرومُ إذا ظهرتْ قال أبو سفيان : إيهِ بني الأصفر ! [3] فإنْ كَشَفَهم المسلمون قال أبو سفيان [4] :

وبنو الأصفرِ الملوكُ ملوكُ الر ... ومِ لم يَبْقَ منهم مَذكورُ

(فحدَّث به ابنُ الزُّبَير أباه ، فلما فتح الله على المسلمين قال الزبير : قاتله الله يَأْبَى إلا نفاقًا ، أَوَلَسْنَا خيرًا له من بني الأصفر) ؟! [5] .

1- وردت (كما ترى) في المخطوطة [ب] ولم ترد في المخطوطة [و] .

2- الزنديق - كما ورد في القاموس - : من يؤمن بالزندقة . والزندقة في الأصل هي القول بأزلية العالم ، وأطلقت على الديانات الفارسية ، ثم تُوسِّعَ في إطلاق اللفظ بعد ذلك فصار يطلق على كل شاكٍّ أو مُلحد .

وقد أورد بُوزورث في ترجمته الإنجليزية للنزاع والتخاصم رأي المستشرق كيستر في هذا الموضوع نقلاً عن : Kister : Al-Hira, Some notes on its relations with Arabia (Arabica , XV (1968) pp. 144, 145) .

وذهب فيه إلى أن «المزدكية» التي انتشرت في إيران في العصر الساساني في أيام كسرى قوباز (488 - 531 م) ربما تكون قد انتشرت بين العرب الضاربين جنوب شرقيّ العراق وخاصة رؤساء لخم وكِنْدَة. وربما تكون الزَّنْدَقة قد وصلت إلى مكةَ عن طريق العلاقات التجارية بينها وبين بلاد فارس.

وهذا رأي افتراضي ، ومن المحتمل أن يكون اتهامُ أبي سفيان بالزندقة من جملة ما وُصم به من المساوئ أثناء العصر العباسي .

3- كان العرب يطلقون على الروم (بنو الأصفر) وقد أورد ابن خلكان جـ 6 ص 126 تفسيرًا لهذا الاسم ، والراجح أنهم كانوا يُلقَّبون بهذا اللقب لبياض لونهم وغلبة الشقرة فيهم .

4- هذا البيت من جملة أبيات لعَدِيّ بن زيد العبادي . انظر : ديوان عديّ ، ص 84 . وقد ذكر في طبعة المطبعة الإبراهيمية بهامش ص 29 من جملة أبيات للنعمان بن امرئ القيس .

5- اختلفت هذه العبارة بين المخطوطات وقد وردت هكذا في المخطوطة [ب] أما في المخطوطة [و] فقد وردت : (فحَدَّث به ابنُ الزبير وقال : قاتله الله يأبى إلا نفاقًا أولسنا خيرًا له من بني الأصفر) .

(وذكر عبد الرزاق عن ابن المبارك عن مالك بن مغول عن ابن أَبْجَر) [1] قال: لما بُويع لأبي بكر الصديق - رضي الله عنه - جاء أبو سفيان إلى عليٍّ - رضي الله عنه - فقال : « أَغَلَبَكَ على هذا الأمر أقلُّ بيت في قريش ، أَمَا واللهِ لأملأنَّها خيلًا ورجالًا إنْ شئتَ » . فقال علي : « ما زلتَ عدوَّ الإسلام [2] وأهلِهِ ، فما ضَرَّ ذلك الإسلامَ وأهلَهُ شيئًا ، إنَّا رأينا أبا بكر لها أهلًا » .

وذكر المدائنيّ عن أبي زكريا العَجْلانيّ عن (أبي حازم) [3] عن أبي هريرة

1- ورد السند في المخطوطة [ب] على الصورة التي أوردناها في النص ، أما في المخطوطة [و] فقد ورد على النحو التالي :

(ذكر عبد الرزاق عن ابن المبارك بن مغول عن ابن بحر) وهو خطأ من الناسخ على ما يبدو. فابن المبارك هو عبد الله بن المبارك بن واضح الحنظلي التميمي ، وقد رَوَى عن مالك وروى عنه عبد الرزاق بن عمر بن بَزيغ . انظر ترجمة ابن المبارك عند ابن حَجَر العسقلاني جـ 5 ص 382 ، وترجمة عبد الرزاق في نفس المصدر جـ 6 ص 310 .

ومالك بن مغول هو مالك بن مغول بن عاصم بن غُزَيَة بن حارثة البجلي ، ويكنى بأبي عبدالله الكوفي . انظر المصدر السابق جـ 10 ص 22 . وابن أبجر هو عبد الملك بن سعيد بن حيان بن أبجر ، نفس المصدر جـ 6 ص 393 ، وفي الطبري جـ 3 ص 209 (مالك عن ابن الحر).

2- هكذا وردت في المخطوطة [و] ، وفي المخطوطة [ب] (ما زلتَ عدوًّا للإسلام ... إلخ) ووردت العبارة في الطبري جـ 3 ص 209 (طالما عاديت الإسلام وأهله فلم تضرّه بذاك شيئًا) .

3- في المخطوطة [و] (أبي حاتم) وفي المخطوطة [ب] (أبي حازم) وهو الأرجح . هذا والمعروفون من رجال الحديث باسم أبي حاتم ثلاثة :

[أبو حاتم المُزَنيّ الصحابيّ ، ولم يعرف عنه سوى حديث واحد رواه عن الرسول ﷺ مباشرة . انظر : ابن عبد البر ، جـ 4 ص 1625 ، وابن حَجَر جـ 12 ص 63 ، 64 .

وأبو حاتم أشهل بن حاتم الجُمَحيّ البصري ت 208 هـ ، ولم يعاصر أبا هريرة (ت 58 هـ تقريبًا) . انظر : ابن حَجَر جـ 1 ص 360 ، 361 .

وأبو حاتم الرازي (محمد بن إدريس الحنظلي) وهو أحدُ أئمة المحدِّثين وُلد سنة 195 هـ ، ولم يعاصر أبا هريرة هو الآخر . انظر ترجمته : ابن حجَر جـ 9 ص 31 - 34 .

أما من كانت كنيتهم (أبو حازم) فكثيرون . انظر : ابن حجر جـ 12 ص 64 - 66 =

قال: « حج أبو بكر - رضي الله عنه - ومعه أبو سفيان (بن حرب فكَلَّمَ أبو بكر أبا سفيان فرفعَ صوتَهُ ، فقال أبو قحافة : اخفضْ صَوْتَكَ يا أبا بكر عن ابن حرب . فقال أبو بكر : يا أبا قحافة ، إن الله بنى بالإسلام بيوتًا كانت في الجاهلية غيرَ مبنيَّة ، وهدمَ به بيوتًا كانت في الجاهلية * مبنيَّة ، وبيتُ أبي سفيان مما هُدِمَ) [1] . (فليتَ شِعري بعد هذا بأيِّ وجهٍ يُبْنَى بيت أبي سفيان) [2] بعدما هدمه الله تعالى ! [3] .

ورُوي عن الحسن أن أبا سفيان دخل على عثمانَ - رضي الله عنه - حين صارت الخلافةُ إليه ، فقال : قد صارتْ إليك بعد تَيْمٍ وعَدِيٍّ فَأَدِرْهَا كالكرة - وفي رواية : فَتَزَقَّفُوها [4] تَزَقُّفَ الكرة [5] - واجعلْ أوتادَها بني أُميَّة ، فإنما هو المُلك ، وما أدري [6] ما جَنَّةٌ ولا نار . فصاح به عثمان - رضي الله عنه - : قُمْ ، فَعَلَ اللهُ بك وفَعَلَ .

= والأرجح أن يكونَ أحد اثنين عُرف عنهما رواية الحديث عن أبي هريرة وهما : [أبو حازم الأشْجَعيّ] (سلمان مولى عزة الأشجعية) وقد توفي في خلافة عمر بن عبد العزيز ، انظر ابن سعد جـ 6 ص 294 ، وابن حجر جـ 4 ص 140 و جـ 12 ص 64 .
وأبو حازم النمَّار وهو على الأرجح دينار مولى أبي رُهْم الغفاري وهو من صغار التابعين . انظر: ابن عبد البر جـ 4 ص 1626 ، وابن حجر جـ 12 ص 65 . وانظر كذلك في ابن حجر ترجمة سلَمة بن دينار (أبو حازم الأعرج) جـ 4 ص 143 و جـ 12 ص 64 .

1- وردت العبارة بين القَوسين على النحو التالي في المخطوطة [و] : (فرفع صوتَه أبو سفيان ، فقال أبو قحافة : إن الله بنى بالإسلام بيوتًا كانت غير مبنية وهدم بيوتًا كانت في الجاهلية مبنية وبيت أبي سفيان مما هُدم) . وما أثبتناه في المتن هو ما ورد في المخطوطة [ب] .
2- وردت هذه العبارة في المخطوطة [ب] ولم ترد في المخطوطة [و] .
3- كلمة (تعالى) وردت في المخطوطة [و] فقط .
4- تَزَقُّف : تزقف الكرة كتلقفها ، والتزقف هو أخذ الكرة باليد .
وقد أشار بوزورث في تعليقاته على ترجمته الإنجليزية إلى أن العبارة وردت في هامش مخطوطة ليدن (فتزقفوها تزقف الكرة) على حين وردت في هامش مخطوطة إستراسبورج (فتلقفوها تلقف الكرة) .
5- عبارة (وفي رواية فتزقفوها تزقف الكرة) وردت في المخطوطة [و] فقط .
6- وردت في المخطوطة [و] (ما) وفي باقي المخطوطات (لا) .

وأبو سفيان هذا هو أبو معاوية ولم يزل بعد إسلامه يُعَدُّ [1] هو وابنه (معاوية)[3,2] من المُؤَلَّفة [4] .

***

معاوية بن المغيرة (•)

ومنهم معاوية بن المُغيرة بن أبي العاص بن أُميَّة ، وهو الذي جدعَ أنفَ حمزة، ومَثَّل به فيمن مَثَّل ، فلما انهزم يومَ أُحد دَخَل عَلَى عثمان بن عفان -رضي الله عنه- ليُجيره ، وكان رسول الله ﷺ قد أَمَرَ بطلبه ، فأُخرجَ من دار عثمان وأُتِيَ به رسولَ الله ﷺ فوهبه لعثمان وأَقْسَمَ لئنْ وجده بعد ثلاثٍ بالمدينة وما حولها لَيُقْتَلَنَّ . فجهَّزه عثمانُ وسار في اليوم الرابع ، فقال رسول الله ﷺ : إن معاويةَ أصبحَ قريبًا لم يَنْفُذْ ، فاطلبوه واقتلوه . فأصابوه ، فأخذه زيدُ بن حارثة وعمَّارُ بن ياسر فقتلاه . وقيل : بل قتله عليٌّ - رضي الله عنه - .

ومعاوية هذا هو أبو عائشة أُمِّ عبد الملك بن مروان ، فعبدُ الملك بن مروان أعرقُ الناس في الكفر ، لأن أحد أبويه الحكم بن أبي العاص لَعِينُ رسولِ الله ﷺ وطَرِيدُهُ ، والآخر معاوية بن المغيرة .

1- كلمة (بعد) وردت في المخطوطة [و] فقط .

2- حول أخبار أبي سفيان : انظر : الأصفهاني في (الأغاني) جـ 6 ص 351 - 356 .

3- كلمة (معاوية) وردت في المخطوطة [ب] ولم ترد في المخطوطة [و] .

4- (المؤلفة قلوبهم) هم جماعة من سادات العرب عمل الرسولُ ﷺ في أول الإسلام على كسبهم وتألُّفهم بإعطائهم من الصدقات والمغانم لكي يقتنعوا بفضل الإسلام ويُرغَّبوا مَن وراءهم في الدخول فيه ولئلّا تحملهم الحميَّة مع ضعف نياتهم على أن يكونوا أعواناً لأعداء المسلمين ، وقد كان أبو سفيان ومعاوية من ضمن المؤلفة قلوبهم .
انظر : ابن هشام جـ 4 ص 90 .

(•) العنوان من عندنا .

حمَّالة الحطب (•)

ومنهم حَمَّالة الحطب واسمها أم جميل بنت حرب (بن أمية) [1] ، كانت تحمل أغصان العِضَاه [2] والشوك فتطرحها على طريق رسول الله ﷺ . قاله الضَّحَّاكُ عن ابن عبَّاس [3] .

وقال مجاهد : حَمَّالة النميمةِ تَحْطِبُ على ظهرها ، وإياها عَنَى الله تعالى في سورة ﴿تَبَّتْ يَدَآ أَبِى لَهَبٍ وَتَبَّ﴾ بقوله : ﴿وَٱمْرَأَتُهُۥ حَمَّالَةَ ٱلْحَطَبِ ۝٤ فِى جِيدِهَا حَبْلٌ مِّن مَّسَدٍ ۝٥﴾[4] . وقيل : عَنَى أن في جيدها سلسلة من نار ، أي : من سلاسل جَهنم . والجِيدُ : العُنُق .

* ولما نزلت سورة ﴿تَبَّتْ يَدَآ أَبِى لَهَبٍ وَتَبَّ ۝١ مَآ أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُۥ وَمَا كَسَبَ ۝٢ سَيَصْلَىٰ نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ ۝٣ وَٱمْرَأَتُهُۥ حَمَّالَةَ ٱلْحَطَبِ ۝٤ فِى جِيدِهَا حَبْلٌ مِّن مَّسَدٍ ۝٥﴾[5] قالت امرأة أبي لهب : قد هجاني محمد ، واللهِ لَأهجُوَنَّه . فقالت :

مُذَمَّمًا قَلَيْنَا وَدِينَهُ أَبَيْنَا وَأَمْرَهُ عَصَيْنَا

(•) العنوان من عندنا .

1- لم ترد (بن أمية) في المخطوطة [و] ، ووردت في باقي المخطوطات .

2- ورد في هامش المخطوطة [و] (العِضَاه هو كل شجر له شوك) .

3- وردت في تعليقات بوزورث على ترجمته الإنجليزية لنص النزاع والتخاصم إشارة إلى دراسة قام بها المستشرق U.RUBIN وعنوانها (أبو لهب والسورة 111 ABU-LAHAB AND SURA CXT أي : أبو لهب وسورة المسد) ويقول صاحب هذه الدراسة إنه يستبعد أن امرأة مثل زوجة أبي لهب تحتطب بنفسها مع شرف بيتها . وفسر الآية بأنه ما دام أبو لهب كان يسمى عبد العُزَّى فهو من الذين يعبدون الإلهة العُزَّى ، وأما أم جميل امرأته ربما كانت تحمل الحطب كجزء من طقوس عبادة الإلهة العُزَّى . وهذا تعليل مفتعل لأنه لم يرد لدينا في طقوس عبادة العُزَّى حمل الحطب إليها ، وأصح من ذلك ما ذكره المقريزيّ في النص عن الضَّحَّاك .

4- سورة المسد مكية (111) الآيات 1 و 4 و 5 .

5- سورة المسد (الآيات 1 – 5) .

وأَخَذَتْ فِهْرًا [1] لتضربه به ، فأغشى اللهُ عينَها عنه ورَدَّها بغيظها ، ولم تزل على كفرها حتى هلكت .

وما أحَدٌ من هؤلاء - الذين تَقدَّم ذِكرُهم - إلا وقد بَذَلَ جَهْدَه في عداوةِ رسول الله ﷺ ، وبالغَ في أذى مَنِ اتَّبعه وآمنَ به ونالوا منهم بالشتم وأنواع العذابِ ، حتى فرُّوا منهم مهاجرين إلى بلادِ الحبشة ، ثم إلى المدينة ، وأُغلقت أبوابُهم بمكة، فباع أبو سفيان بن حرب دُورَهم وقَضَى من ثمنها دَيْنًا عليه . وهَمُّوا بقتلِ رسولِ الله ﷺ غيرَ مرة ، وتناظروا في أمرهِ ليخرجوه من مكةَ أو يُقيِّدوه ويحبسوه حتى يهلكَ أو يندبوا لقَتْلِه من كل قبيلةٍ رجلًا حتى يتفرَّق دَمُهُ في القبائل . وبالغَ كلُّ أحدٍ منهم في ذلك بنفسهِ ومالهِ وعشيرته ، ونصبَ لرسول الله ﷺ الحبائل بكل طريق سِرًّا وجَهْرًا ليقتله . فلما أَذِنَ اللهُ سبحانه [2] له في الهجرة، وخرج من مكةَ ومعه صاحبه أبو بكر الصديق - رضي الله عنه - إلى غار ثور ، فجعلوا لمن جاء بهما أو قتلهما دِيَتَهما ، ويقال : جعلوا له مائةَ بعيرٍ، ونادوا بذلك في أسفل مكةَ وأعلاها . كلُّ ذلك كان حسدًا منهم لرسول الله صلى الله عليه وسلم وبَغْيًا ، ويأبى الله إلا تأييد رسوله ﷺ وإعلاءَ كلمتهِ حتى صَدَقَ اللهُ وَعْدَه ، ونَصَرَ عَبْدَه ، وأَعَزَّ جُنْدَه ، وهزمَ الأحزابَ وَحْدَه ، وظَهَرَ أمرُ الله وهم كارهون . كما ذكرتُ ذلك ذكرًا شافيًا في كتاب (إمتاع الأسماع بما للرسول من الأبناء والأموال والحَفَدة والمَتَاع) ﷺ [3] .

ولله دَرُّ القائل [4] :

1- الفِهْرُ : هو الحَجَرُ قَدْرَ ما يُدَقُّ به الجَوْزُ ونحوه . أو هو الحجر الناعم الصُّلْب .

2- كلمة (سبحانه) وردت في المخطوطة [و] فقط .

3- المقريزيّ (إمتاع الأسماع بما للرسول من الأبناء والأموال والحفدة والمتاع) جـ 1 ، والمقصود هنا ما ذكره المقريزيّ تفصيلًا في الجزء الأول من كتابه المذكور حول إيذاء قريش للرسول ﷺ وللمسلمين وعداوتهم للإسلام وتآمرهم عليه . انظر : ص 18 - 44 .

4- في المخطوطة [ب] (ولله دَرُّ من قال) .

* عَبْدُ شَمْسٍ قَدْ أَضْرَمَتْ لبني هـا شم حَرْبًا يَشِيبُ مِنْهَا الوَليدُ
فابنُ حَرْبٍ للمُصْطَفَى وابنُ هندٍ لعلـيٍّ وللحسيـنِ يَـزِيـدُ

وما الأمر إلا كما قال الأخطل [1] :

إنَّ العَداوةَ تَلْقَاها وإنْ قَدُمَتْ كالعُرّ [2] يَكمنُ أَحيانًا ويَنتشرُ

* * *

1- نص هذا البيت كما يورده المقريزيّ مطابق لما ورد في (الكامل) للمُبَرِّد جـ 2 ص 310. وقد ورد البيت كذلك في (العقد الفريد) جـ 1 ص 251 ، باختلافٍ في النص كما ورد في (ديوان الأخطل) طبعة الأب صالحاني ، بيروت 1891م ، ص 105 مع اختلاف طفيف في النص حيث ورد :

بنـي أميـة إني ناصح لكـم فـلا يَبِيتَنَّ فيكم آمنًا زَعِـرُ
إن الضغينة تلقاها وإن قدمت كالعر يكمن حيناً ثم ينتشر

والأبيات ضمن قصيدة طويلة للأخطل يمدح فيها عبد الملك بن مروان ويهجو قيساً وبني كليب ومطلعها :

خف القطين فراحوا منك أو بكروا وأزعجتهم نوى في حدقها غير

2- ورد في هامش المخطوطة [و] (العر - بفتح العين وضمها - : الجرب) .

إبعاد الرسول ﷺ لبني أمية عنه وإخراجهم من ذوي قرباه (•)

(•) العنوان من عندنا.

وأقول : هذا رسول الله ﷺ قد أبعدَ بني أُميَّة (عنه) [1] وأخرجَهم من ذوي قُرْبَاه ، كما خرَّجه الإمام أبو عبد الله محمد بن إسماعيل البخاريّ رحمه الله تعالى[2] في كتاب فَرْض الخُمس من (الجامع الصحيح) [3] فقال : « حدَّثنا عبدالله بن يوسف حدَّثنا الليثُ عن عقيل عن ابن شهاب عن سعيد بن المُسَيِّب عن جُبَير بن مُطْعِم ، قال : مَشيتُ أنا وعثمان بن عفان - رضي الله عنه - إلى رسول الله ﷺ فقلنا: يا رسولَ الله أعطيتَ بني المُطَّلِب وتركتنا ونحن وهم منك بمنزلةٍ واحدةٍ ؟ فقال رسول الله ﷺ : إنما بنو المُطَّلِب وبنو هاشم شيء واحد . وقال الليثُ : حدَّثني يونس وزاد : قال جُبير : لم يُقَسِّم النبي ﷺ لبني عبد شمس ولا لبني نوفل . وقال ابن إسحاق : وعبدُ شمسٍ وهاشمٌ والمُطَّلِبُ إخوةٌ لأم ، [وأمهم][4] (عَاتِكة بنت مُرَّة) [5] ، وكان نوفل أخاهم لأبيهم » [6].

وذكره البخاريّ في (مناقب قريش) أيضًا [7] :

وقال في (غزوة خَيْبَر) : « حدَّثنا يحيى بن بكير ، حدَّثنا الليثُ عن يونس عن ابن شهاب عن سعيد بن المسَيِّب أن جُبَيْر بن مُطْعِم أخبره ، قال : أتيت (أنا)[8] وعثمان إلى النبي ﷺ فقلنا : أعطيتَ بني المُطَّلِب من خُمُس (خَيْبَر)

1- كلمة (عنه) لم ترد في المخطوطة [و] ، ووردت في باقي المخطوطات .

2- كلمة (تعالى) وردت في المخطوطة [و] ولم ترد في باقي المخطوطات .

3- باب (فرض الخُمس) من صحيح البخاري جـ 2 ص 115 من طبعة المطبعة البهية بمصر سنة 1346هـ.

4- كلمة (وأمهم) غير موجودة في جميع المخطوطات ، وأضفناها من نص الحديث في (صحيح البخاري) حتى يستقيم المعنى . انظر : صحيح البخاري جـ 2 ص 123 .

5- عاتِكة بنت مُرَّة بن هلال بن فالج بن ذكوان السُّلمية . انظر : (جمهرة الأنساب) لابن حزم جـ1 ص 14 .

6- انظر : (صحيح البخاري) جـ 2 ص 122 ، 123 .

7- (مناقب قريش) باب في صحيح البخاري جـ 2 ص 164 .

8- كلمة (أنا) لم ترد في المخطوطة [و] ووردت في باقي المخطوطات .

وتركتنا ونحن وهم بمنزلة واحدة منك ؟ فقال : إنما بنو هاشمٍ وبنو المطلبِ شيءٌ واحد . قال جُبير : ولم يُقَسِّم النبي ﷺ لبني عبد شمس وبني نوفل شيئًا» [1] .

وقد خَرَّج أبو داود رحمه الله هذا الحديث من طريق الزُّهْرِيّ عن سعيد بن المسَيِّب ، قال : حدَّثني جُبَيْر بن مُطْعِم أن رسولَ الله ﷺ لم يُقَسِّمْ لبني عبد شمس ولا لبني نوفل شيئًا * من الخُمس كما قَسَّمَ لبني هاشم ولبني المطلب .

قال : وكان أبو بكر - رضي الله عنه - يُقَسِّمُ الخُمْسَ نحو قسم رسول الله ﷺ ، غير أنه لم يكن يعطي قُرْبَى رسول الله ﷺ كما كان يعطيهم رسولُ الله ﷺ. وكان عمر - رضي الله عنه - يُعْطِيهم ومن كان بعده منه .

واعلم أن قولَه عن أبي بكر - رضي الله عنه - أنه لم يكن يُعْطِي ذوي القربى كما كان النبي ﷺ (يُعْطِيهم ، إنما هو مما كان ﷺ) [2] يَعودُ به عليهم مِنْ (سَهْمِهِ)[3] ، وكانت حاجةُ المسلمين أيام أبي بكر أشدَّ ، لا أنه -رضي الله عنه- منعهم الحق المفروض لهم الذي سَمَّاه الله تعالى ورسوله ﷺ لهم ؛ فقد أعاذه الله تعالى [4] من ذلك .

وخَرَّج أبو داود من طريق محمد بن إسحاق عن (الزُّهرِيّ) [5] عن سعيد بن المسَيِّب ، قال : أخبرني جُبَيْر بن مُطْعِم قال : فلما كان يومُ خيبر وضع رسولُ الله ﷺ سهمَ القربى في بني هاشم وبني المُطَّلِب وتركَ بني نوفل وبني عبد شمس . فانطلقتُ أنا وعثمان بن عفان حتى أتينا رسولَ الله ﷺ ، فقلنا : يا رسول الله هؤلاء

1- انظر : (صحيح البخاري) جـ 3 ص 33 ، باختلاف طفيف في النص .
2- العبارة بين القوسين لم ترد في المخطوطة [و] ووردت في باقي المخطوطات .
3- وردت في جميع الأصول (سهمهم) ونقترح تصويبها حتى يستقيم المعنى .
4- كلمة (تعالى) وردت في المخطوطة [و] فقط .
5- وردت في المخطوطة [و] (عن أبي هريرة) وفي باقي المخطوطات عن (الزُهْريّ) وهو الصحيح .

بنو هاشم لا نُنْكِر فَضْلَهم للموضع الذي وَضَعَكَ اللهُ به منهم ، فما بالُ إخواننا بني المُطَّلِب أعطيتَهم وتركتَنا وقرابتنا واحدة ؟ فقال رسول الله ﷺ : أنا وبنو المُطَّلِب لا نفترق في جاهليةٍ ولا إسلام ، وإنما نحن وهم شيءٌ واحد . وشَبَّكَ بين أصابعه .

وخَرَّجه إسحاق بن رَاهويه عن الزُّهري عن ابن المسيِّب عن جبير مثل ما تقدَّم. ومنه قال : فَقَسَّمَ رسولُ الله ﷺ سهمَ خُمسِ الخُمسِ من القمح والتمر والنوى .

وقال الحسنُ بن صالح عن السُّريّ في ذي القربى : هم بنو عبد المُطَّلِب .

وخَرَّجَ النسائيُّ من حديث سُفيان عن قيس بن مسلم ، قال : سألتُ الحسنَ بن محمد عن قوله تعالى : ﴿وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّمَا غَنِمْتُم مِّن شَىْءٍ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُۥ﴾[1] ، قال : هذا مِفْتَاحُ كلام - ولله الدنيا والآخرة - [﴿وَلِلرَّسُولِ وَلِذِى ٱلْقُرْبَىٰ﴾][2] ، قال: اختلفوا في هذين السَّهْمَين بعد وفاة رسول الله ﷺ - سهم الرسول وسهم ذي القربى - ، فقال قائل : * سهمُ الرسول للخليفةِ من بعده ، وقال قائل : سهم ذي القربى لقرابةِ الخليفة . فاجتمع رأيهم على أن يجعلوا هذين السَّهمين في الخيلِ والعُدَّةِ في سبيل الله ، فكان ذلك في خلافة أبي بكر وعمر - رضي الله عنهما - .

وقد رُوي (من)[3] بعض (طُرق)[4] ابن إسحاق ، عن الزُّهْرِيّ عن ابن المسَيِّب : أن عثمانَ وجُبير بن مُطْعِم كَلَّمَا رسول الله ﷺ في سهم ذي القربى وقالا: قَسَّمْتَهُ بين بني هاشم وبني المطلب بن عبد مناف ، ونحن وبنو المطلب إليكم

1- سورة الأنفال ، مدنية (8) ، الآية 41 .

2- وردت هذه الرواية عند البلاذُريّ في (أنساب الأشراف) جـ 1 ص 516 . وقد أضفنا الآية الكريمة بين المعقوفتين - وهي بقيةُ الآية الكريمة السابقة - من النص الوارد عند البلاذُريّ حتى يستقيم المعنى .

3- لم ترد (من) في المخطوطة [و] ووردت في باقي المخطوطات .

4- وردت في المخطوطة [و] (طريق) وفي باقي المخطوطات (طرق) .

في النسب سواء ؟ فقال رسولُ الله ﷺ : أنا وهم لم نَزَلْ في الجاهلية والإسلام [1] (شيئًا) [2] واحدًا . وكانوا معنا في الشِّعْب كذا . وشَبَّكَ أصابعه [3] .

وكان من حديث الشِّعْب على ما ذكر محمد بن إسحاق وموسى بن عُقْبة ، فذكر محمد بن إسحاق : « أنَّ النبي ﷺ لما مضى على الذي بُعِثَ به وقامت بنو هاشم وبنو المطلب دونه وأَبَوا أن يُسْلِموه ، وهم من خلافه على مثل ما قَوْمُهم عليه ، إلا أنهم أَنِفُوا أن يُسْتَذَلُّوا ويُسْلِموا أخاهم لمن فارقه من قومه . فلما فعلتْ ذلك بنو هاشم وبنو المطلب وعَرفتْ قُريشٌ ألَّا سبيل إلى محمد ﷺ معهم ، أَجْمَعُوا على أن يكتبوا فيما بينهم على بني هاشم وبني المطلب ألَّا [4] يُنكحوهم ولا يُنكحوا إليهم ، ولا يُبايعوهم ولا يَبْتَاعوا منهم ، وكتبوا صحيفةً في ذلك وعَلَّقُوها بالكعبة ، ثم عَدَوا على مَنْ أَسْلَمَ فأوثقوهم ، وآذوهم ، واشتدَّ البلاءُ عليهم وعَظُمت الفتنةُ وزُلزلوا زلزالًا شديدًا » .

وقال ابن عُقبة : « واجتمعتْ قريشٌ في مكرها أن يقتلوا رسول الله ﷺ علانيةً؛ فلما رأي أبو طالب عمل القوم جمع بني عبد المطلب وأمرهم أن يُدْخلوا رسولَ الله ﷺ شِعْبَهم ، ويمنعوه ممن أراد قَتْلَه ، فاجتمعوا على ذلك مُسْلِمُهُم وكافِرُهم ، فمنهم مَنْ فعله حميَّةً ومنهم مَنْ فعله إيمانًا ويقينًا . فلما عرفتْ قريشٌ أن القومَ منعوا رسولَ الله ﷺ اجتمع المشركون من قريشٍ ، واجتمع [5] رأيُهم ألَّا[6] يجالسوهم ، ولا يُبايعوهم ، ولا يدخلوا بيوتَهم حتى يُسلموا * رسولَ الله ﷺ للقتل. وكتبوا في مَكْرِهم صحيفةً وعهودًا ومواثيقَ (أن) [7] لا يقبلوا من بني هاشم أبدًا

1- كلمة (والإسلام) وردت في المخطوطة [و] فقط .
2- كلمة (شيئًا) لم ترد في المخطوطة [و] ووردت في باقي المخطوطات .
3- في المخطوطة [و] وردت (وشبَّك أصابعه) وفي باقي المخطوطات (وشبَّك بين أصابعه) وقد وردت الرواية عند البلاذُريّ في (أنساب الأشراف) جـ 1 ص 517 ، 518 .
4- وردت في المخطوطة [و] (أن لا) وفي باقي المخطوطات (ألا) .
5- وردت في المخطوطة [و] (اجتمع) وفي باقي المخطوطات (أجمع) .
6- وردت في المخطوطة [و] (أن لا) وفي باقي المخطوطات (ألا) .
7- لم ترد (أنْ) في المخطوطة [و] ، ووردت في باقي المخطوطات .

صُلحًا ، ولا تأخذهم بهم رأفةٌ حتى يُسْلِموه للقتل . فلبثَ بنو هاشم في شِعْبِهم ثلاثَ سنين ، واشتدَّ عليهم البلاءُ والجهدُ ، وقطعوا عنهم الأسواقَ ، فلا يتركون طَعَامًا يَقْدُمُ مكةَ (ولا بيعًا) [1] إلا بادروهم إليه فاشتروه ؛ يريدون بذلك أن يدركوا سَفْكَ دمِ رسولِ الله ﷺ .

وذكر ابن إسحاق القصة في دخولهم الشِّعْب وما بلغوه من الجَهْد الشديد حتى كانت تُسْمَعُ أصواتُ صبيانِهم يَتَضَاغَوْنَ [2] من وراء الشِّعْب من الجوع حتى كَرِهَ عَامَّةُ قريش ما أصابهم وأَظهروا كراهتَهم لصحيفتهم الظالمة .

قال موسى بن عُقْبة : « فلما كان رأسُ ثلاث سنين تَلَاءَمَ [3] رجالٌ من بني عبد مناف ومن بني قُصَيّ ورجالٌ سواهم من قريشٍ ولدتهم نساءٌ من بني هاشم ورأوا أنهم قد قطعوا الرَّحِمَ واستخفُّوا بالحق ، واجتمع أمرُهم من ليلتهم على نقض ما تعاهدوا عليه من الغدر والبُرْأَة منه ، وبعثَ اللهُ - عَزَّ وجَلَّ - على صحيفتهم - التي [كان] [4] المكرُ فيها برسول الله ﷺ - الأَرَضَةَ فلحستْ (كل ما) [5] كان فيها من عهدٍ وميثاق ، ولم تترك اسماً للهِ فيها إلا حَسَّتْهُ [6] . وبقي ما كان فيها من شِرْكٍ أو ظلمٍ أو قطيعةِ رحم . وأَطلعَ اللهُ تعالى [7] رسولَهُ ﷺ على الذي صنع بصحيفتهم فذكرَ ذلك رسولُ الله ﷺ لأبي طالب . فقال أبو طالب: لا والثَّواقِب ، ما كَذَبَني . وانطلق يمشي بعِصابةٍ من بني عبد المطلب حتى أتى المسجد

1- وردت (ولا بيعًا) في المخطوطة [ب] ولم ترد في المخطوطة [و] .
2- يتضاغون ، أي : يصيحون من الألم أو الجوع ، ويقال للإنسان : تضاغى ؛ إذا استغاث من أذى أو ضرب أو نحوه .
3- تَلَاءَمَ الرجالُ أو القومُ ، أي : اجتمعوا واتفقوا .
4- لم يرد في النص لفظ [كان] وإنما ذكرناه ليستقيم المعنى .
5- وردت في جميع المخطوطات (كلما) .
6- حَسَّ الشيءَ : استأصله أو أزاله . يقال : حَسَّ البردُ الزرعَ : أَبادَهُ . وحَسَّ الجرادُ الأرضَ : قَضَمَ نَبْتَها . ويقال : حَسَّ عنه الغبارَ : أَزالَهُ بالـمِحَسَّة .
7- وردت في المخطوطة [و] (الله تعالى) وفي باقي المخطوطات (الله عز وجل) .

وهو حافلٌ من قُريش فلما رأوهم عَامِدِينَ لجماعتهم أنكروا ذلك ، وظنوا أنهم خرجوا من شدَّة البلاء فأتوهم ليُعطوهم رسول الله ﷺ ، فتكلَّم أبو طالب فقال: قد حدثت أمورٌ بَعْدَكم [1] لم نذكرها لكم فَأْتُوا بصحيفتكم التي تَعَاهَدْتُم عليها ، فلعلَّه أن يكون بيننا وبينكم صُلْح . وإنما قال ذلك خَشْيَةَ أن ينظروا في الصحيفة قبل أن يأتوا بها . فأَتَوا بصحيفتهم مُعْجَبين بها لا يَشُكُّون أنَّ رسولَ اللهِ (مَدْفوعٌ) [2] إليهم * فوضعوها بينهم ، وقالوا : قد آنَ لكم أن تقبلوا وتَرْجِعوا إلى أمرٍ يَجْمع قَوْمَكم ، فإنما قطعه بيننا وبينكم رجل واحد جعلتموه خَطَرًا لِهَلَكَةِ قومكم وعشيرتكم وفسادِهم . فقال أبو طالب : إنما أتيتكم لأعطيكم أمرًا (لكم)[3] فيه نَصَفٌ ، إن ابن أخي قد أخبرني (فلم) [4] يَكْذِبني ، أن الله عَزَّ وجَلَّ بريءٌ من هذه الصحيفةِ التي في أيديكم ومَحا كلَّ اسمٍ له فيها ، وتركَ فيها غَدْرَكم وقطيعتَكم إيَّانا ، وتَظَاهُرَكم علينا بالظلم . فإن كان الحديث الذي قال ابن أخي كما قال ؛ فأفيقوا ؛ فواللهِ لا نُسْلِمُهُ حتى نموت عن آخرنا [5] ، وإن كان قد قال باطلًا دفعناه إليكم فقتلتُم أو استحييتُم . قالوا : قد رضينا بالذي تقول . ففتحوا الصحيفةَ فوجدوا الصادقَ المصدوقَ ﷺ قد أخبر خبرها ، فلما رأتها قريش كالذي قال أبو طالب ؛ قالوا : واللهِ إنْ كان هذا قَطُّ إلا سِحْرًا من صاحبكم . فارتكسوا وعادوا أشرَّ [6] مما كانوا عليه من كفرهم والشدَّةِ على رسول الله ﷺ والمسلمين والقيام بما تعاهدوا عليه. فقال أولئك النَّفَرُ من بني عبد المطلب : إن أَوْلَى الناس بالكذبِ والسِّحْرِ غيرُنا ؛ فكيف ترون وإنَّا نعلَمُ أن الذي اجتمعتم عليه من قطيعتنا أقربُ إلى الجِبْت [7] والسِّحْر من أمرنا .

1- وردت في المخطوطة [و] (بعدكم) وفي باقي المخطوطات (بينكم) .
2- وردت في المخطوطة [و] (مدفوعًا) وفي باقي المخطوطات (مدفوع) وهو الصحيح .
3- كلمة (لكم) لم ترد في المخطوطة [و] ووردت في باقي المخطوطات .
4- وردت في المخطوطة [و] (ولم) وفي باقي المخطوطات (فلم) .
5- وردت في المخطوطة [ب] (فوالله لا نُسلمنَّه أبدًا حتى نموت من عند آخرنا) .
6- وردت في المخطوطة [و] (أشرَّ) وفي باقي المخطوطات (لشر) .
7- الجبت : السحر ، ويقال لكل ما عُبد من دون الله .

ولولا أنكم اجتمعتم على السِّحْر لم تَفْسَدْ صحيفتكم ، وهي في أيديكم ، طَمَسَ الله ما فيها (مِنَ اسْمِ له) [1] ، وما كان مِنْ بَغْيٍ تَرَكَهُ ؛ أفنحنُ السَّحَرةُ أم أنتم ؟!

فقال النفرُ من بني عبدِ مَناف وبني قُصَيّ ورجالٌ من قريش ولدتهم نساءٌ من بني هاشم ، منهم أبو البَخْتَرِيّ ، والمُطْعِم بن عَدِيّ ، وزُهَير بن أبي أُميَّة بن المغيرة، وزمعة بن الأسود ، وهشام بن عمرو - وكانت الصحيفةُ عنده - في رجالٍ من أشرافِهم (ووجوهِهم) [2] : نحن بَراءٌ مما في (هذه) [3] الصحيفة . فقال أبو جهل: هذا أمرٌ قُضِيَ بليل .

قال موسى بن عقبة : « فلما أفسدَ اللهُ صحيفةَ مكرهم ؛ خَرَجَ رسولُ الله ﷺ ورَهْطُهُ (فعاشروا) [4] وخالطوا الناس » .

فانظرْ - رحمكَ الله - كيف لم يجعل رسولُ الله ﷺ القرابةَ في * النسب وحدها قرابةً معتبرةً في أحكام الله تعالى [5] عَزَّ وجَلَّ ما لم تقترن به القرابة الدينية. فإنه - كما قد رأيت - أَخرجَ بني أمية من ذوي القربى مع كونهم بني أبيه عبدِ مناف بن قُصَيّ ، لما كان من عداوتهم له في دين الله عَزَّ وجَلَّ [6] وتكذيبهم لما جاء به من النبوَّةِ والرسالةِ ، وكيف جَعَلَ بني المطلب بن عبد مناف من ذوي القربى لأجل مسالمتهم له في الجاهلية ومسارعتهم إلى مناصرته ومؤازرته وموالاته ومعاضدته، (وأنهم لم يَرْبَأُوا بأنفسهم عن نفسه ، بل أمدُّوه بأنفسهم حيث تخلَّى عنه الناس،

1- وردت العبارة بين القوسين في المخطوطة [ب] (من اسم له) أما في المخطوطة [و] فقد وردت (من له اسم) .
2- كلمة (ووجوههم) وردت في المخطوطة [ب] ولم ترد في المخطوطة [و] .
3- كلمة (هذه) وردت في المخطوطة [ب] ولم ترد في المخطوطة [و] .
4- كلمة (فعاشروا) لم ترد في المخطوطة [و] ووردت في المخطوطة [ب] .
5- كلمة (تعالى) وردت في المخطوطة [و] ولم ترد في باقي المخطوطات .
6- وردت في المخطوطة [و] (الله عز وجل) وفي باقي المخطوطات (الله تعالى) .

ودخلوا معه الشِّعْبَ ، مؤمنُهم وكافرُهم . فالمؤمنُ دِينًا ، والكافرُ حَمِيَّةً) [1] .

وقال الأعشى [2] (في المعنى) [3] :

لا تَطْلُبَنَّ الوُدَّ مِنْ مُتباعِدٍ ولا تَأْتَمِنْ [4] ذِي بِغْضَةٍ إنْ تَقرَّبَا

فإنَّ القريبَ مَنْ يُقَرِّبُ نَفْسَهُ لَعَمْرُ أبيكَ (الخيرَ) لا مَنْ تَنَسَّبَا

فإن أقربُ الوسائل المَودَّةَ ، وأبعدُ النسبِ العُقوقَ ، وقد قال الله [5] تعالى : ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ ﴾ [6] فقاربتْ ولايةُ الإسلامِ بينَ الغرباءِ ، وقال تعالى : ﴿إِنَّهُۥ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ ۖ إِنَّهُۥ عَمَلٌ غَيْرُ صَٰلِحٍ ﴾ [7] فبَاعَدَ الكفرُ بينَ ذوي القرابة .

وتَأَمَّلْ ذلك يظهرْ لك منه فائدتان :

إحداهما : أن العبرةَ بقرابة الدِّينِ ، لا بقرابة الطين .

والأخرى : أن مُجرَّدَ القرابةِ ليس بشيء . وقد قيل : أقربُ الوسائلِ المودَّة ، وأبعدُ النسبِ البِغْضَة [8] .

1- الفقرة بين القوسين لم ترد في المخطوطة [و] ووردت في المخطوطة [ب] .

2- ديوان الأعشى الكبير ، شرح وتعليق محمد حسين ، مُراجَعٌ على طبعة رودلف جاير ، مكتبة الآداب بالجماميز – القاهرة 1950م ، القصيدة الرابعة عشرة ص 113. وقد ورد البيتان ضمن القصيدة باختلاف طفيف في اللفظ :

سأوصي بصيراً إن دَنَوت من البلَى وصاةَ امرئ قَاسَى الأمورَ وجَرَّبَا

بـأن لا تَبْغِ الـودَّ مـن مُتبـاعـدٍ ولا تنأ عن ذي بغضةٍ إن تقرَّبـا

فـإن القريـب من يقـرِّب نفسـه لعَمْرَ أبيكَ الخيـرَ لا من تنسَّبا

3- هكذا وردت (في المعنى) في المخطوطة [و] ، ولم ترد في باقي المخطوطات .

4- وردت في المخطوطة [و] (ولا تأتمن) وفي باقي المخطوطات وردت (ولا تنأ من) .

5- ورد (لفظ الجلالة) في المخطوطة [و] ولم يرد في باقي المخطوطات .

6- سورة الحُجرات ، مدنية ، (49) ، الآية 10 .

7- سورة هُود ، مكيَّة ، (11) ، الآية 46 .

8- وردت في المخطوطة [و] (البِغْضَة) وفي مخطوطات [الفئة ب] (البغضاء) .

قال [1] :

وإنَّ [2] القَرابةَ لا تُقَرِّبُ قَاطِعًا وأَرَى المَوَدَّةَ أكبرَ الأَسْبابِ [3]

ثم إني أقول : يا عجبًا ! كيف يستحق خلافةَ رسول الله ﷺ على أُمَّته شرعًا مَنْ لم يَجْعَلْ له حقًّا في سَهْم ذِي القُرْبى ؟! أم كيف يُقيم دينَ الله مَنْ قَاتَلَ رسولَ الله ﷺ ، ونَابَذَهُ ، وكَايَدَهُ ، وبَذَلَ جَهْدَهُ في قتله ؟!

وليتَ إذا وُلِّيَ بنو أُميَّة عَدَلُوا أو أَنصفوا ، بل جَاروا في الحكم وعَسَفُوا ، واستأثروا بالفَيْءِ كله ، وحَرَمُوه بني هاشم جُملةً ، وزادوا في العُتوِّ والتعدِّي حتى قالوا : إنما ذوو القربى قرابةُ الخليفة منهم . وحتى قرروا عند أهل الشام أنه لا قرابةَ لرسول الله ﷺ يرثونه إلا بني أُميَّة ، فلما قام بالأمر أبو العبَّاس عبد الله بن محمد بن عليٍّ المنعوتُ بالسَّفَّاح * وقَتَلَ مروانَ بن محمد بن مروان بن الحكم آخرَ خلائف بني أُميَّة وأزالَ دَوْلَتَهم ، دخلَ عليه مَشْيَخةٌ من أهل الشام فقالوا : واللهِ ما عَلِمْنَا أن لرسولِ الله ﷺ قرابةً يَرِثُونَهُ إلا بني أُميَّة حتى وَلِيتُمْ .

فقال إبراهيم بن مُهَاجِر :

أَيُّها النَّاسُ اسمعوا أُخْبِرْكُمْ عَجَبًا زادَ على كُلِّ عَجَبْ
عَجَبًا مِنْ عَبْدِ شمسٍ أنهم فَتحوا للناسِ أبوابَ الكَذِبْ
وَرِثُوا أحمدَ فيما زَعَمُوا دُونَ عَبَّاسٍ وعَبْدِ المُطَّلِبْ [4]
كَذَبُوا - واللهِ - مَا نَعْلَمُهُ يُحْرِزُ المِيرَاثَ إلا مَنْ قَرُبْ

1- ورد البيت منسوبًا لأبي تمام في (العِقْد الفريد) جـ 2 ص 314 باختلاف طفيف في اللفظ:

ولقد سبرتُ الناسَ ثم خَبرتُهم ووضعتُ ما وضعوا من الأسبابِ
فإذا القرابةُ لا تُقَرِّبُ قاطعاً وإذا المودَّةُ أقربُ الأنسابِ

2- وردت في المخطوطة [و] (وإن) وفي باقي المخطوطات (وأرى) .

3- الفقرة السابقة التي تبدأ بـ (وتأمل ذلك ...) وتنتهى بـ (... أكبر الأسباب) وردت في المخطوطة [ب] قبل أبيات الأعشى .

4- وردت في المخطوطة [و] (دون عباس وعبد المطلب) وفي باقي المخطوطات (دون عباس ابن عبد المطلب) .

وحتى صعد الحَجَّاجُ بن يوسف يومًا أعواد منبره وقال على رؤوس الأشهاد: أرسولُكَ لكَ أفضلُ أم خَلِيفَتُكَ ؟ يَعْرِضُ بأن عبد الملك بن مروان بن الحكم أفضل من رسول الله ﷺ . فلما سمعه جَبَلة بن (زَحْر) [1] قال : للهِ عليَّ ألَّا أُصَلِّي خَلْفَهُ أبدًا ، وإن رأيتُ من يُجاهده لأجاهدنَّه معه . فخرج مع عبد الرحمن بن الأشعثِ وقُتِلَ معه . (ولقد اقتدى بِعَدُوِّ الله الحَجَّاجِ في كفره) [2] (ابنُ شَقِيٍّ) [3] الحِمْيَرِيّ ، فإنه قام بمجلس هشام بن عبد الملك ، وقال : أميرُ المؤمنينَ خليفةُ اللهِ، وهو أكرمُ على الله من رسوله ، فأنت خليفةُ الله ، ومحمدٌ رسولُ الله .

وحتى إن يوسفَ بن عمر عامل هشام قال في خطبته يوم الجمعة :

إن أول مَنْ فتحَ على الناس بابَ الفتنة وسفك الدماء ؛ عليٌّ وصاحبه الزُّنَيْجِيّ - يعنى عمَّار بن ياسر ، رضي الله عنهما - [4] .

وقد خَرَّجَ الحاكمُ من حديث سفيان ، عن أبي إسحاق ، عن عمرو ذي مُرّ عن عليّ بن أبي طالب رضي الله تعالى [5] عنه في قوله تعالى [6] : ﴿وَأَحَلُّوا قَوْمَهُمْ

1- وردت في المخطوطة [و] (جبلة بن ...) وفي المخطوطة [ب] (جبلة بن زحر) وفي المخطوطة [ت] (جبلة بن ...) كلمة عليها شطب وبالهامش عبارة (بياض بالأصل وهو جبلة بن زحر) وبالمخطوطة [ك] (جبلة بن زهر) مع تعليق بالهامش يفيد بأن التصحيح موجود بهامش الأصل نقلًا عن ابن الأثير .
والصحيح جبلة بن زحر : وهو جَبَلَة بن زَحْر بن قيس بن مالك بن معاوية بن سُعْنة بن بدَّاء ابن سعد بن عمرو بن ذُهْل بن مَرّان بن جُعْفِيّ ، وقد قُتِل جبلة يوم دَيْر الجماجم وكان على القراء مع ابن الأشعث . انظر ابن حزم ص 409 .

2- وردت في المخطوطة [و] (ولقد اقتدى واللهِ بعد الحَجَّاج في كفره) وفي باقي المخطوطات وردت العبارة على النحو الذي أثبتناه في النص .

3- وردت في جميع المخطوطات (ابن شفيّ) وفي هامش المخطوطة [ك] إشارة إلى أن الاسم مصحَّح بهامش الأصل الذي نقلت عنه إلى (ابن شقيّ الحميري) نقلًا عن ابن الأثير ، وهو الصحيح ، وقد أورده كذلك الطبري جـ 7 ص 258 .

4- وردت في المخطوطة [و] (عنهما) وفي باقي المخطوطات (عنه) .

5- كلمة (تعالى) وردت في المخطوطة [و] ولم ترد في باقي المخطوطات .

6- وردت في المخطوطة [و] (تعالى) وفي باقي المخطوطات (عَزَّ وجَلَّ) .

دَارَ ٱلْبَوَارِ ﴾ [1] هما الأفجرانِ من قُريش : بنو أُميَّة وبنو المُغيرة ، فأما بنو المُغيرة فقد قطعَ الله دَابِرَهم يومَ بدر ، وأما بنو أُميَّة فمُتِّعوا إلى حين . قال الحاكم : هذا حديث صحيح .

وسُئِل عليٌّ - رضي الله عنه - عن بني أُميَّة وبني هاشم * فقال : هم أكثرُ وأنكرُ وأمكرُ ، ونحن أفصحُ وأَصبحُ وأسمحُ [2] .

وقال أبو بكر بن أبي شَيْبَة : حدَّثنا حَشْرجُ بن نباتة ، قال : حدَّثني (سعيد بن جَمْهَان) [3] ، قلتُ لسُفَيْنَة : إن بني أُميَّة يزعمونَ أن الخلافةَ فيهم . فقال : كَذَبَ بنو الزَّرْقاء ، هم مُلوكٌ مِنْ أشرِّ الملوك ، وأولُ الملوكِ مُعاوية .

* * * *

1- سورة إبراهيم ، مدنية (14) ، الآية 28 .
2- انظر : ابن عبد ربه (العقد الفريد) جـ 3 ص 315 .
3- وردت في المخطوطة [و] (سعيد بن حمدان) وفي باقي المخطوطات (سعد بن جَمْهَان) وعند ابن حجر العسقلانيّ جـ 4 ص 14 سعيد بن جَمْهَان الأسلحيّ أبو حفص البصريّ .

فصل (•)

تولية الرسول ﷺ أعماله لبني أمية (••)

(•) كلمة (فصل) وردت في المخطوطة [و] فقط .

(••) العنوان من عندنا .

وما زلتُ طوالَ الأعوامِ الكثيرةِ أُعمل فكري في هذا وأشباهه إلى مدة يطول ذكرها ، وأُذَاكِرُ به مَنْ أدركتُ من مشيخةِ العِلم ومَنْ لقيتُ مِنْ حَمَلةِ الآثار ونَقَلةِ الأخبار ، فلا أجدُ في طولِ عُمري سوى رجلين ، إما رجلٌ عَرَاهُ ما عَرَاني وسَاءَهُ ما قد دَهَاني ، فهو يحذو في المقالِ حَذْوِي ويشكو من الألمِ شَكْوِي ، وإما رجلٌ يَرْتَعُ في مَيْدان تقليدِه ويَجُول في عَرَصَاتِ تَهوُّرِهِ وتفنيدِهِ ، فلا يزيدني على التهويلِ والهَذَرِ الطويلِ إلى أن اتضح (لي) [1] والحمد لله وحده سبب أخذ بني أُميَّة الخلافةَ ومنعها بني هاشم ، وذلك أن أعجاز الأمورِ لا تزال أبدًا تاليةً لصدورها، والأسافل من كل شيء تابعةٌ لأعاليها . وكل أمرٍ كان خَافيًا ، إذا انكشف سببه زال التعجُّب منه .

وما بَعُدَ عليَّ مِنْ بُعْدِ سببِ أَخْذِ بني أُميَّة الخلافةَ وتَقَدُّمهم فيها على بني هاشم ، إلا من أجلِ الإعراض عن الاعتناءِ بتعرُّف أوائلِ ذلك وقلةِ البحثِ عن غوامضِه ، وأن الشيء لم يُوضَعْ في مواضعهِ ، وإنما سَلَكَ فيه الكافةُ إلا قليلًا مذهب التعصُّب . والواجبُ على العاقلِ - بعد معرفة ما خفي من السبب - الإذعانُ والتسليمُ ، وتَرْكُ الاعتراضِ ، فماذا بعد الحق إلا الضلال ؟!

وذلك أنه لا خلافَ بين أئمةِ الحديثِ ، ونُقَّاد الأخبارِ ، وعُلماء السِّيَر والآثارِ ، أنَّ رسولَ الله ﷺ توفي وعامله على مكة أبو عبد الرحمن عَتَّاب بن أَسِيد بن أبي العِيص بن أُميَّة بن عبد شمس القُرَشيّ الأُمويّ ، أحدُ مَنْ أسلمَ يومَ فتح مكة ، وإنه لم يزل على مكة منذ فتحها اللهُ على رسوله [2] * ﷺ عام ثمانٍ من الهجرة إلى أن توفَّاه الله تعالى [3] ، فأقرَّ أبو بكر الصديق - رضي الله عنه - عَتَّابًا حتى ماتا في يوم واحد .

1- كلمة (لي) لم ترد في المخطوطة [و] ووردت في باقي المخطوطات .
2- وردت في المخطوطة [و] (رسوله) وفي باقي المخطوطات (رسول الله) .
3- وردت في المخطوطة [و] (تعالى) وفي باقي المخطوطات (عَزَّ وجَلَّ) .

وكان رسول الله ﷺ قد [1] قسَّم اليمن بين خمسة رجال : خالد بن سعيد على صنعاء ، والمُهَاجِر بن أبي أُميَّة على كِنْدَة ، وزِياد بن لَبيد على حَضْرَمَوْت ، ومُعَاذ بن جَبَل على الجند ، وأبا مُوسى الأشعريّ على زَبِيد [2] ورُمَع [3] وعَدَن. فكان عامل رسول الله ﷺ على صنعاء اليمن - كما تقدَّم - خالد بن سعيد بن العاص بن أُميَّة بن عبد شمس ، بعثه ﷺ إليها سنةَ عشرٍ من الهجرة - وقد مات باذان [4] - ليكون على صدقات اليمن ، فتوفي رسول الله ﷺ وخالد على اليمن .

وكان أبَانُ بن سعيد بن العاص بن أُميَّة على البحرين بَرِّها وبحرِها منذ عزلِ العَلاء (بن) الحضرميّ حليف بني أُميَّة . وقيل : بل مات رسولُ الله ﷺ والعلاءُ على البحرين .

وكان عمرو بن سعيد بن العاص بن أُميَّة على تَيْمَاء وخَيْبَر وتَبُوك وفَدَك ، فلما تُوفِّي رسولُ الله ﷺ رجع خالد بن سعيد وأبَان وعمرو عَنْ عِمَالَتِهم ، فقال أبو بكر الصديق - رضي الله عنه - : ما لكم رَجَعْتُمْ عن عِمَالَتِكم ؟ ما أجدُ [5] أحقَّ بالعمل من عُمَّال رسول الله ﷺ منكم ، ارجعوا إلى أعمالكم . فقالوا : نحن بنو أبي أُحَيْحَة لا نعمل لأحد بعد رسول الله ﷺ أبدًا . ثم مَضوا إلى الشام ، وقاتلوا

1- كلمة (وقد) وردت في المخطوطة [و] ، ولم ترد في باقي المخطوطات .

2- زَبِيد : اسم وادٍ باليمن به مدينة يُقال لها (الحُصَيْب) ثم غلب عليها اسم الوادي فصارت تُعرف به .

انظر : ياقوت الحموي جـ 4 ص 176، والبكري جـ 2 ص 694 .

3- موضع باليمن . انظر : ياقوت الحموي جـ 4 ص 285، والبكري جـ 2 ص 674 .

4- هو باذان عامل كسرى على اليمن - فيما يقول الطبري - جمع له الرسول ﷺ اليمن كلها حين أسلم سنة 10 هـ ، وبعد وفاته في نفس السنة فرقت أعمال اليمن بين ابنه وجماعة من الصحابة . ويذكر الطبري أن الذي ولي صنعاء هو شَهْر بن باذان ، وأن خالد بن سعيد ولي على ما بين نجران ورمع وزبيد ، أما أبو موسى فقد وُلِّي على مأرب . انظر : الطبري جـ 3 ص 158 ، 227 ، 228 .

5- وردت في المخطوطة [و] (وما أجد) وفي باقي المخطوطات (وما أحد) .

فقُتِلوا في مَغَازيها . فيقال : ما فُتِحَتْ بالشام كُورةٌ من كُوَرِ الشامِ إلا وُجِدَ عندها رجلٌ من بني سعيد بن العاص ميتًا .

وكان أبو سفيان بن حرب بن أُميَّة على نَجْرَان ، فمات رسولُ الله ﷺ وهو عليها . وقيل : بل كان على نَجْرَان لما تُوفِّي رسولُ الله ﷺ عمرو بن حَزْم بن زَيْد بن عمرو بن عبد عَوف بن غُنْم بن مالك بن النجار الأنصاريّ .

قال الواقديّ عن إبراهيم بن جعفر عن أبيه عن عمر بن عبد العزيز - رحمه الله تعالى [1] - أنه قال : تُوفِّي رسولُ الله ﷺ وأربعةٌ من بني أُميَّة * عُمَّالُهُ : عَتَّاب ابن أَسِيد على مكة ، وأبَان بن سعيد بن العاص على البحرين ، وخالد بن سعيد على صنعاء ، وأبو سفيان على نجران . قال الواقديّ : وأصحابنا مُجْمِعُون على أن رسولَ الله ﷺ قُبض وأبو سفيان حاضر .

وقال ابنُ الكلبيّ : كان أبو سفيان غائبًا ، فلما قَدِمَ قال : كيف رَضيتم يا بني عبد مناف أن يلي أَمْرَكم غَيْرُكم ؟

وقوم يقولون إن رسولَ الله ﷺ وَلَّى أبا سفيان صدقاتِ خَوْلَان (ونَخْلَة) [2]، وَوَلَّى يزيد بن أبي سفيان على نَجْرَان - والله أعلم - ، وكان على جُرَش [3] سعيدُ

1- كلمة (تعالى) وردت في المخطوطة [و] ولم ترد في المخطوطة [ب] .

2- كلمة (ونَخْلَة) لم ترد في المخطوطة [و] ، ووردت في المخطوطة [ب] .
والمقصود هنا على الأغلب نَخْلَة اليمنية التي تقع شمالي بلاد خولان الشمالية أي : الفرع الشمالي من قبيلة خولان ومنازلهم كانت في جنوبي تهامة ، وربما في بلاد عسير الحالية . انظر: الحسن بن عبد الله الأصفهاني (بلاد العرب) تحقيق حمد الجاسر والصالح أحمد العلي ، الرياض (1388 هـ / 1968 م) ص 375 .
وانظر كذلك : تعليق بوزورث على ترجمته الإنجليزية للنزاع والتخاصم ، التعليق رقم 72.
وانظر : البكري جـ 4 ص 1304 ، 1305 .

3- جُرَش : مِخلاف من مخاليف اليمن من جهة مكة وقاعدته تحمل نفس الاسم وقيل إنها مدينة عظيمة باليمن .
وقد ورد ذكره عند الهمدانيّ في صفة جزيرة العرب ، تحقيق محمد بن علي الأكوع الحَوَالي ،=

ابن القشب الأَزْدِيّ حليف بني أُميَّة ، فمات رسول الله ﷺ وهو عليها .

وكان المُهاجر بن أبي أُميَّة بن المغيرة بن عبد الله بن مخزوم ، أخو أم سَلَمة أم المؤمنين - رضي الله عنها - على صدقاتِ كِنْدَة والصَّدِف [1] ، ثم ولَّاه أبو بكر الصديق - رضي الله عنه - اليمنَ .

وكان عمرو بن العاص بن وائل بن هاشم بن سعيد بن سَهْمٍ السهميّ ، حين وفاة رسولِ الله ﷺ على عمان ، بعد ما بعثه النبي ﷺ على سَرِيَّة نحو الشام إلى أخوال أبيه العاص بن وائل من بَلِيّ يدعوهم إلى الإسلام ويستنفرهم إلى الجهاد ، ثم أمدَّه رسولُ الله ﷺ بجيش فيه أبو بكر وعمر وأبو عبيدة بن الجرَّاح -رضي الله عنهم- فصَلَّوا خَلْفَه . ثم عمل عمرو بن العاص بعد رسول الله ﷺ لعمر بن الخطاب وعثمان بن عفان - رضي الله عنهما - .

وكان على الطائف عثمان بن أبي العاص بن بشر بن عبدِ بن دُهمان الثقفيّ ، ومات رسولُ الله ﷺ وهو عليها [2] .

فإذا كان رسول الله ﷺ قد أسَّس هذا الأساس وأظهر بني أُميَّة لجميع الناس بتوليتهم أعماله فيما فتح الله عليه من البلاد ، كيف لا يَقْوَى ظَنُّهم ، ولا ينبسطُ رجاؤهم ، ولا يمتدُّ إلى الولاية أملهم ؟ [3] .

أم كيف لا يضعف أمل بني هاشم ، وينقبض رجاؤهم ، ويقصر أملهم * وكبيراهم : العبَّاس بن عبد المطلب ، وابن أخيه عليّ بن أبي طالب - رضي الله عنهما - يريد أحدهما استعلام رسول الله ﷺ في مرض موته عن هذا الأمر : هل

=الرياض (1394 هـ / 1974 م) ص 65 وهو يذكر أن (جُرَش) توجد في اليمن الخضراء. ويفسر بوزورث الخضراء بأنها بلاد الغابات ، وانظر كذلك ياقوت جـ 3 ص 84 ، 85 ، والبكري جـ 2 ص 376 .

1- الصَّدِف : مخلاف باليمن . انظر : ياقوت جـ 5 ص 345 .

2- هناك اختلافات بين المصادر القديمة في تحديد أسماء عمال الرسول ﷺ .

3- وردت هذه العبارة في المخطوطة [ب] (ولا يحتد في الولاية أملهم) .

هو فيهم أم في غيرهم ؟ ويأبى الآخر ذلك ، كما خَرَّجَ البخاري في حَديثه عن الزُّهْرِيّ قال : فأخبرني [1] عبد الله بن كعب بن مالك الأنصاريّ ، أن عبد الله ابن عبَّاس أخبره ، أن عليَّ بن أبي طالب - رضي الله عنه - خرج من عند رسول الله ﷺ في وجعه الذي تُوفِّي فيه ، فقال الناس : يا أبا الحسن ، كيف أصبح رسولُ الله ﷺ؟ قال : أصبح بحمد الله بارئًا . فأخذ بيده عبَّاسُ بن عبد المطلب - رضي الله عنه - ، فقال له : « أنتَ واللهِ بعد ثلاثٍ عبدُ العصا ، وإني واللهِ لأرى رسول الله ﷺ يُتوفى من وجعه هذا . إني لأعرف وجوه بني عبد المطلب عند الموت . اذهبْ بنا إلى رسولِ الله ﷺ ، فلنسأله : في مَنْ هذا الأمر ؟ إن كان فينا علمنا ذلك ، وإن كان في غيرنا علمناه ، فأَوْصَى بنا» . فقال عليٌّ : «إنا واللهِ لئن سألناها رسولَ الله ﷺ فمُنعناها لا يُعطيناها الناسُ بعده ، وإني واللهِ لا أسألها من رسولِ الله ﷺ» .

ورواه محمد بن إسحاق عن الزُّهْرِيّ إلا أنه لم يَذْكُرْ ما قاله في العصا وزاد في آخره : فتوفي رسولُ الله ﷺ حين اشتدَّ الضحى من ذلك اليوم .

وفي رواية : وخلا العبَّاسُ بِعَليٍّ فقال له : هل تعلم أن رسولَ الله ﷺ أوصى إلى غيرك بشيء ؟ فقال له : اللهمَّ لا . فخرج العبَّاسُ على بغلةٍ له حتى أتى عَسْكَرَ أسامة بن زيد [2] فلقي أبا بكر وعمر وغيرهما فقال : هل أوصاكم رسولُ اللهِ ﷺ بشيء ؟ قالوا : لا . فرجع إلى عليٍّ فقال : إنَّ رسولَ الله ﷺ مقبوضٌ فامْدُدْ يَدَكَ أُبايعْكَ ، فيقال : عَمُّ رسولِ الله ﷺ بايعَ ابنَ عَمِّ رسول الله ، ويُبايعكَ أهلُ بيتِكَ ، فإن مثل هذا الأمر لا يُؤَخَّر . فقال : يَرْحَمُكَ الله ، ومن يطلب هذا الأمرَ غيرُنا يا عَمُّ !.

وفي رواية أن العبَّاسَ قال لعليٍّ : ❊ هَلُمَّ يَدَكَ أُبايعْكَ . فقال : إن لي برسول الله شُغْلًا ، ومَنْ ذلك الذي ينازعنا هذا الأمر ! .

1- وردت في المخطوطة [و] (فأخبرني) وفي باقي المخطوطات (أخبرني) .

2- كان أسامة على رأس سَريَّة مُعَدَّة لملاقاة الروم عندما توفي الرسولُ ﷺ . انظر : الطبري جـ3 ص 184 .

ورواية البخاريّ وعبد الرزاق أَثْبت .

وقال ابنُ سعد : « أنبأنا [1] محمد بن عمر : حدَّثني (محمد بن عبد الله)[2] ابن أخي الزُّهْرِيّ قال : سمعتُ عبدَ الله (بن حسن) [3] يُحدِّث عَمِّيَ الزُّهْرِيَّ يقول: حَدَّثَتْنِي فاطمةُ بنت الحُسين قالت : لما توفي رسولُ اللهِ ﷺ قال العبَّاس : يا عليُّ قُمْ حتى أُبايعكَ ومَنْ حَضَر ، فإن هذا الأمر إذا كان ؛ لم يُرَدّ مِثْلُه ، والأمر في أيدينا . فقال عليٌّ : أَوَأَحَدٌ يَطْمع فيه غيرُنا ! فقال العبَّاس : أظن أنه سيكون. فلما بُويع لأبي بكر - رضي الله عنه - [4] ، ورجعوا إلى المسجد ، سمع عليٌّ التكبيرَ فقال : ما هذا ؟ فقال العبَّاس : هذا ما دعوتُكَ إليه فأبيتَ عليَّ . فقال عليٌّ : « أيكون هذا ؟! » فقال العبَّاس : ما يُرَدُّ [5] مثلُ هذا قَطُّ » .

وقال محمدُ بن عمر : « قد خرج أبو بكر من عندِ النبي ﷺ حين تُوفي وتخلَّف عنده عليٌّ والعبَّاسُ والزُّبَيْرُ » ، فذلك حين قال عبَّاس هذه المقالة . وخَرَّجَه عبد الرزاق عن مَعْمَر عن الزُّهْرِيّ بمعناه .

قال عبد الرزاق [6] : وكان مَعْمَر يقول لنا : أيهما كان أصوب عندكم رأيًا ؟ فنقول : العبَّاس . فيأبى ، ثم يقول : لو أن عليًّا سأله عنها ، فأعطاه إياها ، فمنعه الناسُ ؛ كانوا قد كفروا .

قال (عبد الرزاق) [7] فَحَدَّثْتُ به ابنَ عُيينة ، فقال : قال الشَّعْبِيُّ : لو أن عليًّا سأله عنها ؛ كان خيرًا له من ماله وولده .

1- وردت في المخطوطتين [و ، ت] (أنبأنا) وفي المخطوطتين [ب ، ك] وردت مختصرة (أنا).
2- وردت في المخطوطة [ب] (محمد بن عبد الله) وفي المخطوطة [و] (محمد بن عبد الملك) والصحيح : محمد بن عبد الله ، وهو محمد بن عبد الله بن مَسْلَمة بن عبيد الله بن عبد الله بن شهاب بن عبد الله بن الحارث بن زُهْرة الزهريّ . انظر : ابن حجر جـ 9 ص 278 .
3- لم ترد (بن حسن) في المخطوطة [و] ووردت في باقي المخطوطات .
4- وردت (رضي الله عنه) في المخطوطة [و] فقط .
5- وردت في المخطوطة [و] (ما يُرَدُّ) وفي باقي المخطوطات (ما رُدَّ) .
6- لم ترد (قال عبد الرزاق) في المخطوطة [ب] ووردت هكذا في باقي المخطوطات .
7- وردت في المخطوطة [و] (ابن عبد الرزاق) وفي المخطوطة [ب] (عبد الرزاق) .

وروى إسماعيلُ بن خالد عن الشَّعْبيّ قال : «قال العبَّاسُ لعليٍّ - رضي الله عنه - حينَ مَرِضَ النبي ﷺ : إني أكادُ أعرفُ في وجهِ رسولِ الله ﷺ الموتَ ، فانْطَلِقْ بنا إليه نسأله مَنْ يَسْتَخْلِف ؟ فإنْ يَسْتَخْلِفْ [1] مِنَّا فَذَاكَ ، وإلا أَوْصَى بنا . فقال عليٌّ للعبَّاس كلمةً فيها جفاء . فلما قُبِضَ رسولُ الله [2] ﷺ قال العبَّاسُ لعليٍّ: ابْسُطْ يَدَكَ فلنبايعْكَ . فقَبَضَ يده» . قال الشَّعْبيُّ : لو أن عليًّا أطاع العبَّاسَ كان خيرًا له من حُمْرِ النَّعَم [3]» .

وقد رُويت مع هذا الحديث أحاديث أخرى ، إن كانت صحيحة فلا سبيل إلى ردها ، وإن كانت مفتعلةً فقد صارت داعيةً إلى الأمر الذي وقع النزاع فيه وطال الخصامُ عليه * منها ما رواه ابنُ الكلبيّ عن الحَكَم بن هشام الثَّقَفِيّ ، قال : مات عُبَيْد الله بن جَحْش عن أم حَبيبة بنت أبي سفيان ، وكانت معه بأرض الحبشة ، فخطبها النبي ﷺ إلى النجاشيّ ، فدعا بالقُرَشيين فقال : مَنْ أَولاكم بأمر هذه المرأة ؟ فقال خالدُ بن سعيد بن العاص : أنا أولاهم بها . فقال : فَزَوِّجْ نبيَّكم . قال : فَزَوَّجْتُهُ. ومَهَرَ عنه النجاشيُّ أربعمائةَ دينارٍ (فكانت أولَ امرأةٍ مُهِرَتْ أربعمائةَ دينار) [4]. وحُمِلَتْ إلى النبي ومعها الحكم بن أبي العاص ، فجعل النبي ﷺ يُكْثِرُ النظرَ إليه، فقيل : يا رسول الله ، إنك لَتُكْثِرُ النظرَ إلى هذا الشاب ؟ فقال : « أليس هذا [5] ابن المخزوميَّة ؟ [6] ». قالوا : بلى . قال ﷺ : « إذا بَلَغَ بنو هذا أربعينَ رجلًا كان الأمرُ فيهم [7] » . وكان مروانُ بن الحكم إذا جرى بينه وبين معاوية بن أبي سفيان

1- وردت في المخطوطة [و] (يستخلف) وفي المخطوطة [ب] (استخلف) .
2- وردت في المخطوطة [و] (رسول الله) وفي باقي المخطوطات (النبي) .
3- حُمر النعم : الإبل الحمراء .
4- العبارة بين القوسين لم ترد في المخطوطة [و] ، ووردت في المخطوطة [ب] .
5- كلمة (هذا) وردت المخطوطة [و] فقط .
6- المخزومية : أم الحكم بن أبي العاص ، وهي رُقَيَّة بنت الحارث بن عبيد بن عمر بن مَخْزُوم . انظر: ابن سعد (طبقات) جـ 5 ص 447 .
7- ذكر الأصفهاني في كتاب (الأغاني) هذه الرواية جـ 13 ص 262 . وإن كنا لم نستدل على=

كلامٌ قال لمعاوية : «إنِّي واللهِ لَأَبو عَشَرَةٍ ، وأخو عَشَرَةٍ ، وعَمُّ عَشَرَةٍ ، وما بَقِيَ إلا عَشَرَةٌ حتى يكون الأمرُ فيَّ » . فيقول معاويةُ : « أَخَذَها - واللهِ - من عينٍ صافيةٍ». فهذا الحديثُ كما تسمع [1] .

وقد روى أبو بكر بن أبي شَيْبَة من حديث عبد الله بن عُمير قال : قال معاويةُ : ما زلتُ أطمعُ في الخلافةِ مُنْذُ قال رسولُ الله ﷺ : « إنْ مَلَكْتَ - يا معاويةُ - فأَحْسِنْ » [2] .

وقال وَكِيع : حَدَّثنا الأعمشُ عن أبي صالح قال : « كان الحادي يحدو لعثمان - رضي الله عنه - ويقول :

إنَّ الأَمِيرَ بَعْدَهُ عَلِيّ وفي الزُّبَيْرِ خَلْفَ الوَصِيّ

فقال كعبُ الأحبار : « بل هو صاحب البغلة الشهباء » ، يعني معاوية ، (فبلغ ذلك معاوية) [3] فأتاه فقال : « يا أبا إسحاق ، ما تقول هذا ، وها هنا عليٌّ والزبيرُ وأصحابُ محمدٍ ﷺ ؟ قال : أنت صاحبها » [4] .

وقد جاء من طريق [5] عن أبي هريرة - رضي الله عنه - أن رسول الله ﷺ

=الواقعة في أي من مصادرنا الأخرى ، وهي واقعة مشكوك في صحتها ، فالمعروف أن الحكم ابن أبي العاص لم يُسلم إلا بعد فتح مكة ، ومن ثم لم يكن من المتصور أن يكون من ضمن المهاجرين إلى الحبشة حيث إنه كان من المؤذين للرسول ﷺ في مكة .

1- ورد ذكر الجدل بين معاوية ومروان بن الحكم في الكثير من المصادر التي رجعنا إليها وإن اختلفت بعض الملابسات باختلاف المصادر . هذا وقد كان موضع فخر بني الحكم على بني حرب في أن عثمان بن عفان وهو من بني الحكم تزوَّج اثنتين من بنات الرسول ﷺ وكذلك أنهم كانوا أكثر عددًا ، فقد كان لمروان بن الحكم عشرة أولاد وكان لعبد الله بن عامر بن كريز وهو من آل الحكم اثنا عشر ولدًا ، في حين أن سعيد بن العاص كان له من الولد عشرون ، حسبما تذكر المصادر . انظر : الزبيري ص 100 ، 120 ، 159 ، 169 ، وابن حزم : ص87 - 89.

2- انظر : ابن عبد ربه جـ 4 ، ص 364 .

3- العبارة بين القوسين لم ترد في المخطوطة [و] ووردت في باقي المخطوطات .

4- انظر الخبر في الطبري جـ 4 ص 343 .

5- في المخطوطة [و] (طريق) وفي باقي المخطوطات (طرق) .

قال : « رأيتُ في النوم بني الحكم وبني أبي العاص يَنْزُونَ [1] على منبري كما تنزو القِرَدة » . قال : « فما رُؤي النبي ﷺ مستجمعًا ضاحكاً حتى تُوفِّي » .

وعن سعيد بن المسَيِّب قال : « رأي النبي ﷺ بني أُميَّة على منابرهم فساءه ذلك ، فأُوحي إليه إنما هي دنيا أُعْطَوْهَا ، فَقَرَّتْ * عينُه ، وهي قوله تعالى : ﴿وَمَا جَعَلْنَا ٱلرُّءْيَا ٱلَّتِيٓ أَرَيْنَٰكَ إِلَّا فِتْنَةً لِّلنَّاسِ﴾[2] (يعني بلاءً للناس) » [3] .

وقد رُوِيَ أن رجلًا قام إلى الحسن بن عليّ - رضي الله عنهما - ، فقال : «يا مُسَوِّدَ وجهِ المؤمنين ، فقال : لا تُؤنِّبني - رَحِمك الله - ؛ فإن رسول الله ﷺ قد رأي بني أُميَّة يخطبون على منبره رَجُلًا رَجُلًا فساءه ذلك فنزلت ﴿إِنَّآ أَعْطَيْنَٰكَ ٱلْكَوْثَرَ﴾[4]، (والكوثر) [5] نَهرٌ في الجنة ، ونزلت ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةِ ٱلْقَدْرِ ۝١ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا لَيْلَةُ ٱلْقَدْرِ ۝٢ لَيْلَةُ ٱلْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ ۝٣﴾ [6] يعني تَمَلُّكَ بني أُميَّة ، فَحَسَبَ ذلك ، فإذا هو لا يزيد ولا ينقص » [7] .

1- ينزون : يَثِبُون .

2- سورة الإسراء ، مكية (17) من الآية 60 . هذا وتميل معظم كتب التفسير إلى اعتبار الرؤيا المقصودة هنا هي رؤيا الإسراء والمعراج ، ويرى بعضُ المفسرين أن المقصودَ رؤيا رآها الرسول ﷺ يومَ بدر أو رؤيا رآها سنة الحُدَيْبِيَة .

انظر : مختصر تفسير الطبري للتجيبي جـ 1 ص 393 ، 394 ، ومختصر تفسير ابن كثير جـ2 ص 386 ، ومحمد فريد وجدي (المصحف المفسر) ص 372 . هذا وقد أورد القرطبي هذا التفسير الذي ذكره المقريزيّ ضمن تفسير الآية الكريمة . انظر : القرطبي (الجامع لأحكام القرآن) جـ 10 ص 282 ، 283 .

3- لم ترد العبارةُ بين القوسين في المخطوطة [و] ووردت في باقي المخطوطات .

4- سورة الكوثر ، مكية ، (108) الآية 1 .

5- كلمة (والكوثر) لم ترد في المخطوطة [و] ووردت في باقي المخطوطات .

6- سورة القدر ، مكية (97) ، الآيات 1 – 3 .

7- حول الأحاديث التي تُشير إلى تولي بني أمية : انظر : فنسنك (مفتاح كنوز السنة) ص 64.

أما عن تفسير الآيات وأسباب التنزيل فلم تَرِدْ على النحو الذي أورده المقريزيّ في أيٍّ من مصادرنا .

وعن أبي هريرة - رضي الله عنه - ، وأبي سعيد الخُدْرِيّ -رضي الله عنه-[1] أن رسولَ الله ﷺ قال : « إذا بلغَ بنو أبي العاص أربعينَ رَجُلًا ، اتخذوا دِينَ الله دَغَلًا [2] ، وعبادَ الله خَوَلًا ، ومالَ الله دُوَلًا » .

قال الزُّبَيْرُ بنُ بَكَّار : قال عَمِّي مُصْعَب عن عبد الله بن محمد بن يحيى بن عروة بن الزُّبَيْر ، أو غير عبد الله ، وحَدَّثنيه محمدُ بن الضَّحَّاك الحُزَامِيّ عن أبيه : أن عمرو بن عثمان بن عفان - رضي الله عنه - [3] اشتكى ، وكان العُوَّادُ يدخلون عليه فيخرجون ويتخلَّف [4] مروان بن الحكم عنده فيطيل ، فأنكرتْ رَمْلَةُ بنتُ معاوية ذلك ، وهي امرأة عمرو بن عثمان ، فخَرَقَتْ كُوَّةً واستمعتْ مروان ، فإذا هو يقول لعمرو : ما أخذَ هؤلاء الخلافةَ إلا بِاسْمِ أبيك ، فما يمنعكَ أن تنهضَ بحقك؟ فنحن[5] أكثرُ منهم رجالًا : مِنَّا فلان ومنهم فلان ومِنَّا فلان ومنهم فلان ، حتى عَدَّدَ رجالًا ، ثم قال : ومِنَّا فلان وهو فضل ، وفلان وهو فضل ، حتى يُعَدِّدَ فضول رجال بني أبي العاص على (بني) [6] حرب . فلمَّا برئ عمرو (وتَحضَّرَ) [7] للحَجِّ ، وتَجهَّزَتْ رملةُ في جَهازِه [8] ، فلما خَرج عمرو إلى الحج خرجت رملة إلى أبيها فقَدِمَتْ عليه الشامَ فقال لها معاوية : « وا سَوْأَتاه وما للحُرَّةِ تُطَلَّق ! طَلَّقَكِ عمرو ؟ فأَخْبَرتْهُ الخَبَرَ وقالت : وما زال يُعَدِّدُ [9] فضلَ رجال (بني) [10] أبي العاص على

1- وردت في المخطوطة [ب] (وعن أبي هريرة وأبي سعيد الخُدري رضي الله عنهما) .
2- دغلاً : يقال دغل الأمر أي : أفسده أو أدخل فيه ما يُفْسِده ويخالفه .
3- وردت (رضي الله عنه) في المخطوطة [و] فقط .
4- وردت في المخطوطتين [و ، ت] (يتخلف) وفي المخطوطتين [ب ، ك] (تخلف).
5- وردت في المخطوطة [و] (فنحن) وفي باقي المخطوطات (فلنحن) .
6- وردت في المخطوطة [و] (ابن) وفي باقي المخطوطات (بني) .
7- وردت في المخطوطتين [ت ، ك] (وتجهز) .
8- لم ترد الجملة (فلما برئ عمرو ... في جهازه) في المخطوطة [ب] .
9- وردت في المخطوطة [و] (يُعَدِّد) وفي باقي المخطوطات (يَعدّ) .
10- لم ترد (بني) في المخطوطة [و]، ووردت في باقي المخطوطات ، وفي المخطوطة [ب] وردت (بني أبي العباس) .

بني حرب حتى ابنيَّ عثمان وخالد (ابني) [1] عمرو ؛ فَتَمَنَّيْتُ أنهما ماتا . فكتب معاوية إلى مروان بن الحكم[2] :

* أَوَاضِعُ رجْلٍ فوق أُخرى تَعُدُّنا عديدَ الحَصَى ما إنْ (تَزالُ) [3] تُكاثِرُ
وأُمُّكُمُ تُزْجِي تواماً لِبَعْلِها وأُمُّ أَخِيكُمْ نَزْرَةُ الوِلْدِ عَاقِرُ

واشهدْ يا مَروان أني سمعتُ رسول الله ﷺ يقول : «إذا بلغَ ولدُ الحكمِ ثلاثينَ رجلاً ، اتخذوا مالَ الله دُوَلاً ودينَ الله دَغَلاً وعبادَ الله خَوَلاً» .

فكتب إليه مروان : «أمَّا بعدُ ، يا معاوية ، فإني أبو عَشَرَةٍ ، وعَمُّ عَشَرَةٍ والسلام[4] .

ورُوي عن معاويةَ أنه قال لعبد الله بن عبَّاس - رضي الله عنهما - : أَنْشُدُكَ اللهَ يا بنَ عبَّاس ، أما تعلمُ أنَّ رسول الله ﷺ ذكر هذا؟» - يعني مروان بن الحكم -، فقال : (أبو الجبابرة الأربعة ؟). فقال ابن عبَّاس : «اللهمَّ نعم» .

وقد اقْتَدى برسول الله ﷺ في ولاية الأعمال أبو بكر الصديق - رضي الله

1- وردت في المخطوطة [و] (ابن) وفي باقي المخطوطات (ابني) .
2- انظر : (نسب قريش) للزبيري ص 110.
3- وردت في المخطوطة [و] (تراك) وفي باقي المخطوطات (تزال).
4- انظر : الزبيري (نسب قريش) ص 109 ، 110 ، وانظر كذلك (الأغاني) جـ 13 ص 261، 262 (ط دار الكتب سنة 1950م) ورد خبر يدور حول نفس المعنى وإن كان لم يرد فيه ذكر أبيات الشعر الواردة هنا ، بل وردت أبيات أخرى برغم أن بوزورث يشير في تعليقاته إلى وجود الأبيات في (الأغاني) جـ 2 ص 81 ، جـ 12 ص 73 من طبعة بُولاق ، وبمراجعة هذه المواضع في طبعة بولاق لم نعثر على البيتين ولكن هناك أبيات أخرى وردت في صُلب خبر يدور حول خلافات دارت بين مروان بن الحكم وأخيه وبين معاوية بن أبي سفيان.
هذا وقد أشار بوزورث في تعليقاته كذلك إلى أن د. مارتن هنز Martin Hindes يرى أن النهاية التي ختم بها مروان خطابه (والسلام) بمعنى (وخلاص) في العامية المصرية ، ويَستبعد أن تكون كلمة (السلام) هنا هي التحية الإسلامية التقليدية ؛ فهو يراها كلمة لإقفال باب المناقشة في الموضوع . وقد أشار بوزورث في هذا التعليق إلى المرجع الذي اعتمد عليه د.هنز وهو قاموس سبيرو في ألفاظ العامية المصرية SPIRO: An Arabic English Dictionary of the Collequial Arfic of Egypt, Cairo, 1895, P. 1876.

عنه- ، فإنه لما استُخلف بعد رسول الله ﷺ في ولايةِ الأعمال وارتَدَّت العربُ ؛ قَطَعَ -رضي الله عنه- البعوثَ ، وعَقَدَ أحدَ عشرَ لواءً على أحد عشر جُنداً ، فعقدَ لخالد بن الوليد المخزوميّ وبعثه لقتال طُلَيحة بن خويلد الأسديّ ثم مالكِ بن نُوَيْرة . وعَقَدَ لعِكْرِمة بن أبي جَهل المخزوميّ وبعثه لقتال مُسَيْلِمَة بن ثُمامة بن المطوح بن رَبيعة بن الحارث . وعَقَدَ للمُهاجر بن أبي أُميَّة المخزوميّ وبعثه لقتالِ جنودِ الأَسودِ بن كَعْب بن عَوْن العنسيّ . ومَعونة الأبناء على قيس بن المكشُوح. وعقدَ لخالد بن سعيد بن العاص بن أُميَّة وبعثه إلى مشارف الشام . وعقد لعمرو ابن العاص وبعثه إلى قُضَاعة . وعقدَ لحُذَيْفَة بن مُحْصِن العَلْقَانيّ (من علقان) [1] ابن شُرحبيل بن عمرو بن مالك بن يزيد ذي الكلاع وبعثه إلى أهل دَبَا [2] - وهي مدينة قديمة من مدن عُمَان - . وعَقَدَ لهَرْثَمَةَ بن عَرْفَجَة وبعثه إلى مَهَرَة [3] . وبعثَ شُرحبيل بن حَسَنَة في إثرِ عِكْرِمةَ بن أبي جهل ، فإذا فَرغَ من اليمامة لحقَ بقضاعةَ . وعقدَ لطُرَيْفة بن حاجم وبعثه إلى بني سُلَيم ومن معهم من هَوَازِن . وعقدَ لسُوَيد بن مُقرن بن عائذ المُزنيّ وبعثه إلى عامل تهامة [4] * اليمن . وعقدَ للعلاء ابن الحضرميّ وبعثه إلى البحرين[5] .

فلحقَ كل أمير بِجُنْدِهِ حتى انقضت حروبُ الرِّدَّة ، فبعث أبو بكر - رضي الله عنه - خالدَ بن الوليد لفتح العراق ، وأَرْدَفه بغَيْلَان بن غُنْم بن زُهَيْر بن أبي شدَّاد بن ربيعة بن هِلال بن وهيب الفِهْريّ وأَمدَّهما بالقَعْقَاع بن عمرو . وجَهَّزَ الجنودَ إلى الشام فبعث خالدَ بن سعيد بن العاص وأَردفَه بذي الكلاع وعِكْرمةَ

1- لم ترد (من علقان) في المخطوطة [و] ووردت في باقي المخطوطات.

2- دَبَا : مدينة قديمة من مدن عُمَان ، تعرف بقصبة عمان ، ولها ذكر في أيام العرب وأخبارهم . انظر: ياقوت جـ4 ص 30.

3- مَهَرة : مدينة باليمن في ناحية الشَّحْر في المنطقة الساحلية. انظر : القزويني (آثار البلاد وأخبار العباد) ص 62.

4- في المخطوطة [و] (وبعثه إلى عامل تهامة) وفي باقي المخطوطات (وبعثه إلى تهامة).

5- حول حروب الردة انظر : الطبري جـ3 ، ص 317.

ابن أبي جهل وعمرو بن العاص والوليد بن عُتبة . وعقدَ ليزيد [1] بن أبي سُفْيان ابن حَرْب على جيش عظيم هو جمهور من انْتَدبَ إليه وجَهَّزَه عِوَضاً عن خالد بن الوليد . وعَقَدَ لأبي عُبَيْدة بن الجرَّاح وبعثه إلى حِمْص . وأمدَّ يزيدَ بن أبي سفيان بأخيه مُعاوية بن أبي سفيان ومعه جيش . فنزل أبو عُبيدة الجابيةَ [2] ، ونزل يزيدُ البلقاءَ[3]، ونزل شُرَحْبيلُ بن حَسَنَة الأُردُنَّ ، وقيل : بُصْرَى [4] ، ونزل عمرو بن العاص القُرَيَّات[5]...

ولما مات أبو بكر - رضي الله عنه - واستُخْلفَ من بعدِه عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - ، كانت عُمَّالُهُ على مكةَ نافعُ بن عبد الحارث الخُزَاعِيّ ، وعلى الطائف عثمانُ بن أبي العاص بن أُميَّة ، ثم سُفْيَانُ بن أبي عبد الله الثقفيّ ، وعلى اليمن يَعْلَى بن مُنْيَة [6]، وعلى عُمَان واليمامة حُذَيفةُ بن مُحصن ، وعلى

1- توجد إشارة بهامش المخطوطة (ب) أن المخطوطة التي نقلت عنها وردت فيها العبارة التالية : (رضي الله عنه كان خيراً من أخيه معاوية) .

2- الجَابية : قرية من أعمال دمشق ثم من عمل غلجَيْدُور من ناحية (الجوْلان) قرب (مرج الصفر) في شمالي (حَوْران) وبالقرب منها تل يسمى (تل الجابية) ويقال لها (جَابية الجوْلان) . انظر: ياقوت جـ3 ص 33 .

3- البَلْقَاء : كورة من أعمال دمشق بين الشام ووادي القُرى فيها عَمَّان وفيها قُرى كثيرة ومزارع واسعة . انظر : ياقوت جـ2 ص 276 ، 277 .

وقد أضاف بوزورث في تعليقاته أن البلقاء كانت بعد الفتح منزلًا لجماعات من كَلْب وكِنْدة ، وأنها أصبحت منتجعاً مفضلًا لخلفاء بني أمية فأنشأوا فيها عدداً من البوادي أو القصور الريفية. انظر : مادة (بلقاء) في ط 2 من دائرة المعارف الإسلامية بقلم (D. Sourdal) Vol. I , P. .

4- بصرى : المقصود بها هنا الشام وهي قصبة كورة حَوْرَان . انظر ياقوت جـ2 ص201 - 210 .

5- ذكر ياقوت أن القُرَيّات تدخل في منازل طيِّع على بعد ثلاث أو أربع ليال من تَيْماء وأنت مقبل من وادي القرى . انظر : ياقوت جـ 7 ص 69 ، والبكري جـ 3 ص 939 ، 1002 ، 1003 . وراجع كذلك تعليقات بوزورث ، ومادة : قريَّات الملح في دائرة المعارف الإسلامية بقلم نَيْدل F.S. Nidell (Vol. p.) E. 1., 2nded.

6- يَعْلَى بن مُنْيَة : هو يَعْلَى بن أُمَيَّة بن أبي عُبيدة (واسمه عُبيد ، ويقال : زيد) بن همَّام التميميّ الحنظليّ . ويقال له : يَعْلَى بن مُنْيَة ، وهي أمه أو أم أبيه . انظر : (الأعلام) للزركلي جـ 8 ص 204.

البحرين العلاءُ بن الحضرمِيّ ، ثم عثمانُ بن أبي العاص ، وعلى الكوفة سعدُ بن أبي وقَّاص ، ثم المُغيرةُ بن شُعبة ، ثم عمَّارُ بن ياسر ، ثم أبو موسى الأَشْعَرِيّ، وعلى الشام أبو عبيدةَ بن الجَرَّاح ، ثم يزيدُ بن أبي سفيان ، ثم معاويةُ بن أبي سفيان ، وعلى الجزيرة عِياضُ بن غُنْم ، وعلى مِصْر عمرو بن العاص - رضي الله عنهم أجمعين -.

فانظرْ كيف لم يكن في عُمَّالِ رسول الله ﷺ ، ولا في عُمَّالِ أبي بكر وعمر - رضي الله عنهما - أحدٌ من بني هاشم [1] . فهذا وشِبْهُهُ هو الذي حَدَّدَ أنيابَ بني أُميَّة ، وفَتحَ أبوابَهم ، وأَترعَ [2] كأسَهم ، وفَتَلَ أمراسَهم [3] حتى لقد وقفَ أبو سفيان بن حرب على قبر حمزةَ - رضي الله عنه - فقال : «رَحِمَكَ اللهُ أبا عمارة * لقد قاتلتَنا على أمرٍ صار إلينا» . ورُوي أن الأمر لما أفضى إلى عثمان ابن عفان أتى أبو سفيان قبرَ حمزةَ فَرَكَلَهُ بِرِجْلِه ثم قال : «يا حمزةُ ، إن الأمرَ الذي كنتَ تُقاتلنا عليه بالأمس قد مَلَكْناه اليوم ، وكُنَّا أَحَقَّ به من تَيْمٍ وعَدِيٍّ» .

قال مؤلفه : وما هي إلا الدنيا ، وإن الدِّينَ لَعارِضٌ فيها ، والعاجلةُ محبوبة . وبهذا ارتفعتْ رؤوسٌ وخضعتْ نفوس ؛ فإن دلائلَ الأمور تَسْبِق وتباشيرَ الخير تُعْرَف . ولله في خَلْقِهِ قضاءٌ يُمْضِيه ، ويأبَى الله أن يُتِمَّ شيئاً من أمر الدنيا ويَعْتَرِيهِ النقصُ .

* * * *

1- ورد بهامش المخطوطة [ك] : (إنما لم يجعلوا بني هاشم عُمَّالاً لِشَرفهم إذ الشريفُ لا يُشارِف وإنما يَبْقى ليُشاوَرَ في الأمور المعضلة) ، وهي إضافة من الناسخ على الأرجح. وقد ذكر بوزورث أن هذه العبارة وردت في هامش مخطوطة ليدن مما يرجح أنها الأصل الذي نقلت عنه مخطوطة دار الكتب .

2- أترع : ملأ .

3- أمراسُهم : حِبَالُهم . والأمراسُ هي الحبالُ ، ومفردها مَرَسَة .

فصل (•)

بنو هاشم

وولاية الأعمال (••)

(•) وردت كلمة (فصل) في المخطوطة [و] فقط .

(••) العنوان من عندنا .

لمَّا كانت بنو هاشم من بين قريش كلها [1] قد اختصها الله سبحانه بهذا الأمر، أعني الدعوةَ إلى الله تعالى والنبوَّة والكتابَ ، فحازتْ بذلك الشرفَ الباقي ، وكانت أحوالُ الدنيا من الخلافة والمُلك ونحوهِ زائلةً ؛ ولهذا زَوَاها [2] الله تعالى عنهم تنبيهاً على شَرَفهم وعُلوِّ مقدارهم ، فإن ذلك هو خِيَرَةُ الله لنبيه (محمد) [3] ﷺ .

كما ثَبَتَ أنه ﷺ لما خُيِّرَ اخْتارَ أن يكون نبيًّا عبداً ولم يَخترْ أن يكون نبيًّا ملكاً ، وسألَ مثلَ ذلكَ لآلهِ .

كما قد ثبت في الصحيحينِ وغيرهما من حديث عِمارةَ ، عن أبي زُرْعةَ ، عن أبي هُرَيْرَة - رضي الله عنه - أنه قال : قال رسول الله ﷺ : «اللَّهُمَّ اجعلْ رزق آل مُحمَّدٍ قُوتاً» [4] .

وروى أبو عيسى الترمذيّ من حديث عُبيد الله بن زُحر عن عليٍّ بن يزيد عن القاسم عن أبي عبد الرحمن عن أبي أُمامة - رضي الله عنه [5] - ، عن النبي ﷺ قال : «عَرَضَ عليَّ رَبِّي لِيَجْعَلَ لي بَطْحَاءَ مَكَّةَ ذَهَباً ، قلتُ : لا يا رب (ولكنْ) [6] أَشبعُ يوماً وأَجوعُ يوماً - أو قال ثلاثاً أو نحو هذا - فإذا جُعْتُ (تَضَرَّعْتُ) [7] إليكَ وذَكَرْتُكَ ، وإذا شَبِعْتُ شَكَرْتُكَ وحَمِدْتُكَ» . وقال الترمذيّ : هذا حديثٌ حسن [8].

1- وردت (كلها) في المخطوطة [و] فقط.
2-زواها : ذهبَ بها وزَوَاها عنهم أي : حَرَفَها وَنَحَّاها .
3- لم ترد كلمة (محمد) في المخطوطة [و] ووردت في باقي المخطوطات.
4-فنسنك وآخرون (المعجم المفهرس لألفاظ الحديث النبوي) جـ2 ص 253.
5- وردت (رضي الله عنه) في المخطوطة [و] فقط ولم ترد في باقي المخطوطات.
6- لم ترد (ولكن) في المخطوطة [و] ووردت في باقي المخطوطات.
7- وردت في المخطوطة [و] (فضرعت) وفي باقي المخطوطات (تضرعت).
8- انظر : (المعجم المفهرس) جـ4 ص 179.

وخَرَّج البخاريُّ من حديثِ ابن أبي ليلى : «حَدَّثَنا عليٌّ - رضي الله عنه - : أنَّ فاطمةَ عليها السلام اشتكتْ ما تَلْقَى من الرَّحَى مما تَطْحَنُ ، فبلغَها أن رسول الله ﷺ أُتِيَ بِسَبْيٍ فأَتَتْهُ تَسألُهُ خادماً * فلم تُوافِقْهُ فذكرتْ ذلك لعائشة - رضي الله عنها - ، فجاء النبي ﷺ ، فذكرتْ ذلكَ عائشةُ له - فأَتانا وقد دَخَلْنَا مَضَاجِعَنا فذَهبنا[1] لنقومَ فقال ﷺ : على مَكَانِكما (فقعدَ [2] بيننا) حتى وجدتُ قَدَميهِ على صَدري فقال : «أَلَا أَدُلُّكما على خيرٍ مما (سَألْتُماه) [3] ، إذا أَخذتُما مَضَاجِعَكما ، فكَبِّرا أربعاً وثلاثين واحْمدَا ثلاثاً وثلاثين ، وسَبِّحَا ثلاثاً وثلاثين ، (فإنَّ)[4] ذلكَ خيرٌ لكما مما سَألتُماه ». وأخرجه أحمد [5] .

ولأبي داود من حديث أبي الدرداء ، عن عليِّ بن أعبد ، قال : «قال لي عليٌّ - رضي الله عنه - : أَلَا أُحَدِّثُكَ عنِّي وعن فاطمة بنتِ رسول الله ﷺ وكانتْ مِنْ أحبِّ أهله إليه ، قلتُ : بلى . قال : فإنها جَرَّتْ بالرَّحَى حتى أَثَّرَ في يديها ، واسْتَقَتْ بالقِرْبَةِ حتى أَثَّرَ (تْ) في نَحْرِها ، وكَنَسَتِ البيتَ حتى اغْبَرَّتْ ثِيابُها ، فأَتى النبيَّ ﷺ خَدَمٌ ، فقلتُ : لو أَتيتِ أباكِ فسألتِهِ خادماً ، فأَتَتْهُ فوجدتْ عنده حُدَّاثاً فرجعتْ فأَتاها من الغد ، فقال : ما كانَ حاجتُكِ ؟ فسَكَتَتْ ، فقلتُ: أنا أُحَدِّثُكَ يا رسولَ الله، جَرَّتْ بالرَّحَى حتى أَثَّرتْ في يدِها ، وحملت القِرْبَةَ حتى أَثَّرَتْ في نحرِها ، فلما أن جاء الخدمُ أمرتُها أن تأتيك فتستخدِمَكَ خادماً تَقِيها حَرَّ ما

1- وردت في المخطوطة [وِ] (فذهبنا) وفي باقي المخطوطات (فنبهنا) وما أثبتناه هو ما ورد في (صحيح البخاري) جـ2 ص 129 .

2- (فقعد بيننا) لم ترد في المخطوطتين [ب ، ت] ووردت في المخطوطتين [و ، ك] وفي هامش المخطوطة [ك] إشارة إلى أنها غير موجودة في الأصل الذي نُقلت عنه وأنها مُصوَّبة من صَحيح البخاري . وبمراجعة الصحيح وجدناها غير موجودة به .

3- وردت في جميع المخطوطات (سألتما) وفي صحيح البخاري (سألتماه) .

4- (فإن) لم ترد في المخطوطة [و] ووردت في باقي المخطوطات وفي صحيح البخاري .

5- في المخطوطة [و] (وأخرجه أحمد) . وفي المخطوطة [ب] (وأخرجه مسلم أيضاً) .

هي فيه. فقال : اتَّقي الله يا فاطمة وأَدِّي فَريضة ربك واعْمَلِي عَمَلَ أَهْلِك ، فإذا أخذتِ مَضْجَعَكِ فسبِّحِي ثلاثاً وثلاثين ، واحْمَدِي ثلاثاً وثلاثين ، وكبِّري أربعاً وثلاثين ، فهي خيرٌ لكِ من خادمٍ . قالت : رضيتُ عن الله وعن رسوله» .

وفي الصحيحين وغيرهما من حديث عامر بن سعد ، عن أبيه ، عن النبي ﷺ أنه قال : «إنِّي لأُعْطِي الرجلَ وغَيْرُه أَحَبُّ إليَّ مِنْهُ خَشْيَةَ أن يُكَبَّ في النارِ على وَجْهِهِ»[1].

وفي رواية : «فواللهِ إنِّي لأُعْطِي الرجلَ، وأَدَعُ الرجلَ، والذي أَدَعُ أَحَبُّ إليَّ مِنَ الذي أُعْطِي ، ولكنِّي أُعْطِي أقواماً لما أَرى في قلوبهم من الجَزَع والهَلَع ، وأَكِلُ[2] أقواماً إلى ما جعل الله في قلوبهم من الغِنَى والخير» .

ومن حديث أنس بن مالك – رضي الله عنه –، عن النبي ﷺ * : «فإنِّي أُعْطِي رِجالاً حَدِيثي عهدٍ بكُفرٍ أَتَأَلَّفُهُم» [3] .

وروى ابن وهبٍ ، عن عَمْرو بن الحارث، أن بكر بن (سِوادة) [4] حَدَّثه أن أبا سالم الجَيْشَانيّ حَدَّثَه عن أبي ذرٍّ – رضي الله عنه – أن رسولَ الله ﷺ قال له : كيف تَرى جُعَيْلاً؟ [5] قال : قلتُ : كَشَكْلِهِ من الناس . قال : فكيف تَرى فلاناً ؟ قلتُ: سَيِّداً من ساداتِ الناسِ . قال : فجُعَيْلٌ خيرٌ من مِلْءِ الأرضِ (ذَهَباً) [6] – أو ألفاً ، أو

1– انظر: (صحيح مسلم) جـ 1 ص 91 ، 92 .

2– وردت في المخطوطة [و] (وأَكِل) وفي باقي المخطوطات (فأكِل) .

3– انظر : (صحيح مسلم) جـ1 ص 91 ، 92 .

4– وردت في المخطوطة [ب] (ابن سِوادة) وفي هامش المخطوطة [ك] إشارة إلى أن هامش الأصل به (ابن جُنارة) وفي المخطوطة [و] وردت (ابن جنادة) . والصحيح : بَكر بن سِوادة الجُذَاميّ . انظر ابن سعد (طبقات) جـ7 ص 514 .

5– ورد بهامش المخطوطتين [و ، ك] (جُعَيْل بن سُرَاقة الغفاريّ وقيل : الضَّمْريّ) ا هـ. وهو جُعَال بن سُرَاقة الضَّمْريّ وصُغِّرَ اسمُه فصار جُعَيْلاً . وقد غيَّر الرسولُ ﷺ اسمه يَومَ الخندق فسمَّاه عمراً . انظر : ابن سعد جـ4 ص 245 ، 246 .

6– كلمة (ذَهَباً) إضافة من ناسخ المخطوطة [ك] حتى يستقيم المعنى ، ولم ترد في أيٍّ من المخطوطات الأخرى .

نحو ذلك من فُلان - . قال : قلتُ : يا رسولَ اللهِ ، ففلانٌ هكذا - وأنت تَصنعُ به ما تصنع - ؟ . قال : إنَّهُ رَأْسُ قَوْمِه وأنا أَتَألَّفُهُمْ به» .

قال جَامِعُهُ : وهذا عليُّ بن أبي طالب - رضي الله عنه - كان يعلم أنَّ رسولَ الله ﷺ يَرْبَأُ ببني هاشم عن [1] ولايةِ الأعمالِ ، كما ثبتَ في صحيح مسلم وغيره من حديثِ مالكٍ عن ابن شهاب أن عبدَ الله بن عبدِ الله بن نَوْفل بن الحارث بن عبدِالمطلب (حَدَّثَهُ أن عبدَ المطلب) [2] بن ربيعةَ بن الحارث حَدَّثَهُ قال : اجتمع ربيعة بن الحارث والعبَّاس بن عبد المطلب فقالا : والله لو بَعَثْنا هذين الغلامين - قال لي وللفضل [3] بن العبَّاس - إلى رسول الله ﷺ فكَلَّمَاهُ فَأَمَّرَهُما على هذهِ الصدقات، فَأَدَّيَا ما يُؤدِّي الناسُ وأَصَابا مما يُصيب الناسُ . قال : فَبَيْنَا هُمَا في ذلك جاء عليُّ بن أبي طالب - رضي الله عنه - فوقفَ عليهما فذكرا له (ذلك)[4] فقال : لا تفعلا، فواللهِ ما هو بفاعل . فانتحاهُ [5] ربيعةُ بن الحارثِ فقال : واللهِ ما تَصنعُ هذا إلا نُفَاسَةً [6] منك (علينا) [7] ، فوَاللهِ لقد نِلْتَ صِهْرَ رسولِ الله ﷺ فما نَفَسْنَاه عليك . قال عليٌّ: أَرْسِلوهما . فانطلقنا واضطجع . فلما صلَّى رسولُ الله ﷺ الظهرَ سبقناه إلى الحُجْرةِ فقمنا عندَها حتى جاءَ ، فأخذَ بآذانِنا ثم قال : أَخْرِجَا ما تُسِرَّان . ثم دخلَ ودَخَلْنَا عليه وهو يومئذٍ عند زينب بنت جحش . قال : فتواكلنا الكلام ثم تكلَّم أحدُنا فقال: يا رسول الله أنت أَبَرُّ الناس وأَوْصَلُ الناس ، وقد بلغنا النِّكاحَ - أو الحُلُم [8] - فجئنا لِتُؤَمِّرَنَا على بعضِ هذه الصدقاتِ ، فَنُؤَدِّيَ إليك

1- وردت في المخطوطة [و] (عن) وفي باقي المخطوطات (من) .
2- لم ترد (حدثه أن عبدالمطلب) في المخطوطة [و] ووردت في باقي المخطوطات .
3- وردت في المخطوطة [و] (للفضل) وفي باقي المخطوطات (الفضل) .
4- كلمة (ذلك) لم ترد في المخطوطة [و] ووردت في باقي المخطوطات .
5- ورد بهامش المخطوطة [و] (انتحاه بالحاء المهملة يعنى : عَرَضَ له وقصده) ا هـ.
6- ورد بهامش المخطوطة [و] (نُفاسَة يعنى حسداً ، فما نفسناه أي : ما حسدناه) .
7- كلمة (علينا) لم ترد في المخطوطة [و] ووردت في باقي المخطوطات .
8- في المخطوطة [و] وردت (أو الحلم) ، وفي المخطوطة [ك] وردت (يعني الحلم) ولم ترد في المخطوطتين [ب ، ت] .

كما يُؤَدِّي الناسُ ونُصِيبُ كما يُصِيبون . فسكتَ طويلاً حتى أردنا أن نُكَلِّمَهُ، وجعلتْ * زينبُ تُلْمِعُ إلينا من وراء الحِجاب ، أي [1] : لا تُكلِّمَاه . قال : ثم قال : إن الصدقةَ لا تنبغي لآل محمد ، إنما هي أوساخُ الناسِ ، ادْعُوا إليَّ مَحْمِيَةَ [2] - وكان على الخُمْس - ونَوْفَلَ بن الحارث بن عبد المطلب (فجاءا) [3] فقال لمحمية : أَنْكِحْ هذا الغلامَ ابنتكَ - للفضل بن العباس - ؛ فَأَنْكَحَهُ ، وقال لنوفل : أَنْكِحِ الغلامَ ابنتكَ - لي - ؛ فَأَنْكَحَني . وقال لمحمِية : أَصْدِقْ عنهما من الخُمس كذا وكذا» [4] .

فهذا - أَعزَّكَ الله - وإن كان إنما فيه منعُ بني هاشم من تناول الصدقةِ لأنها مُحَرَّمة عليهم ، فإن رسولَ الله ﷺ إنما كانت أعمالُه التي يستعمل عليها عُمَّاله على قسمين : إما للحرب ، أو على الصدقاتِ . فمنع رسول الله ﷺ بني هاشم من العمل على الصدقة بنصيب العامل وهو الصحيح ، لأنهم لا يُسْتَعْمَلون عليها تنزيهاً لهم ولبني المطلب عن أوساخ الناسِ ؛ لكرامتهم .

وقد كان غيرُ واحدٍ من فُضَلَاءِ الصحابةِ - رضي الله عنهم - يعلمون أن آلَ البيتِ أرفعُ قَدْراً عند اللهِ من أن يبتليهم بأعمال الدنيا . منهم عبد الله بن عمر بن الخطاب - رضي الله عنهما -، لما خَرَجَ الحسينُ بن عليٍّ - رضي الله عنهما - ، يريد العراقَ ، وقد كتبَ إليه شيعتُهم بالبيعةِ وحَثُّوه على مسيرِهِ إليهم ليقومَ بأمر الأمةِ بَدَلَ يزيدَ بن معاوية لحقَ به عبدُ الله على مسيرة ليلتين ، وقال : أين تُريد؟ قال: العراق. قال : لا تَأْتِهِمْ . قال : هذه كتبُهم وبيعتُهم . فقال : إن الله عزَّ وجلَّ خَيَّرَ نبيه ﷺ بين الآخرة والدنيا ؛ فاختار الآخرة ولم يُرِدِ الدنيا ، وإنَّكَ بِضْعَةٌ من

1- في المخطوطة [و] (أي) وفي باقي المخطوطات (وإن) .

2- مَحْمِيَة بن جَزْء بن عبد يغوث بن عُوَيْج بن عمرو بن زُبَيْد الأصغر . انظر : ابن سعد جـ4 ص 198 ، 199 .

3- لم ترد (فجاءا) في المخطوطة [و] ووردت في باقي المخطوطات .

4- انظر : (المعجم المفهرس) جـ 5 ، ص 266 .

رسولِ الله ﷺ ، واللهِ لا يَلِيها أحدٌ مِنكم ، ولا [1] صَرَفَها اللهُ عنكم إلا للذي هو خيرٌ لكم ؛ فَارْجِعْ . فأبَى الحسينُ وقال : (هذه كتبُهم وبيعتُهم)[2] . فاعتنقه عبدُ الله بن عمر وقال: أَسْتَوْدِعُكَ اللهَ مِنْ قتيلٍ» . فكان كما قال ابنُ عمر .

وكذلك قال عبدُ اللهِ بن عبَّاس - رضي الله عنهما - للحسين : «واللهِ - يا ابنَ أخي - ما كان اللهُ ليجمعَ لكم بينَ النبوَّةِ والخلافةِ» .

وهذا من فِقْهِهما .

وقد أشار الحسنُ * بن عليٍّ - رضي الله عنهما [3] - إلى ذلك في خطبته لما تركَ الخلافةَ التي صارت إليه بعد أبيه ، وتَنزَّهَ عنها وتَرَفَّعَ عن منازعة معاوية - رضي الله عنهما - ، فلما دخل معاوية الكوفة أشار عليه عمرو بن العاص أن يأمرَ الحسنَ فيخطبَ الناسَ ظنًّا منه أنه يَعْيَا ، فخطبَ معاويةُ ثم أشارَ إلى الحسن بأنْ [4] يخطبَ فقامَ فحَمِدَ الله ثم قال : «أيُّها الناسُ ، إنَّ اللهَ هَدَاكُمْ بأَوَّلِنا وحَقَنَ دِماءكُمْ بآخِرِنا ، وإنَّ لهذا الأمر مُدَّةً ، والدنيا دُوَلٌ ، وإن اللهَ عَزَّ وجَلَّ قال لنبيهِ ﷺ: ﴿وَإِنْ أَدْرِي لَعَلَّهُ فِتْنَةٌ لَّكُمْ وَمَتَاعٌ إِلَىٰ حِينٍ﴾[5]» . فلما قالها قال له معاوية : اجلسْ . وحَقَدَها على عمرو ؛ وقال : «هذا مِنْ رأيك» . فَصَدَقَ الحسنُ (عليه السلام) [6] فيما قاله .

* * * *

1- وردت في المخطوطة [و] (ولا) وفي باقي المخطوطات (وما) .
2- العبارة بين القوسين لم ترد في المخطوطة [و] ووردت في باقي المخطوطات .
3- وردت في المخطوطة [و] (رضي الله عنهما) وفي باقي المخطوطات (رضي الله عنه) .
4- وردت في المخطوطة [و] (بأن) وفي باقي المخطوطات (إن) .
5- سورة الأنبياء ، مَكيَّة (21) ، الآية 111 .
6- لم ترد (عليه السلام) في المخطوطة [و] ووردت في باقي المخطوطات .

فصل (•)

سبب خروج الخلافة بعد الرسول ﷺ عن علي بن أبي طالب (••)

(•) كلمة (فصل) وردت في المخطوطة [و] فقط .

(••) العنوان من عندنا .

ذهب بعضهم إلى أنَّ السِّرَّ في خروج الخلافةِ بعدَ رسولِ الله ﷺ عن عليِّ ابن أبي طالب إلى أبي بكر وعمر وعثمان [1] ، أن عليًّا لو وَلِيَ الخلافة حينئذٍ وهو أبو الحسنين لأوشك أنْ يقولَ قائلٌ ويتخيَّلِ متخيِّلٌ أنه مُلْكٌ مُتَوَارَثٌ لا يكون إلا في آل البيتِ كما تزعم الرافضةُ ، فصانَ اللهُ العقائدَ من هذه الشُّبهة كما صانَها من شُبهةِ قولِ القائلِ عن النبي ﷺ : هو رجلٌ يطلبُ مُلْكَ أبيه [2] . وهو معنًى حسنٌ. ولهذا السبب جعل النبي ﷺ الخلافةَ لعامةِ قُريش ولم يَخصّ بِها أهلَ بيتِهِ ، ولا بني هاشم حتى لا يتخيَّل متخيِّلٌ أنَّه مُلْكٌ متوارَثٌ ، واللهُ سبحانهُ [3] أعلم .

وقد ظَهَرَ لي أن ولايةَ رسولِ الله ﷺ بني أُميَّة الأعمال كانت إشارةً منه ﷺ إلى أن الأمرَ سيصير إليهم .

ولي - بحمد الله - في هذا النحو خيرُ سَلَفٍ وأَجَلُّ قدوةٍ ، منهم سعيد بن المسَيِّب - رحمه الله -.

وقد ثَبَتَ في الصحيحين من حديثِ أبي موسى الأَشْعَريّ - رضي الله تعالى [4] عنه - في حديثِ جلوس رسول الله ﷺ على بئر أريس [5] ، ودخولِ أبي بكر وعمر - رضي الله عنهما - وجلوسهما عن يمينهِ وشمالهِ معه ﷺ في القَفِّ ، ودخولِ عثمانَ بن عفانِ - رضي الله عنه - وجلوسِه وُجَاهَهُمْ في الشِّقِّ الآخر ، وأن سعيد بن المسَيِّب قال : تَأَوَّلْتُ ذلك قُبورَهم * اجتمعتْ ها هنا وانفرد قبرُ عثمانَ -رضي الله عنه- .

1- وردت في المخطوطة [و] (وعثمان) وفي باقي المخطوطات (ثم عثمان) .
2- يقصد جَدَّه عبد المطلب .
3- كلمة (سبحانه) وردت في المخطوطة [و] ولم ترد في باقي المخطوطات .
4- كلمة (تعالى) وردت في المخطوطة [و] ولم ترد في باقي المخطوطات .
5- بئر أريس : بئر بقباء . انظر : السمهودي جـ2 ص 255 ، 256 .

وثَبتَ من حديث جابر بن عبد الله (رضي الله عنه)[1] أنَّ رسولَ اللهِ ﷺ نَحرَ في حِجَّتِهِ التي يُقال لها حِجَّةُ الوداعِ ثلاثاً وستين بَدَنَةً [2] ، فكان في نَحْرِهِ هذا العدد من البُدْن إشارةٌ إلى مُدَّةِ حياتهِ ﷺ - ثلاث وستين سنة - [3] .

وثَبتَ من حديث أبي سعيد الخُدْرِيّ - رضي الله عنه - أن رسولَ اللهِ ﷺ قال: «إنَّ مِنْ [4] أَمَنِّ الناسِ عَليَّ في صُحْبتهِ ومالِهِ (أبو بكر) [5] ، ولو كنتُ مُتَّخِذاً خليلاً لاتخذتُ أبا بكر خليلاً إلا خُلَّةَ الإسلام . لا تبقينَّ في المسجدِ خَوْخَةٌ [6] إلا خَوْخَةُ أبي بكر» [7] .

فكان أمرُ رسولِ الله ﷺ بإبقاء خَوْخَة أبي بكر - رضي الله عنه - في المسجدِ مع منع الناسِ كلهم من ذلك إشارةً ودليلاً على خلافته بعد رسول الله ﷺ ، وإنَّ ذلك كان من رسولِ الله ﷺ تنبيهاً للناسِ بأن أبا بكر - رضي الله عنه - يصير إمام المسلمين ، ويخرج من بيته إلى المسجدِ كما كان رسولُ الله ﷺ يخرج .

ذكره ابن بَطَّال .

وقد جعل جمهورُ الصحابةِ - رضي الله عنهم - استخلافَ رسولِ الله ﷺ أبا بكر - رضي الله عنه - في الصلاة ، وهو مريض ، دليلاً وإشارةً إلى أنه الخليفةُ من بعد رسولِ الله ﷺ وقالوا : قد رَضِيَهُ رسولُ اللهِ ﷺ لديننا ؛ أفلا نرضاه لدنيانا؟

وثبت في الصحيح من حديثِ سعيد بن جُبَيْر عن ابنِ عبَّاس - رضي الله عنه - قال : « كان عمر - رضي الله عنه - يُدْخِلُني مع أشياخ بَدْرٍ ، فقال بعضُهم:

1- انظر (صحيح البخاري) ، جـ2 ص 181 .
2- البَدَنَة : ناقة أو بقرة تُنْحر بمكة قُرباناً لله ؛ وكانوا يُسَمِّنونها لذلك .
3- انظر : (المعجم المفهرس) جـ 1 ص 154 .
4- كلمة (من) وردت في المخطوطة [و] فقط .
5- وردت في المخطوطتين [و ، ك] (أبا بكر) وهو خطأ .
6- خَوْخَة : باب صغير وسط باب كبير نُصِبَ حاجزاً بين دارين ، وهو كذلك مُخترَقُ ما بين كل دارين.
7- انظر (صحيح البخاري) جـ 2 ص 205 .

لِمَ يُدْخِلُ هذا الفتى معنا ، ولنا أبناء مثله ؟! فقال : إنه (مِمَّنْ) [1] قد عَلِمْتُمْ . قال: فدَعَاهم ذاتَ يوم ، ودَعَاني مَعهم ، وما رأيتُهُ دَعَاني [2] يومئذٍ إلا لِيُرِيَهُمْ مِنِّي . فقال : ما تقولون في ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ ۝١ وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا ۝٢﴾[3] - حتى خَتَمَ السورة -؟ فقال بعضُهم : أُمِرْنَا أنْ نحمدَ الله ونستغفرَهُ إذا نَصَرَنا وفَتَحَ علينا . وقال بعضُهم : لا ندري . أو لم يَقُلْ بَعْضُهم شيئاً . فقال لي : «يا بنَ عبَّاس ، أكذا هو؟ (قلت : لا . قال : فما تقول؟) [4] قلت : هو أَجَلُ رسولِ الله ﷺ * أَعْلَمَهُ اللهُ له بقوله : ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ﴾ فتحُ مكة ، فذلك علامةُ أَجَلِكَ ﴿فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا﴾. قال عمر : «ما أعلمُ منها إلا ما تعلم» [5] .

فهذا فَهْمُ الصحابةِ والتابعين - رضوان الله عليهم أجمعين - وهُمُ القدوة ، وبهم الأُسْوة ؛ - وفَّقنا الله لاتِّباعهم - .

* * * *

1- وردت في المخطوطة [و] (من) وفي باقي المخطوطات (ممن) .

2- وردت في المخطوطتين [و ، ب] (إلا) بعد (دعاني) . وفي المخطوطة [ك] إشارة إلى أن ذلك خطأ في الأصل الذي نُقِلَتْ عنه كلمة (إلا) بعد (دعاني) .

3- سورة النصر ، نزلت بحجة الوداع بِـمِنَى فتُعدُّ مدنية . ويقال إنها آخر ما نزل من السور ، (110) الآيات 1 - 3 .

4- ما بين القوسين لم يرد في المخطوطة [و] وورد في باقي المخطوطات .

5-انظر الخبر - مع اختلاف في اللفظ - في صحيح البخاري جـ 2 ص 176 .

فصل (•)

تـولّـــي
بني العبّاس الخلافة (••)

(•) كلمة (فصل) وردت في المخطوطة [و] فقط.

(••) العنوان من عندنا .

إياك والاعتراض على ما تقدَّم من أخذ بني العبَّاس بن عبد المطلب بن هاشم الخلافة ، وأنهم أقاموا خلفاء نَيِّفاً على خمسمائة وعشرين سنة [1] . فإن الخلافة إنما صارت إليهم بعد ما ضعفَ أمرُ الدين وتخلخلت أركانه [2] وتداول الناس أمر الأمة بالغلبة ، فأخذها حينئذ بنو العبَّاس بأيدي العجم أهل خراسان ، ونالوها بالقوة ، ومناهضة الدول ، ومساورة [3] الملوك ، حتى أزالوا بعجم خراسان دولة بني أُميَّة ، وتناولوا العزَّ كيف كان ، فما وصل أمر الأمة إلى أهل العدالة والطهارة ولا وَلِيَهُمْ ذو الزهادة [4] والعبادة ، ولا سَاسَهُمْ أربابُ الورع والأمانة ، بل استحالت الخلافة كسرويةً وقيصريةً ، بحيث إن إبراهيم الإمام بن محمد بن علي بن عبد الله ابن عبَّاس لما وجَّه أبا مسلم الخراسانيّ إلى دعاته بخراسان ووصَّاهم أن يسمعوا له ويطيعوا قال له: «إنك رجل مِنَّا أهل البيت . احفظْ وصيَّتي : (انظرْ) [5] هذا الحيَّ من اليمن فأَكْرِمْهم واسكنْ بين أَظْهُرِهَمْ ، فإن الله لا يُتمُّ هذا الأمر إلا بهم . واتَّهِمْ ربيعةَ في أمرهم ، وأما مُضَر فإنهم العدوُّ القريبُ الدار ؛ اقتلْ مَنْ شككتَ فيه ، وإن استطعتَ ألاَّ تَدَعَ بخراسان من يتكلم بالعربية فافعلْ ، وأَيُّما غلام بلغ خمسة أشبار تتهمه فاقتلْهُ»[6]. فأين - أعزك الله - هذه الوصية من وصايا الخلفاء الراشدين لعمَّالهم؟! وتاللهِ لو توجَّه أبو مسلم إلى أرض الحرب ليغزو أهل الشرك بالله لما جاز أن يُوصَى بهذا ، فكيف وإنما توجَّه إلى دار الإسلام وقاتلَ أبناء المهاجرين

1- في المخطوطة [ب] (نَيِّفاً على خمسمائة سنة وعشرين سنة) .

2- في هامش المخطوطة [ك] (وبعد أن امتزج بنو هاشم بالتزاوج والتناسل مع غيرهم ولم يعودوا من صميم هاشم) .

3- وردت في المخطوطة [و] (مساورة) وفي باقي المخطوطات (مشاورة) . والمساورة: المصارعة.

4- في المخطوطة [و] (ذو الزهادة) وفي باقي المخطوطات (ذوو الزهادة) .

5- كلمة غير واضحة في المخطوطة [و] وفي باقي المخطوطات (انظر) .

6- حول وصية السفاح لأبي مسلم : انظر : تاريخ اليعقوبي جـ 2 ص 361 ، 362 .

والأنصار وغيرهم من العرب لينتزع من أيديهم ما فتحه آباؤهم من أرض الشرك * ليتخذَ مالَ الله دُوَلاً وعبيدَه خَوَلاً . فعملَ أبو مسلم بوصية (إبراهيم) [1] الإمام حتى غلبَ على ممالك خراسان وتخطَّتْ عساكره إلى العراق ، فيقال إنه قَتَلَ ستمائة ألف إنسان ، وسار في الناس بالعسف والجبرية .

فَمِنْ سَيِّئ سِيرته أنه لما قَوِيَ أمره وصار في عسكر ، ودخل مرو في شهر ربيع الأول سنة ثلاثين ومائة واستولى عليها ، أراد الغدر بنصر بن سيَّار وقد آنسه وبسطه وضمنَ له أن يكفَّ عنه ويقوم بشأنه عند الإمام ، فبعثَ إليه مع لاهز بن قريظ ، وسليمان بن كثير ، وعمران بن إسماعيل [2] ، وداود بن كراز ، يُعلمه أن كتاباً أتاه من الإمام يَعِدُهُ فيه ويُمنِّيه ، ويضمن له الكرامة ويقول له : إني أُريد مُشافهته ، وأقرأ كتابَ الإمام عليه . يريد بذلك أنه إذا أتاه قبض عليه . فلما أتته الرسل تلا لاهز قول الله تعالى : ﴿إِنَّ ٱلْمَلَأَ يَأْتَمِرُونَ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ﴾ [3] فتنبَّه نصر إلى ما أراد من تحذيره، فقال: أنا صائرٌ معكم إلى الأمير أبي مسلم . ودخل بستاناً له (كأنه)[4] يريد أن يلبس ثيابه ، وركب دابته وهرب إلى الريّ . وسأل أبو مسلم (عنه) [5] فأُخبر بتلاوة لاهز الآية فقال له : «يا لاهز ، أعصبيةٌ في الدِّين ؟ قُومَا فاضْرِبَا عنقه» . فَضُرِبَ عُنق لاهز.

وكان سليمان بن كثير الخزاعيّ أحد نقباء الدعوة فَقَتَلَهُ أبو مسلم لأنه كره سيرته ، وأخذ عنقود عنب فقال [6] : «اللهمَّ سَوِّدْ وجه أبي مسلم كما سَوَّدْتَ هذا

1- كلمة (إبراهيم) لم ترد في المخطوطة [و] ووردت في باقي المخطوطات .
2- هكذا ورد في باقي المخطوطات - أما المخطوطة [و] فقد ورد هكذا: عمران بن عثمان إسماعيل .
3- سورة القصص ، مكية وبعض آياتها مدنية (28) ، الآية 20 .
4- كلمة (كأنه) لم ترد في المخطوطة [و] ووردت في باقي المخطوطات .
5- في المخطوطة [و] وردت (عليه) ، وفي باقي المخطوطات (عنه) .
6- وردت في المخطوطة [و] (فقال) وفي باقي المخطوطات (وقال) .

العنقود وأَسْقِني دمه» . وقال أيضاً : «حفرنا نهراً بأيدينا فجاء غيرنا فأجرى فيه الماء» . يعني أبا مسلم . وقتلَ زيادَ بن صالح من أجل أنه بلغه عنه أنه يقول : إنما بايعنا على إقامة العدل وإحياء السُّنن وهذا جائر ظالم يسير بسيرة الجبابرة [1] ، وإنه مخالفٌ . وكان لزياد بلاء حسن في إقامة الدولة فلم يُرَاعِ له ذلك . فغضبَ عيسى بن ماهان مولى خزاعة لقتل زياد ودعا لحرب أبي مسلم سرًّا ، فاحتال عليه بأن دسَّ عليه بعض ثقاته فقتله [2] . وقيل : كتبَ إليه أن رسول أمير المؤمنين - يعني السَّفَّاح - قد قدمَ على الأمير بِخِلَعٍ وبِرٍّ له وللأولياء ؛ فَصِرْ إلينا لتشركنا في أمرنا . فقدمَ عليه فأخذه ، وأدخله * جُوالِق [3] وضربه بالخشب حتى قُتل .

وكان أفلح بن مالك بن أسماء بن خارجة الفزاريّ بخراسان ، وكان صديقاً لأبي مسلم يلاعبه الشطرنج ويؤانسه ، وكان ذا قدر بخراسان ، فلما ظهرت الدعوة قدمَ على أبي مسلم وقال :

قُلْ للأميرِ أمينِ الإمَامِ وَصِيِّ وَصِـيِّ وَصِيِّ الوَصِيِّ
أَتيتُكَ لا طالباً حاجةً وما ليَ في أرضِكُمْ مِنْ كَفِيِّ

فكان أبو مسلم يبرُّه ويكرمه ثم أمر بقتله . فقيل له : صديقك وأنيسك . فقال: رأيته ذا هِمَّة وأُبَّهة فقتلته مخافةَ أن يُحْدِثَ حدثاً ، وكان لا يقعد على الأرض إذا قعدتُ على السرير ، ولقد كان عليَّ كريماً وكنتُ له محبًّا . فعيَّر أبو جعفر المنصور أبا مسلم بقتله فيما عيَّره به لمّا عزمَ على قتله .

وكان أبو مسلم يخدم يونسَ بن عاصم فابتاعه منه بكير بن ماهان بأربعمائة درهم وبعث به إلى إبراهيم الإمام ، فلما ملكَ أبو مسلم مرو ، قدمَ عليه يونس بن عاصم فأكرمه غاية الإكرام ، ثم دسَّ إليه رجلاً فقال : سَلْهُ عن حاله عندي ، ولم

1- وردت في المخطوطة [و] (بسيرة) وفي باقي المخطوطات (بسير) .
2- وردت في باقي المخطوطات (دس إلى بعض ثقاته بقتله) .
3- جُوالِق : وعاء من صوف أو شعر أو غيرهما ، وهو (الشوال) بالعامية المصرية .

أكرمته ؟ فسأله ، فقال : كنتُ قهرماناً له ناصحاً . فقال له أبو مسلم : أبيتَ إلا كرماً. فقال : يا بنَ اللخناء [1] ، أردتَ أن أقول إنك كنتُ لي خادماً فتقتلني ، فباللهِ أسألكَ لو لم أقلب المعنى ما كنتَ فاعلاً ؟ قال : قد واللهِ كنتُ قَدَّرْتُ موضعَ (خشيتك)[2]. قال : أكان هذا جزائي ؟! قال : ومن جازيناه بجزائه وضعنا السيف بين كتفيه . فلم يبقَ بَرٌّ ولا فاجرٌ إلا قتله . ومثلُ هذا كثير .

وما زال يسعى بجهده حتى أزال دولة بني أُميَّة ، وأُقيم عبد الله بن محمد بن عليِّ بن عبد الله بن عبَّاس الملقَّب بالسَّفَّاح ، فبعثَ عمه عبد الله بن علي لقتال مروان بن محمد فقتله وبطشَ في أهل الشام بطش الجبَّارين ، وسار في الجَوْرِ سيرة لم يسرها أحد قبله . وذلك أنه لما هزمَ مروانَ بالزاب وغلبه على بلاد الشام وقتلَ أهلَ دمشق وهدمَ سورها ، وسار إلى فلسطين ؛ نادى وهو على نهر أبي فطرس [3] في بني أُميَّة بالأمان فاجتمعوا إليه فعجَّلت الخراسانيةُ إليهم بالعمد فقتلوهم ، وقتلَ عبدُ الله جماعةً * منهم ومن أشياعهم . وأمرَ بنبش قبر معاوية بن أبي سفيان فما وُجِدَ منه إلا خط ، ونُبِشَ قبر يزيد بن معاوية فوُجِدَ فيه سُلَاميَّاتُ رِجْلِهِ ، ووُجِدَ من عبدالملك بن مروان بعضُ شئون رأسه ، ولم يوجد من الوليد وسليمان ابني عبد الملك إلا رفاتٌ ، ووُجِدَ هشامٌ صحيحاً إلا شيئاً من أنفه وشيئاً من صدغه ، فضُرِبَ عِدَّةَ سياطٍ وصُلِبَ ، ووُجِدَتْ جمجمةُ مسلمة بن عبد الملك فاتُّخِذَتْ غرضاً حتى تناثرتْ ، ولم يَعْرِضْ لعمر بن عبد العزيز ، وجمعَ ما وُجِدَ في القبور وأُحرق .

وخطبَ عبدةَ بنت عبد الله بن يزيد بن معاوية بن أبي سفيان زوج هشام بن

1- اللخناء : النتنة .

2- وردت في المخطوطتين [ط ، و] (خشيتك) وفي المخطوطتين [ك ، ن] (خشبتك) يريد : صلبتك .

3- نهر أبي فطرس : نهر قرب الرملة بفلسطين . انظر : ياقوت الحموي جـ6 ص 386 .

عبد الملك بن مروان ، فَأَبَتْ عليه التزويج ، فأمرَ بها ، فَبُقِرَ بطنُها ، وجَعَلَتْ حينَ أُتِيَ بها لِيُبْقَرَ بَطنُها وتُقتل تُنْشِدُ :

فَقُلْ للشَّامِتِينَ بِنَا أَفِيقُوا سَيَلْقَى الشَّامِتُونَ كما لَقِينَا

فهذه سيرة عبدِ الله بن عليٍّ - عَمِّ السَّفَّاح - .

وولَّى السَّفَّاحُ ابنَ أخيه إبراهيم بن يحيى بن محمد بن عليٍّ (بن عبد الله) [1] سنة ثلاث وثلاثين ومائة الموصلَ فدخلها في اثني عشر ألفاً ، فأول ما بدأ به أن دعا أهلَ الموصل فقتلَ منهم اثني عشر رجلاً ، فنفرَ أهلُ البلد وحملوا السلاح ، فنادى: مَنْ دخلَ الجامعَ فهو آمِنٌ ، فأتاه الناس يُهرعون إليه ، فأقامَ الرجالَ على أبواب الجامع وقتلَ الناس فيه قتلاً ذريعاً تجاوزَ فيه الحدَّ وأسرفَ في المقدار ، فيقال إنه قتلَ أحدَ عشرَ ألف إنسان ممن له خاتم سوى من ليس في يده خاتم ، وهم عدد كثير جدًّا ، بحيث لم ينجُ من رجال الموصل مع كثرتهم إلا نحو أربعمائة رجل صدموا [2] الجندَ فأفرجوا لهم . فلما كان الليل سَمِعَ صراخَ النساء اللاتي قُتل رجالهنَّ فأمرَ من الغد بقتلهنَّ ، فأقامَ رجالَهُ ثلاثة أيام يقتلون النساء والصبيان . وكان في عسكره قائدٌ معه أربعة آلاف عبد زنجيّ ، فأخذوا النساء قهراً ، فلما فرغَ إبراهيم من قتل الناس في اليوم الثالث ، ركبَ في اليوم الرابع وبين يديه الحراب والسيوف المسلولة ، فأخذت امرأة بلجام دابته فأراد أصحابه قتلَها فكَفَّهم عنها ، فقالت له: * ألستَ من بني هاشم ؟ ألستَ ابنَ عَمِّ رسولِ الله ﷺ ؟ أما تأنفُ للعربيات المسلمات أن ينكحنَ الزنوج ؟ فلم يُجِبْهَا ، وبعثَ معها من يُبلغها مأمنها ، ثم جمعَ من الغد الزنوجَ للعطاء وقَتَلَهم عن آخرهم . ثم أمرَ بأن لا يُترك في الموصل ديكٌ

1- وردت (بن عبدالله) في جميع المخطوطات ما عدا المخطوطة [و] .

هذا وتذكر المصادر أن السفاح اختار أخاه وليس ابن أخيه مكان محمد بن سليمان الذي طرده أهل الموصل سنة (132هـ / 749م) .

انظر : اليعقوبي جـ2 ص 357 ، والأزدي (تاريخ الموصل) ص 145 .

2- صدموا : دفعوا .

إلا ذُبِحَ ، ولا كلبٌ إلا عُقِرَ ، فَنُفِّذَ ذلك . فكانت هذه فعلة لم يُسْمَعْ بأقبح منها إلا ما كان من السَّفَّاح ، فإن زوجته أم سلمة بنت يعقوب بن سلمة بن عبدالله بن الوليد ابن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم المخزومية [1] قالت : يا أميرَ المؤمنين ، لأيِّ شيءٍ استعرضَ ابنُ أخيك أهلَ الموصل بالسيف ؟! فقال لها : وَحَيَاتِكِ ما أَدْرِي . ولم يكن عنده من إنكار هذا الأمر الفظيع سوى هذا [2] .

وَلَعَمْرِي لقد فاقَ فرعونَ في فساده وأَرْبَى عليه في عُتوِّه وعناده ، وإن السَّفَّاح بما فعله ابنُ أخيه قد صار يسومُ أمة محمد ﷺ من سوء العذاب أشد وأقبح ما كان فرعون يسومُ بني إسرائيل (منه) [3] ، فكيف بها إذا ضُمَّتْ مع ما حكاه البلاذريّ قال: كان أبو العبَّاس (يعني) [4] السَّفَّاح يسمع الغناء ، فإذا قال للمغنِّي : أحسنت . لم ينصرف من عنده إلا بجائزة وكسوة . فقيل له : إن الخلافة جليلة ؛ فلو حجبتَ عنك من يشاهدك على النبيذ . فاحتجبَ عنهم ، وكانت صِلَاتُه قائمةً لهم .

فأين هذا من الهَدْي النبويّ وسِيَرِ أئمة الهُدى ؟! فما أبعدَهم عن هداهم ؟!

ولله دَرُّ القائل :

نَزَلوا بِمَكَّةَ في قَبائلِ نَوْفَلٍ ونَزلتَ بِالبَيْداءِ أَبْعَدَ مَنزِلِ

وأما أبو جعفر عبد الله بن محمد المنصور فإنه تزيَّا بزيِّ الأكاسرة ، وجعل أبناءَ فارس رجالَ [5] دولتهم كبني برمك وبني نوبخت ، وأحدثَ تقبيلَ الأرض ، وتَحجَّبَ عن الرعيَّة وتَرفَّعَ عليهم ، بحيث إن عقال بن شبه قال له : «أحمدُ الله فقد

1- وهي التي أنجبت للسَّفَّاح ابنته (ريطة) التي تزوجت المهديّ بن المنصور ثالث خلفاء بني العبَّاس.

انظر : عمر رضا كحالة (أعلام النساء) جـ2 ص 255 – 257 .

2- حول تفاصيل هذا الخبر : انظر : الأزدي ص 145 – 154 .

3- وردت في المخطوطة [و] (به) وفي باقي المخطوطات (منه) .

4- كلمة (يعني) لم ترد في المخطوطة [و] ووردت في باقي المخطوطات .

5- وردت في المخطوطة [و] (رجال) وفي باقي المخطوطات (رجالات) .

حُزْتَ هَدْيَ الخلفاء». فغضبَ المنصور وقال : «كبرتَ يا عقال وكبرَ كلامُك» [1]. ففطنَ وقال: «أجلْ ، لقد أحزنَ سهلي [2] واضطربَ عقلي ، وأنكرني أهلي ، ولا أقومُ هذا المقام بعدَ يومي» . * فلم يَعِشِ المنصور بعد ذلك إلا شهرين وأياماً . وحتى إن الربيع حاجبه ضربَ رجلاً شَمَّتَ المنصورَ عند العطسة ، فلما شكا ذلك إلى المنصور قال : «أصابَ الرجلُ السُّنَّةَ وأخطأَ الأدب» . فأين قول أبي جعفر هذا من حديث النبوَّة الناطقة و (الإمامة) [3] الصادقة؟ ووالله ما الأدبُ كله إلا في السُّنَّة النبوية (فإنها) [4] هي الجامعة للأدب النبويّ والأمر الإلهيّ . لكنه غلبَ على القوم الجبروتُ ودخلتِ النعرةُ في إنافهم ، وظهرتِ الخنزوانية [5] بينهم فسَمَّوا عوائدَ العجم أدباً ، وقدَّموها على السُّنَّة التي هي ثمرة النبوَّة ، فزادهم ذلك جفاءً وقسوة ؛ حتى إن أبا جعفر كان ممن بايع محمد بن عبد الله بن الحسن بن [الحسن ابن] عليٍّ بن أبي طالب - رضي الله عنهم - ليلةَ تَشَاوَرَ بنو هاشم فيمن يعقدون له الإمامة ، وذلك حين اضطربت (أمور) [6] بني أُميَّة . فلما أُقيم أبو العبَّاس عبدالله ابن محمد السَّفَّاح في الخلافة وعهدَ بها عند وفاته لأخيه أبي جعفر عبد الله بن محمد المنصور وقام من بعده بالأمر ، أَهمَّه أمرُ محمد بن عبد الله وأخيه إبراهيم وألحَّ على أبيهما عبد الله بن الحسن أن يُحضرهما إليه لمّا حَجَّ ، وكان قد شَرَّدهما خَوْفَ جَوْرِهِ .

ثم حبسَ عبدَ الله وعِدَّةً من بني حسن ، ومعهم محمد الديباج بن عبد الله بن عمرو بن عثمان بن عفان ، وهو أخوهم لأمهم فاطمة بنت أبي عبد الله بن الحسين

1- يقترح بوزورث في ترجمته للنزاع والتخاصم قراءة العبارة (لقد كبرت يا عقال وكثر كلامك).
2- أحزن : خشن . والحزونة بمعنى الخشونة وهي عكس السهولة .
3- وردت في المخطوطة [و] (الأمانة) وفي باقي المخطوطات (الإمامة) .
4- وردت في المخطوطة [و] (وإنها) وفي باقي المخطوطات (فإنها) .
5- الخنزوانية : الكِبْر .
6- كلمة (أمور) لم ترد في المخطوطة [و] ووردت في باقي المخطوطات .

ابن عليٍّ بن أبي طالب - رضي الله عنهم أجمعين -، وجعلَ القيود والأغلال في أرجلهم وأعناقهم ، وأَرْكَبَهُمْ محاملَ بغير وطاء ، وسارَ بهم كذلك من المدينة النبوية وطنهم ووطن آبائهم حتى قدموا عليه وهو بالربذة [1] ، فأمرَ بالديباج فَشُقَّتْ عنه ثيابه . وضُرِبَ خمسين ومائة سوط فأصاب سوط منها وجهه ، فقال : «ويحكَ اكففْ عن وجهي ، فإنه له حرمة (برسول) [2] الله ﷺ . فقال المنصور للجَلَّاد : «الرأسَ ، الرأسَ» . فضُرِبَ على رأسه نحواً من ثلاثين سوطاً ، فأصاب إحدى عينيه سوطٌ منها فسالت على خَدِّهِ ، ثم قتله .

ومضى ببني حسن إلى الكوفة فسجنهم بقصر ابن هُبيرة [3] وأحضرَ محمدَ بن إبراهيم بن حسن وأقامه ثم بَنَى عليه أُسطوانةً وهو حَيٌّ * وتركه حتى مات جوعاً وعطشاً . ثم قتلَ أكثرَ من معه من بني حسن . وكان إبراهيم الغمر بن الحسن (بن الحسن)[4] بن عليٍّ بن أبي طالب فيمن حُمل مصفَّداً بالحديد من المدينة إلى الأنبار ، فكان [5] يقول لأخويه عبد الله والحسن : أعوذُ بالله من مَنايا طَيِّهِنَّ مَنايا ، (تمنينا)[6] ذهاب سلطان بني أُميَّة واستبشرنا بسلطان بني العبَّاس ، ولم يكن قد انتهت بنا الحال إلى ما نحن عليه .

1- الربذة : من قرى (المدينة) على بعد ثلاثة أميال إلى الشرق قريبة من (ذات عِرْق) على طريق الحجاز . انظر : ياقوت الحموي جـ 4 ص 222 .

2- وردت في المخطوطة [و] (رسول) وفي باقي المخطوطات (برسول) .

3- قصر ابن هبيرة : ينسب إلى يزيد بن عمر بن هبيرة ، وكان لما ولي العراق من قِبَل مروان بن محمد؛ بَنَى على فرات الكوفة مدينة فنزلها ولم يستتمها حتى كتب مروان بن محمد يأمر بالاجتناب عن بحارة أهل الكوفة ، فتركها وبَنَى قصره المعروف به بالقرب من جسر (سورا) ، وقد أكمل السَّفَّاح هذا البناء وسمَّاه (الهاشمية) ، ولكن الناس ظلوا يطلقون عليه (قصر ابن هبيرة) . انظر: ياقوت جـ 7 ص 111 ، 112 .

4- وردت في المخطوطة [و] (بن الحسين) وفي باقي المخطوطات (بن الحسن) وهو الصحيح.

5- وردت في المخطوطة [و] (فكان) وفي باقي المخطوطات (وكان) .

6- وردت في المخطوطة [و] (ما تمنينا) وفي باقي المخطوطات (تمنينا) .

وقد قتل أبو جعفر أيضاً إسماعيلَ الديباج بن إبراهيم الغمر ، ومحمدَ بن إبراهيم ، قيل : دفنه حيًّا [1] .

وكان لأبي القاسم الرَّسِّيّ بن إبراهيم طباطبا بن إسماعيل الديباج ضيعة بالمدينة يقال لها الرَّسُّ فلم يسمح له أبو جعفر بالمقام بها حتى طلبه ففرَّ إلى السِّنْد وقال :

لم يَرْوِهِ ما أراقَ البَغْيُ من دَمِنَا ... في كل أرضٍ ولم يُقْصِرْ عن الطَّلبِ
وليسَ يَشْفِي غليلاً في حَشَاهُ سِوَى ... أَلَّا يُرَى فوقَها ابنٌ لبنتِ نَبِي

وكتب صاحب السِّنْد إلى أبي جعفر أنه وجد في خان بالمولتان [2] مكتوباً يقول: (أبو) القاسم بن إبراهيم طباطبا العلويّ : انتهيتُ إلى هذا الموضع بعد أن انتعلتُ الدمَ من المشي وقد قلتُ :

عَسَى منهلٌ يَصفو فتروى ظَمْيَةٌ ... أطالَ صَداها المشربُ المُتَكَدِّرُ
عَسَى جابرُ العظمِ الكسيرِ بلطفِهِ ... سَيرتاحُ للعظمِ الكسيرِ فيجبرُ
عَسَى صوراً أَمْسَى لها الجَوْرُ حاقناً ... سَيبعثُها عدلٌ يَجِيءُ فتظهرُ
عَسَى اللهُ لا تيأسْ منَ اللهِ إنَّهُ ... بِيُسْرٍ مِنْهُ ما يعزُّ ويعسرُ

فكتب إليه : قد فهمتُ كتابك ، وأنا وعليٌّ وأهله كما قيل :

تُحاوِلُ إذلالَ العَزيزِ لأنَّهُ ... بَدَانا بظلمٍ واستمرَّتْ مَرَايرُه

واستحلفَ ريطةَ [3] امرأة ابنه محمد بن المهديّ ألَّا تفتح بيتاً عرضه عليها إلا مع المهديّ بعد وفاته . ففتحته مع المهديّ فإذا فيه مَنْ قتلَ من الطالبيين وفي آذانهم رقاعٌ فيها أنسابهم ، وفيهم أطفال ، فأمرَ المهديُّ فحُفرتْ لهم حفرة ودُفنوا فيها .

1- انظر : الأصفهاني (مقاتل الطالبيين) ص 178 وما بعدها ، وابن عبد ربه جـ5 ص 74 ، 90 .
2- المولتان [أو المُلتان] : بلد من بلاد الهند بها معبد لصنم أُطلق اسمه على المدينة ، حسبما يذكر ياقوت الحموي جـ 8 ص 201 ، 202 .
3- ريطة ابنة السَّفَّاح .

فأين هذا الجور والفساد من عدل الشريعة * المحمدية وسيرة أئمة الهدى؟ وأين هذه القسوة الشنيعة مع القرابة القريبة من رحمة النبوَّة ؟ وتاللهِ ما هذا من الدين في شيء بل هو من باب قول الله سبحانه : ﴿ فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِن تَوَلَّيْتُمْ أَن تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ ﴿٢٢﴾ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعْمَىٰ أَبْصَارَهُمْ ﴿٢٣﴾ ﴾ [1].

وكان أبو الجهم بن عطية مولى باهلة من أعظم الدعاة قدراً وأعظمهم غَنَاءً ، وهو الذي أخرج أبا العبَّاس السَّفَّاح من موضعه الذي أخفاه فيه أبو سلمة حفص ابن سليمان الخَلَّال وحرسه وقام بأمره حتى بويعَ بالخلافة ، فكان أبو العبَّاس يعرف له ذلك ، وكان أبو مسلم يثق به ويكاتبه ، فلما استُخلف أبو جعفر المنصور ، وجار في أحكامه ، قال أبو الجهم : ما على هذا (بايعناهم) [2] إنما بايعناهم على العدل . فأسرَّها أبو جعفر في نفسه ودعاه ذاتَ يوم ، فتغدَّى عنده ثم سقاه شربةً من سويق (لوز) ، فلما وقعتْ في جوفه هاجَ به وجعٌ ؛ فتوهَّمَ أنه قد سُمَّ ، فوثبَ ، فقال له المنصور : إلى أين يا أبا الجهم ؟ فقال : إلى حيث أَرسلتَني . ومات بعد يومين[3] . فقيل :

فَحاذِرْ سَوِيقَ اللَّوزِ لا تَشْرَبَنَّهُ فَشُرْبُ سَوِيقِ اللَّوزِ أَرْدَى أَبا الجهمِ

وأما غدره بأبي مسلم فغير خافٍ على رواة الأخبار ، وكان أشد ما يحقده عليه كتابه إليه : «أما بعد ، فإني اتخذتُ أخاك إماماً ، وكان في قرابته برسول الله ﷺ ومحلِّه من العلم على ما كان ، ثم استخفَّ بالقرآن وحَرَّفَهُ ، طمعاً في قليل من الدنيا قد نعاه الله لأهله ومثلتْ له ضلالته على صورة العدل ، فأمرني أن أُجرِّدَ

1- سورة محمد ، مدنية (47) ، الآيتان 22 ، 23 .

2- وردت في المخطوطة [و] (بايعناه) وفي باقي المخطوطات (بايعناهم) .

3- وردت في المخطوطة [و] (بعد يومين) وفي باقي المخطوطات (بعد يوم أو يومين) . هذا وقد ورد الخبر عند الجهشياريّ على أنه سقاه سويق الموز . الجهشياريّ (كتاب الوزراء والكتَّاب) ص 136 ، 137 .

السيفَ وآخذ بالظنَّة ولا أقبل معذرة ، وأن أُسقمَ البريء ، وأُبرِئَ السقيم ، وأثرَ أهل الدين في دينهم ، وأوطأني في غيرهم من أهل بيتكم العشوة [1] بالإفك والعدوان . ثم إن الله بحمده ونعمته استنقذني بالتوبة وكرَّه إليَّ الحَوْبَة [2] ، فإن يعفو فقديماً يُعْرَفُ ذلك منه ، وإنْ يُعاقِبْ فبذنوبي ، وما اللهُ بظلاَّم للعبيد . فكتبَ إليه أبو جعفر : «فهمتُ [3] * كتابك وللمُدِلِّ على أهل بيته بطاعته ونصرته ومحاماته، (وجميل بلائه) [4] مقال ، ولم يُرِكَ الله في طاعتنا إلا ما تحب ، فراجعْ حُسْنَ نيتك وعملك ولا يدعونَّك ما أنكرته إلى التجنِّي ، فإن (المغيظَ) [5] ربما تعدَّى في القول (فأخبرَ)[6] بما لا يعلم ، واللهُ وليُّ توفيقك وتسديدك ، فاقدمْ - رحمكَ الله - مبسوطَ اليدِ في أمرنا محكَّماً فيما هويتَ (الحكم فيه) [7] ولا تُشمِّتِ الأعداءَ بك وبنا إن شاء الله تعالى» [8] . وقدمَ[9] عليه ؛ وقتله [10] .

فانظرْ - أعزَّك الله - إلى كتاب أبي مسلم يُفْصِحْ لك عن سيرة القوم ، ولن تجد أَخْبرَ بهم منه ، ثم انظرْ كتاب أبي جعفر جواباً له كيف لم ينكر عليه ما رماهم به ولا كذَّبه في دعواه ذلك يحقق عندك صدقه ، ولا يُوحشنَّكَ هذا من أخبارهم ، بل ضُمَّهُ إلى وصية إبراهيم الإمام ، تجدهما خرجا [11] من آلٍ واحدٍ [12] .

1- العشوة : ركوب الأمر على غير بيان .
2- الحوبة : الإثم .
3- في المخطوطة [و] (فهمت) وفي باقي المخطوطات (قد فهمت) .
4- لم ترد (وجميل بلائه) في المخطوطة [و] ووردت في باقي المخطوطات .
5- وردت في المخطوطة [و] (الغيظ) وفي باقي المخطوطات (المغيظ) .
6- وردت في المخطوطة [و] (فأخبره) وفي باقي المخطوطات (فأخبر) .
7- لم ترد (الحكم فيه) في المخطوطة [و] ووردت في باقي المخطوطات .
8- كلمة (تعالى) وردت في المخطوطة [و] فقط .
9- وردت في المخطوطة [و] (وقدم) وفي باقي المخطوطات (فقدم) .
10- انظر : الطبري (تاريخ) جـ7 ص 479 وما بعدها .
11- وردت في المخطوطة [و] (وخرجا) وفي باقي المخطوطات (قد خرجا) .
12- آلٌ : حِلْفٌ أو عهدٌ أو قرابةٌ أو نسبٌ .

وكان عبد الله بن (داذويه) [1] - وهو ابن المُقفَّع - قد كتب لعبد الله بن عليٍّ أماناً حين أجاب أبو جعفر إلى أمانه فكان فيه : «فإن عبد الله [2] عبد الله أمير المؤمنين (إنْ)[3] لم يفِ بما جعل لعبد الله بن عليٍّ ، فقد خلعَ نفسه ، والناس في حِلٍّ وسعةٍ من نقضِ بيعته» . فأنكر أبو جعفر ذلك وأكبره واشتدَّ غيظه [4] على ابن المُقفَّع ، وكتب إلى سفيان بن معاوية عامله على البصرة : «اكْفِني ابنَ المُقفَّع» . ويقال إنه شافهه بذلك عند توديعه إياه . فجاءه ابنُ المُقفَّع يوماً فأدخله حجرة ثم سَجَرَ له تَنُّوراً [5] وألقاه فيه - وهو يصيح : «يا أعوانَ الظَّلَمة» - .

وقيل إنه أُلقي في بئر وأُطبق عليه حَجَرٌ . وقيل : أُدخل حَمَّاماً فلم يزل فيه حتى مات . وقيل : دُقَّ عنقُه ، وقُطِّعَ عضواً عضواً وأُلقيت أعضاؤه في النار وهو يراها [6] ويصيح صياحاً شديداً . وقيل : أُلقي في بئر النُّورة في الحمَّام وأُطبق عليه صخرةٌ فمات .

وشكا بنو عليٍّ بن عبد الله ما صنع سفيان بابن المُقفَّع إلى أبي جعفر المنصور ، فأمر بحمل سفيان إليه ، فلما جِيء به وجاء عيسى بن عليٍّ وغيره (ليشهدوا) [7] عليه أن ابن المُقفَّع دخل داره (فلم يخرج) [8] وحُرقت دوابه ،

1- وردت في جميع المخطوطات (بن دادبة) وهو خطأ ، والصحيح ما أوردناه . انظر : ترجمة ابن المقفع: ابن خلكان (وفيات الأعيان) جـ2 ص 151 - 155 ، وابن النديم (الفهرست) ص 118 .

2- في المخطوطة [ت] وردت (عبد الله أمير المؤمنين) وفي المخطوطة [ب] وردت (عبد الله عبدالله أمير المؤمنين) وفي المخطوطة [ك] (عبد الله بن عبد الله أمير المؤمنين) مع إشارة في الهامش إلى أن (بن) لم ترد في الأصل ، أما في المخطوطة [و] فوردت فيها (عبد الله بن عبد الله أمير المؤمنين) .

3- كلمة (إن) لم ترد في المخطوطة [و] ووردت في باقي المخطوطات .

4- وردت في المخطوطة [ب] (واشتد له غيظه) .

5- سجرَ التنور : ملأه وقوداً وأحماه .

6- ورد في المخطوطة [و] (يراها) وفي باقي المخطوطات (يراه) .

7- ورد في المخطوطة [و] (ليشهدون) ، وفي باقي المخطوطات (ليشهدوا) وهو الصحيح.

8- لم ترد (فلم يخرج) في المخطوطة [و] ووردت في باقي المخطوطات .

وغلمانه يصرخون وينعونه وجاء عيسى بتاجرين (يثبتان) [1] * الشهادة على قتله . فقال لهم المنصور : أرأيتكم إنْ أخرجتُ ابنَ المُقفَّع إليكم ماذا تقولون؟ فانكسروا على الشهادة ، وكفَّ عيسى عن الطلب بدم ابن المُقفَّع .

وكان سديفُ بن ميمون - مولى (آل أبي لهب) [2] - مائلاً إلى أبي جعفر ، فلمَّا استُخلف وَصَلَهُ بألف دينار . ثم إنه اتصل بمحمد وإبراهيم ابني عبد الله بن حسن حتى قُتِلاَ ، فاختفى حتى أَمَّنَهُ عبدالصمد بن علي والي المدينة ، فلما قدمها أبو جعفر جَدَّ في طلبه حتى ظفَرَ به ، فجعله في جُوالِق ، وضُرِبَ حتى كُسِّرَ ، ثم رُمِيَ به في بئر - وبه رمق - حتى مات .

فهذا وأمثاله من سيرته خلاف سُنَن الهدى .

وكان الفضلُ بن الربيع يمنع عائد الخليفة أن يسأل عن شيء يقتضي جواباً ويقول: اجعلوا عيادتكم دعاء ، فإذا أردتَ أن تقول : كيف أصبح الأمير ؟ فقل : صَبَّحَ الله الأمير بالكرامة . وإن أردت السؤال عن حاله فقل : أنزل الله على الأمير الشفاء والرحمة . فإن المسألة تُوجب الجواب ، وإن لم يُجبكَ اشتدَّ عليك ، وإن أجابكَ اشتدَّ عليه . وكان الخلفاء إذا عطسوا شُمِّتوا ، فعطسَ هارون الرشيد فَشَمَّتَهُ رجلٌ ؛ فقال له الفضلُ : «لا تَعُدْ ، أَتُكَلِّفُ أميرَ المؤمنين ردًّا وجواباً ؟» . فجروا على ذلك فيما بعد .

وهذا المأمون عبد الله بن هارون الرشيد قد أثر في الإسلام أقبحَ أثر ، وهو

1- وردت في جميع المخطوطات (يثبتون) والصحيح ما أثبتناه .

2- في المخطوطة [ب] (مولى آل أبي لهب) مع إشارة في هامش المخطوطة [ك] أن بهامش الأصل (آل المهلب) وفي المخطوطة [و] (مولى آل المهلب) . والصحيح ما أثبتنا في النص . فسديف ابن ميمون في الأصل مولى لخزاعة وكان سبب ادعائه ولاء بني هاشم أنه تزوج مولاة لآل أبي لهب فادَّعى ولاءهم ودخل في جملة مواليهم على الأيام . وقيل : بل أبوه هو الذي كان متزوجاً مولاة من آل أبي لهب . وسديف شاعر من مخضرمي الدولتين ، وهو شاعر مقلٌ من شعراء الحجاز كان شديد التعصب لبني هاشم . (الأغاني) جـ14 ص 162 طبعة بولاق .

أنه عَرَّبَ كتبَ الفلسفة ، حتى كادَ بها أهلُ الزيغ والإلحاد الإسلامَ وأهلَهُ ، وحَمَلَ مع ذلك الناس كَافَّةً على القول بِخَلْق القرآن ، وامتحنهم فيه أشدَّ محنة . وأكثرَ من شراء الأتراك ، وتَغَالَى في أثمانهم حتى كان يشتري المملوك منهم بمائتي ألف درهم .

واقتدى به أخوه أبو إسحاق المعتصم ، فاشتدَّ على الناس في امتحانهم بالقول بخَلْق القرآن ، وانتهكَ أعراضهم ، وبَرَّحَ بالضربِ الشديدِ أبشارَهم ، وأخرجَ العربَ قومَ رسول الله ﷺ الذين أقامَ الله بهم دينَ الإسلام من الديوان وأَسقطَ عطاءهم ، فسقطَ ، ولم يُفْرَضْ لهم بعهده عطاء ، وأَقامَ بَدَلَهمُ الأتراك ، * وخلع لباسَ العربِ وزِيَّهم ، ولبسَ التاجَ ، وتزيَّا بزِيِّ العَجَم الذين بعثَ الله نبيه محمداً ﷺ بقتلهم وقتالهم ، فزالتْ به وعلى يديه الدولةُ العربية ، وتحكَّم منذ عهده وأيام دولته الأتراكُ الذين أنذرَ رسولُ الله ﷺ بقتالهم ، فَغَلَبوا من بعده على الممالك وسلَّطهم الله على ابنه جعفر المتوكِّل فقتلوه ، ثم قتلوا ابن ابنهِ أحمد المستعين ، وتلاعبوا بدين الله وتغلَّبوا على الأطراف كلها .

وفعلَ المتوكِّلُ جعفر بن المعتصم في خلافته من الانهماك في الترف المنهيِّ (عنه) [1] ما يقبح مثله من آحاد الرعية ، وجهرَ بالسوء من القول في أمير المؤمنين عليِّ بن أبي طالب - رضي الله عنه - ، حتى قتله الله بيد أعوانه (وأنصار دولته ، فقام من بعده ابنُهُ محمد المنتصر فأتى بطاقة [2] لم يُسْمَعْ في الجَوْر نظيرُها) [3] وهو أنه كتب إلى (الآفاق) [4] بأن لا يُقال علويٌّ من ضيعة ، ولا يركبَ فرساً إلى طرف من الأطراف ، وأن يُمنعوا من اتخاذ العبيد إلا العبدَ الواحد ، ومن كان بينه وبين

1- كلمة (عنه) لم ترد في المخطوطة [و] ووردت في باقي المخطوطات .
2- وردت في المخطوطة [ت] (بطامة) وفي المخطوطتين [ك ، ب] (بطاقة) .
3- العبارة الواردة بين القوسين لم ترد في المخطوطة [و] ووردت في باقي المخطوطات .
4- مكان كلمة (الآفاق) بياض في المخطوطة [و] ووردت الكلمة في باقي المخطوطات .

أحد من الطالبيين خصومة من سائر الناس قُبِلَ قولُ خصمه فيه ، ولم يُطالَبْ [1] ببيِّنةٍ . وقُرئ هذا الكتاب على منبر مصر [2] .

فباللهِ هل سُمع في أخبار الجبَّارين [3] أهل العناء والشقاق بمثل ما أمر به هذا الجائر ؟ (لا جَرَمَ أن الله أخذه ولم يمهله فكانت دولته ستة أشهر)[4] . وما زالت أمور الإسلام تتلاشى والدولة تضعف ، إلى أن انتقل المُلك والدولة في آخر أيام المتقي إبراهيم بن جعفر المقتدر ، وأول أيام خلافة المستكفي عبد الله بن المكتفي من بني العبَّاس إلى بني بويه الديلميّ [5] ، فلم يبقَ بيد بني العبَّاس من الخلافة إلا اسمها فقط من غير تصرُّف في مُلك ، بحيث صار الخليفة منهم - في مدة الدولة البويهية ثم في مدة الدولة السلجوقية - إنما هو كأنه رئيس الإسلام ، لا أنه ملك

1- وردت في المخطوطة [ب] (يطلب) وفي المخطوطة [ك] إشارة إلى أن الأصل الذي نقلت عنه وردت به (يطلب) ، وقد صحَّحها الناسخ .

2- لو رفعنا العبارات الزائدة عن المخطوطة لأصبح الكلام منصبًا على المتوكل ، والمتوكل كان قد منع الحج إلى مزارات أهل البيت وهدَّد بإزالة قبر الحسين ، في حين كانت سياسة المنتصر عكس سياسة أبيه ، فألغى كل التحريمات ضد العلويين ، وأعاد لهم (فدك) وبعض الأوقاف المصادرة الأخرى ، ولذلك مدحه بعض الشعراء المعاصرين له مثل البحتريّ الذي قال فيه:

وإن عليًا لأولَـى بكـم ... وأزكى يدًا عندكم من عمر
وكـل له فضلُه والحجو ... لُ يومَ التراهن دون الغـرَر

كما مدحه من شعراء الشيعة يزيد بن محمد المهلب الشيعيّ فقال :

ولقد بَرَزْتَ الطالبيةَ بعدما ... دُمـوا زمانـاً بعدهـا وزمانـا
ورددتَ ألفةَ هاشم فرأيتَهم ... بعـد العداوة بينهـم إخوانـا
آنَسْتَ لَيلَهمُ وجُذْتَ عليهـمُ ... حتى نسوا الأحقادَ والأضغانا

وإذا كان الطبري لم يذكر أعمال المنتصر في رد حقوق العلويين إلا أنه ذكر واقعة تعيينه أحد العلويين عاملاً له على المدينة ، وهو عليُّ بن الحسين بن إسماعيل وكلَّفه بالعناية بأمور العلويين . هذا وقد تشكك بوزورث في تعليقاته في صحة المعلومات الواردة في المتن . انظر: الطبري جـ9 ص 185 - 254 ، والمسعودي جـ2 ص 426 ، 427 .

3- وردت في المخطوطة [و] (الجبارين) وفي المخطوطة [ب] (الجائرين) .

4- العبارة بين القوسين لم ترد في المخطوطة [و] ووردت في باقي المخطوطات .

5- وردت في المخطوطتين [ت ، ب] (الديلم) وفي المخطوطتين [و ، ك] (الديلميّ) مع إشارة في هامش المخطوطة [ك] إلى أنها وردت في الأصل (الديلم) .

ولا حاكم ، تتحكم فيه الديلم ثم السلجوقية كتحكُّم المالك في مملوكه ، كما هو معروف في كتب التاريخ [1] .

وما زالت ضعفة [2] بني العبَّاس مع الديلم ، ومع الأتراك ، منذ استولى مُعِزُّ الدولة أحمد بن بُوَيْهَ ببغداد في جمادى الأولى سنة أربع وثلاثين وثلاثمائة على الحكم * إلى أن قُتلوا عن آخرهم ، وسُبِيَ حَريمُهم ، وهُدمت قصورهم ، وهلكت رعاياهم على يد عدوِّ الله هولاكو . وكانوا هم السبب في ذلك ؛ على ما ذكرته [3] في سيرة الناصر أحمد بن المستضيء .

وقد ثبت في الصحيح من حديث معاوية أنه سمع رسول الله ﷺ يقول : «إن هذا الأمرَ في قريشٍ لا يُعاديهم أحدٌ إلا أَكبَّهُ اللهُ على وجههِ ما أَقاموا الدِّينَ» [4].

وروى وكيع عن كامل أبي العلاء [5] عن حبيب بن أبي ثابت عن عبيد الله ابن عبد الله بن عتبة قال : قام رسول الله ﷺ فقال : «يا معشرَ قريش ، إن هذا الأمر لا يزال فيكم حتى تُحْدِثوا أعمالاً تُخرجكم منه ، فإذا فعلتُم ذلك سَلَّطَ الله عليكم شَرَّ خلقهِ فَالْتَحُوكُمْ [6] كما يُلْتَحَى القضيبُ [7]» . وهو حديثٌ مُرْسَلٌ [8] . وعُبيد الله هذا هو [عُبيد الله بن] عبد الله بن عتبة بن مسعود ، أبو عبد الله ، الهذليّ المدنيّ الأعمى - أحد الفقهاء السبعة - ، مات سنة تسعٍ وتسعين .

* * * *

1- يردد المقريزيّ هنا حكماً أصدره البيروني في كتاب (الآثار الباقية) ص 132 .
2- كلمة (ضعفة) وردت بجميع المخطوطات ما عدا المخطوطة [و] فقد أضيفت بهامشها .
3- وردت في المخطوطة [و] (وذلك على ما ذكرته) وفي باقي المخطوطات (كما قد ذكر) .
4- انظر : (صحيح البخاري) جـ2 ص 164 ، جـ4 ص 143 .
5- صحَّح بوزورث الاسم إلى كامل بن العلاء التميميّ نقلاً عن ابن سعد ، والاسم كما ذكره بوزورث موجود في ابن سعد (طبقات) جـ6 ص 379 . وبمراجعة ابن حجر جـ 8 ص 409 ، 410 وجدناه يذكر أن اسمه كامل بن العلاء التميميّ السعديّ ، أبو العلاء .
6- التحوكم كما يُلتحى القضيب ، أي : قشروكم .
7- انظر : أحمد بن حنبل في (المسند) جـ6 ص 176 (حديث رقم 498) .
8- حديث مرسل ، أي : حديث مرويّ عن أحد التابعين دون أحد الصحابة .

فصل (•)

الخلافة الإسلاميَّة والمِلَّة الموسويَّة (••)

(•) كلمة (فصل) لم ترد إلا في المخطوطة [و] فقط .

(••) العنوان من عندنا .

لقد اتفق في الخلافة الإسلامية كما اتفق في المِلَّة المُوسَوِيَّة حَذْوَ القُذَّةِ بالقُذَّة.

وذلك أن العرب كلها ترجع إلى قحطان وعدنان ، فيقال لسائر اليمن «قحطان»، ويقال لسائر بني عدنان المُضَرِيَّة والنزارية وهي «قيس» . والعرب كلها على ست طبقات : شعوب وقبائل وعمائر وبطون وأفخاذ وفصائل ، وما بينها من الآباء يعرفها أهلها . قال الله تعالى [1] : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓا ﴾ [2] .

فالشعوب جمع شَعْب بفتح الشين ، وهو أكبر من القبيلة ، وقيل : الشَّعْب هو الحيُّ العظيم مثل : رَبِيعَة ، ومُضَر ، والأَوْس ، والخَزْرَج . سُمُّوا بذلك لتشعُّبهم واجتماعهم كتشعُّب أغصان الشجر . وقيل : الشعب القبيلة نفسها . وقد غلبت «الشعوب» بلفظ الجمع على جيل العَجَم حتى قِيلَ لمُحتقِر أمر العرب : «شُعُوبيّ».

والقبائل جمع قبيلة ، والقبيلة من الناس بنو أبٍ واحدٍ ، وهي دون الشَّعْب، كبكر من ربيعة ، وتميم من مُضَر * وقيل : القبيلة الجماعة التي تكون من واحد ، ويقال لكل جمع على شيء واحد : قَبِيل . قال تعالى : ﴿ إِنَّهُۥ يَرَىٰكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُۥ مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ ﴾ [3] واشتُقَّتِ القبيلة من قبائل الشجر وهي أغصانها ، وقيل : أُخذت من قبائل الرأس وهي أطباقه الأربعة .

وقيل : إن العمائر تقابلت عليها ، والعمائر واحدها عمارة وهي أصغر من القبيلة . وقيل : العمارة هي الحيّ العظيم الذي يقوم بنفسه . فدوادان [4] بن أسد عمارة .

1- في المخطوطة [و] (تعالى) وفي باقي المخطوطات (جلّت قدرته) .
2- سورة الحجرات ، مدنية (49) ، الآية 13 .
3- سورة الأعراف ، مكية (7) ، الآية 27 .
4- دوادان بن أسد بن خزيمة . انظر : (جمهرة أنساب العرب) ص 190 - 192 .

والشَّعْب يجمع القبائل ، والقبيلة تجمع العمائر ، والعمارة تجمع البطون ، والبطون واحدها بطن ، وهو دون القبيلة ، وقيل : دون الفخذ وفوق العمارة ، فالبطن يجمع بين الأفخاذ ، وفخذ الرجل حَيُّهُ من أقرب عشيرته إليه ، ثم الفخذ يجمع الفصائل ، وفصيلة الرجل عشيرته ورَهْطُهُ الأَدْنَوْنَ . وقيل : الفصيلة أقرب آباء الرجل إليه ، فكِنَانَة قبيلة ، وقُرَيش عمارة ، وقُصَيّ بطن ، وهَاشِم فخذ ، وبنو العبَّاس فصيلة .

***

بنو إسرائيل (•)

وكما أن الله تعالى [1] جعل العربَ شعوباً وقبائلَ (فقد) [2] جعل بني إسرائيل أسباطاً ، فالسِّبْط من بني إسرائيل كالقبيلة من العرب . وبنو إسرائيل ، وهو يعقوب ابن إسحاق بن إبراهيم الخليل - صلوات الله وسلامه عليهم - (اثنا) [3] عشر سِبْطاً وهم : يوسف النبيّ ، وبنيامين ، وكاد ، ويهوذا ، ونفتالي ، وزيولون ، وشمعون ، وروبين ، ويساخار ، ولاوي ، وزان ، وياشير ، فكل ولد من هؤلاء الاثني عشر يقال له : «سِبْط» ، ومنهم كلهم سائر بني إسرائيل .

فإذا عرفت ذلك فاعلمْ أن موسى - عليه السلام - هو موسى بن عمران بن هافت بن لاوي بن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم - عليه السلام - ؛ فهو من سِبْط لاوي ، فلما مات لم يخلفه في بني إسرائيل أحدٌ من سِبْط لاوي الذين هم قرابته القريبة ، وإنما خلفه يُوشَع ، وهو من سِبْط أفرائم بن يوسف وهو بعيد

(•) العنوان موجود في المخطوطة [و] فقط ، وورد هكذا (بني إسرائيل). والصحيح (بنو إسرائيل).
1- كلمة (تعالى) وردت في المخطوطة [و] ولم ترد في باقي المخطوطات .
2- كلمة (فقد) لم ترد في المخطوطة [و] ووردت في باقي المخطوطات .
3- وردت في المخطوطة [و] (اثني) وفي باقي المخطوطات (اثنا) وهو الصحيح .

عن سِبْط لاوي ، وذلك أن يوشع * بن نون - عليه السلام - بن اليشماع بن عميهود بن لعدان بن تالح بن راسف بن بريعا بن أفرائم بن يوسف النبيّ بن يعقوب - عليهما السلام - .

***

نسب النبيّ ﷺ (•)

وهكذا وقع في الإسلام ، فإن رسول الله ﷺ - سيِّد بني هاشم - هو محمد بن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مَناف بن قُصَيّ بن كلاب بن مُرَّة بن كعب ابن لؤيّ بن غالب بن فِهْر بن مالك بن النضر بن كِنانة بن خُزيمة بن مدركة بن إلياس ابن مُضَر بن نِزار بن مَعْدِ بن عدنان ، بلا خلاف في ذلك .

ولما توفي رسول الله ﷺ لم يخلفه في أمته أحدٌ من بني هاشم الذين هم أقرب العرب إليه ، بل خلفه ﷺ أبو بكر الصديق - رضي الله عنه - ، وهو من بني تَيْم بن مُرَّة ، فانظرْ كيف كان أبو بكر خليفة رسول الله ﷺ في البعد عن جِذْم رسول الله ﷺ كبعد يوشع عن أصل موسى - عليه السلام -. فإن أبا بكر - رضي الله عنه - إنما يلتقي مع رسول الله ﷺ في مُرَّة بن كعب بن لؤيّ بعد عدة آباء ، وكذلك يوشع إنما يلتقي مع موسى في يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم - عليهم السلام - بعد عدة آباء .

وكما أنه قام بأمر بني إسرائيل بعد يوشع خليفة موسى جماعةٌ مختلفو الأنساب بعضهم من سِبْط يهوذا ، وبعضهم من سِبْط يشاخار ، وبعضهم من سِبْط بنيامين ، وبعضهم من سِبْط منشَّا بن يوسف ، وبعضهم من سِبْط عاث [1] ، وبعضهم من سِبْط زان .

(•) العنوان موجود في المخطوطة [و] فقط .

1- وردت بهامش المخطوطة [ك] إشارة إلى أنه بهامش الأصل (كاد) .

فقد قام كذلك بالخلافة بعد أبي بكر - رضي الله عنه - جماعةٌ مختلفة أنسابهم بعضهم من بني عَدِيّ ، وهو عمر بن الخطاب بن نُفيل بن عبد العُزَّى بن (رياح) [1] بن عبد الله بن قرظ بن رزاح بن عَدِيّ بن كعب .

وبعضهم من بني (أبي) [2] العاص بن أُميَّة بن عبد شمس بن (عبد) [3] مناف ابن قُصَيّ * وهو عثمان بن عفان بن أبي العاص .

وبعضهم من بني هاشم ، وهما عليّ بن أبي طالب بن عبد المطلب بن هاشم ابن عبد مناف بن قُصَيّ ، وابنه الحسن بن عليّ بن أبي طالب - رضي الله عنهما -.

وبعضهم من بني حرب بن أُميَّة بن عبد شمس ، وهم معاوية بن أبي سفيان صَخْر بن حَرْب بن أُميَّة ، وابنه يزيدُ بن معاوية ، وابنه معاوية بن يزيد بن معاوية ابن أبي سفيان .

وبعضهم من بني أسد بن عبد العُزَّى (بن قُصَيّ) [4] بن كلاب ، وهو عبد الله ابن الزبير بن العَوَّام بن أسد بن عبد العُزَّى .

وبعضهم من بني الحكم بن أبي العاص بن أُميَّة بن عبد شمس وهم مروان ابن الحكم ، وابنه عبد الملك بن مروان وبنوه .

وكما أن بني إسرائيل استقرَّ أمرُهم بعد مَنْ ذكرنا في يهوذا ، كذلك استقرَّت الخلافة بعد مَنْ ذكرنا في بني العبَّاس . وكما أن يهوذا عَمُّ موسى - عليه السلام - . كذلك العبَّاس بن عبد المطلب بن هاشم هو عَمُّ رسول الله ﷺ . وكما أن يهوذا

1- وردت في المخطوطة [و] (رياح) وفي باقي المخطوطات (رياح) مع إشارة في هامش المخطوطة [ك] إلى أنه ورد بهامش الأصل (رباح بالباء الموحدة). والصحيح : (رياح) . انظر : الزبيري ص 347 .

2- لم ترد كلمة (أبي) في المخطوطة [و] ووردت بباقي المخطوطات ، وفي هامش المخطوطة [ك] إشارة إلى أن هامش الأصل وردت به (من بني العاص) . والصحيح (بني أبي العاص) . انظر: الزبيري ص 100 .

3- لم ترد كلمة (عبد) في المخطوطة [و] ووردت في باقي المخطوطات .

4- لم ترد (بن قصيّ) في المخطوطة [و] ووردت في باقي المخطوطات .

قدَّمه يعقوب على إخوته وبشَّره ومدحه ، كذلك العبَّاس - رضي الله عنه - كان رسولُ الله ﷺ يُجِلُّه ويُكرمه ويُثني عليه .

وكما أن أمر بني إسرائيل افترقَ في دولة بني يهوذا ، وصاروا بعد موت سليمان بن داود - عليهما السلام - فرقتين : فرقة بالقدس مع ابنه رُحْبَعَمْ بن سليمان وهم يهوذا وسِبْط بنيامين ، وفرقة بشمرون مع يربعام بن نباط وهم بقية الأسباط . كذلك لما صارت الخلافة في بني العبَّاس افترقَ أمر الأمة فصار في الأنبار ثم في بغداد بنو العبَّاس ، وفي الأندلس عبدالرحمن بن معاوية بن هشام بن عبد الملك بن مروان بن الحكم وبنوه من بعده . فلم تدخل الأندلس تحت طاعة بني العبَّاس ، كما لم تدخل بشمرون تحت حكم سِبْط يهوذا .

وكما أن مدينة «القدس» التي هي دار مُلك بني يهوذا كانت تُدْعَى «أورشليم» ومعناها : «دار السلام» . كذلك «بغداد» [1] دار ملك بني العبَّاس كان يقال لها : «دار السلام» .

وكما أن دولة يربعام ومن بعده بشمرون ، التي عُرفت اليوم بنابلس ، انقرضت قبل دولة بني يهوذا بالقدس ، فإنها لم تستمر غير مائتي وإحدى وستين سنة . فكذلك دولة بني أُميَّة بالأندلس فإنها انقرضت قبل انقراض دولة بني العبَّاس ، فكانت مدتها مائتي وسبعًا وستين سنة .

وكما أن دولة بني يهوذا بالقدس قامت من عهد داود عليه السلام - وهو أول مَنْ مَلَكَ منهم - إلى أن انقرضت نحواً من خمسمائة سنة ، فإنها استمرت أربعمائة وعشر سنين . كذلك بنو العبَّاس قامت خلافتهم واستمرت منذ أبي العبَّاس عبد الله السَّفَّاح - أول قائم منهم - إلى أن انقرضت أيامهم بعد خمسمائة وأربع وعشرين سنة.

وكما أن دولة يهوذا انقرضت على يد «بُخْت نَصَّر» ، فإنه سار إليهم من بلاد المشرق وقَاتَلَهم وهَدَمَ مدينة القدس دار مُلْكهم ، وقتلَ رجالهم ، وسَبَى نساءهم .

1- كلمة (بغداد) وردت في المخطوطة [و] ولم ترد في باقي المخطوطات .

فكذلك زالت دولة بني العبَّاس على يد هولاكو لما قدمَ إلى بغداد من بلاد المشرق فقتلَ الرجال وسَبَى النساء .

وكما أن (أمر) [1] بني إسرائيل لم يجتمع بعد زوال دولتهم لواحدٍ يقوم بدينهم . كذلك أمة محمد ﷺ لم تجتمع بعد انقراض خلافة بني العبَّاس لواحدٍ ، بل صار في كل قُطْرٍ مَلِك .

وكما عاد لبني إسرائيل - بعد إزالة بُخت نصَّر دولتهم - مُلْكٌ كانوا فيه تحت يد اليونان وغيرهم ، مدة عمارة بيت المقدس بعد عَوْدِهم من الجالية . كذلك أقام الأتراكُ ملوكُ مصر رجلاً من بني العبَّاس جعلوه خليفةً - وليس له أمر ولا نهي ولا نفوذ كلمة - .

وكما أن بني إسرائيل قوم موسى - عليه السلام - قَطَّعهم الله في الأرض أُمماً . كذلك قريش قوم رسول الله ﷺ تفرَّقوا في أقطار الأرض ، وصاروا رعيَّة ورعايا - ليس لهم مُلك ولا دولة - .

وكما أن أنساب بني إسرائيل جُهلت بِأَسْرِها إلا بعض بني يهوذا ، فإن نسبهم يتصل بداود - عليه السلام - . كذلك قريش جُهلت (في) [2] هذه الأيام * أنسابُ بطونها إلا ما كان من بني حسن وحسين ، فإن أنساب كثير منهم متصلة إلى عليٍّ ابن أبي طالب - رضي الله عنه - .

فانظرْ - أعزَّكَ الله - : كيف تشابه أمر هذه الأمة المُحَمَّدِيَّة بأمر الأمة المُوسَوِيَّة . وقد أَنْذَرَ بذلك رسولُ الله ﷺ ، وكان هذا من أعلام نُبوَّته ﷺ كما بيَّنته في كتاب (إمتاع الأسماع بما للرسول من الأبناء والأموال والحَفَدة والمَتاع) ﷺ .

****

1- كلمة (أمر) لم ترد في المخطوطة [و] ووردت في باقي المخطوطات .
2- كلمة (في) لم ترد في المخطوطة [و] ووردت في باقي المخطوطات .

فصل (•)

خاتمة (••)

(•) كلمة (فصل) لم ترد إلا في المخطوطة [و] فقط .

(••) العنوان من عندنا .

ثبتَ في غير موضع من الصحيحين وغيرهما من حديث زيد بن أسلم ، عن عطاء بن يسار ، عن أبي سعيد الخُدْرِيّ (رضي الله عنه)[1] قال : قال رسول الله ﷺ: «لَتَتَّبِعُنَّ سُنَنَ الذين مِنْ قبلكم شِبْراً بِشِبْرٍ وذراعاً بذراعٍ ، حتى لو دخلوا جُحْرَ ضَبٍّ لَاتَّبعتُموهم . فقلنا : يا رسولَ اللهِ ، اليهودُ والنصارى ؟ قال : فَمَنْ؟». هذا لفظ مسلم.

ولفظ البخاريّ : «لَتَتَّبِعُنَّ سُنَنَ مَنْ قبلكم شبراً بشبرٍ وذراعاً بذراعٍ حتى لو دخلوا جُحْرَ ضَبٍّ تَبِعْتُموهم» ... الحديث بمثله . وفي لفظ للبخاريّ : «لتتبعنَّ سُننَ مَنْ قبلكم شبراً بشبرٍ وذراعاً بذراعٍ ، حتى لو سلكوا جُحْرَ ضَبٍّ لَسلكتُموه . قلنا : يا رسولَ اللهِ ، اليهودُ والنصارى ؟ قال : فَمَنْ؟» .

ولبقيٍّ بن مَخلد من حديث أبي سلمة ، عن أبي هريرة – رضي الله عنه – أن النبي ﷺ قال : «لَتَتَّبِعُنَّ سُنَنَ مَنْ كان قبلكم باعاً بباعٍ وذراعاً بذراعٍ وشبراً بشبرٍ حتى لو دخلوا جُحْرَ ضَبٍّ لَدخلتُم معهم . قالوا : يا رسولَ اللهِ ، اليهودُ والنصارى؟ قال: فَمَنْ؟ »[2] .

والله – سبحانه وتعالى – أعلم . وصلَّى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلَّم تسليماً كثيراً دائماً أبداً إلى يوم الدين ، والحمد لله رب العالمين[3] .

نجزَ من تحريرها العبدُ الفقيرُ محمد القطريّ في ثاني شهر ذي القعدة سنة

1– لم ترد (رضي الله عنه) في المخطوطة [و] ، ووردت في باقي المخطوطات .

2– انظر : السيوطي في (الجامع الكبير) م2 ص 1409 .

3– في المخطوطة [ب] (والله أعلم . تم وكمل بحمد الله وعونه وصلَّى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلَّم تسليماً كثيراً . آمين) .

1101هـ . خُتمت بخير [1] .

* * * *

1- لم ترد عبارة مماثلة في المخطوطة [ب] ، وعلى المخطوطة ختم حديث بيضاويٌّ لشخص اسمه محمود قنديل بدمياط ، وهو ناسخ المخطوطة [ت] على ما يبدو ، وإن كان خط المخطوطتين مختلفاً .

أما المخطوطة [ت] فقد وردت فيها العبارة التالية في صفحة مستقلة بآخرها (فى الأصل ما نصه: وقد نقلت هذه النسخة من نسخة نقلت من خط المؤلف في الخامس عشر من ذي القعدة سنة 1131هـ إحدى وثلاثين ومائة وألف . ونقلها الفقيرُ عليُّ بن السيد محمد الشبلاويّ غفر الله له ولوالديه ولجميع المسلمين والحمد لله رب العالمين) .

وهناك إشارة في صفحة أخرى إلى أن كاتبها محمود قنديل في محرم سنة 25 . والأرجح أنها 1325هـ (1906م) .

أما المخطوطة [ك] فقد وردت فيها العبارة التالية:

وقد انتهيت من نسخ هذه النسخة منسوخة من نسخة مكتوب بآخرها ما نصه : إنها منسوخة عن نسخة مكتوب بآخرها ما يأتي : تم كتاب النزاع والتخاصم فيما بين بني أمية وبني هاشم تأليف الشيخ الإمام العالم العلاّمة العمدة حافظ العصر ومؤرخ الوقت أبي العباس أحمد بن علي بن عبد القادر بن محمد بن تميم المقريزيّ الشافعيّ تغمّده الله تعالى برحمته وأسكنه فسيح جنته ، وأعاد علينا من فوائد علومه وبركته ، وجعله رفيقاً مع النبيين والصِّدِّيقين والشهداء والصالحين على التمام والكمال ، ونعوذ بالله من الزيادة والاختلال ، والحمد لله وحده وصلّى الله على من لا نبيَّ بعده محمد وآله وصحبه والتابعين . نقلت هذه النسخة من نسخة نقلت من خط المؤلف في خامس عشر ذي القعدة سنة 1131هـ إحدى وثلاثين ومائة وألف . كتبها الفقيرُ عليُّ بن السيد محمد الشبلاوي غفر الله له ولوالديه ولجميع المسلمين والحمد لله رب العالمين .

تمت كتابتها والحمد لله رب العالمين في يوم الأحد المبارك صبيحة المولد النبويّ الثاني عشر من شهر ربيع الأول سنة 1332هـ ألف وثلاثمائة واثنتين وثلاثين من هجرة سيد المرسلين ﷺ آمين. وكتبها المعتمد على ربه م1010 [التاريخ الهجريّ غير مذكور].

ويوافق ذلك من التاريخ المسيحيّ اليوم الثامن من شهر فبراير سنة 1914م .

وواضح من الخاتمة أن الأصل للمخطوطتين [ت ، ك] واحد .

رسَالة الجَاحِظ
في بَنِي أُميَّة

رسالة للجاحظ في بني أمية (•)

بسم الله الرحمن الرحيم

قال الجاحظ :

«أطالَ الله بقاءك ، وأتمَّ نعمته عليك ، وكرامته لك .

اعلمْ - أَرشَدَ الله أمرك - أن هذه الأمة قد صارت بعد إسلامها والخروج من جاهليتها إلى طبقات متفاوتة ومنازل مختلفة :

فالطبقة الأولى : عصر النبي ﷺ ، وأبي بكر ، وعمر - رضي الله عنهما - ، وست سنين من خلافة عثمان - رضي الله عنه - ، كانوا على التوحيد الصحيح والإخلاص المخلص [1] ، مع الأُلفة ، واجتماع الكلمة على الكتاب والسُّنَّة . وليس هناك عمل قبيح ، ولا بدعة فاحشة ، ولا نزعُ يدٍ من طاعة ، ولا حسدٌ ، ولا غلٌّ ، ولا تَأَوُّلٌ ؛ حتى كان الذي كان مِنْ قتلِ عثمان - رضي الله عنه - ، وما انتهك منه ، ومِنْ خبطِهم إياه بالسلاح ، وبعجِ بطنه بالحراب وفَرْيِ أوداجه بالمشاقص[2] ، وشدخِ هامته بالعُمُد ، مع كَفِّهِ عن البسط ، ونهيهِ عن الامتناع ، مع تعريفهِ لهم قبل ذلك

(•) ورد عنوان الرسالة في الأصل الذي رجعنا إليه وفي طبعة محمود عرنوس على النحو الذي أوردناه . أما في الأصل الذي نشر عنه الأستاذ عبدالسلام هارون فقد عنونت الرسالة بـ (رسالة لأبي عثمان عمرو بن بحر الجاحظ ، إلى أبي الوليد محمد بن أحمد بن أبي داود في النابتة). أما السيد عزت العطار الحسينيّ فقد نشرها بعنوان (رأي أبي عثمان بن بحر الجاحظ في معاوية والأمويين) .

1- في هامش الأصل (لعله المحض) .

2- المشاقص : مفردها مشقص . والمشقص من النِّصال : الطويل العريض . والمشقص : سهم ذو نصل عريض .

مِنْ كَمْ وجهٍ لا يجوز قتل مَنْ شَهِدَ الشهادة ، وصلَّى القبلة، وأكلَ الذبيحة ، ومع ضربِ نسائه بحضرته ، وإقحامِ الرجال على حُرمته ، مع اتقاءِ نائلة بنت الفرافصة [1] عنه بيدها ، حتى أطَنُّوا [2] إصبعين من أصابعها ، وقد كشفتْ عن قناعها ورفعتْ عن ذيلها ليكون ذلك ردعاً لهم ، وكاسراً مِنْ عزمهم ، مع وطئهم في أضلاعه بعد موته ، وإلقائهم على المزبلة جَسَدَهُ مجرَّداً بعد سحبه ، وهي الجزرة التي جعلها رسول الله ﷺ كفواً لبناته وأياماه وعقائله [3] ، بعد السَّبِّ ، والتعطيش، والحصر الشديد ، والمنع من القُوت ، مع احتجاجه عليهم ، وإفحامه لهم ، ومع اجتماعهم على أن دم الفاسق حرام كدم المؤمن إلا مَنِ ارتدَّ بعد الإسلام ، أو زَنَى بعد إحصان ، أو قتلَ مؤمناً على عمد ، أو رجلٌ عَدَا على الناس بسيفه فكان في امتناعهم عنه عطبةٌ ، ومع اجتماعهم على أن لا يُقتلَ من هذه الأمة مولى ، ولا يُجْهَزَ منها على جريح . ثم مع ذلك كله (دمروا)[4] عليه وعلى أزواجه وحُرَمِهِ ، وهو جالسٌ في محرابه ومصحفه يلوحُ في حِجْرِهِ لن يُرى أن موحِّداً (يُقْدِمُ) [5] على قتل من كان في مثل صفته وحاله .

لا جَرَمَ ؛ لقد احتلبوا به دماً لا تطيرُ رغوتُه ، ولا تسكنُ فورتُه ، ولا يموتُ

1- نائلة بنت الفرافصة : امرأة عثمان وهي نائلة بنت الفرافصة بن الأحوص بن عمرو بن ثعلبة ابن الحارث بن الحصن بن ضمضم بن عديّ بن جناب وكانت مسلمة وكان أبوها نصرانيًا . انظر : ابن سعد (طبقات) جـ8 ص 483، وابن حزم ص 456 .

2- أطنوا : قطعوا .

3- زوجات عثمان هنَّ : رُقَيَّة بنت رسول الله ﷺ ، وأم كلثوم بنت رسول الله ﷺ ، وفاختة بنت غزوان بن جابر ، وأم عمر بنت جندب ، وفاطمة بنت الوليد بن عبد شمس بن المغيرة ، وأم البنتين بنت عتبة بن حصن ، ورملة بنت ربيعة بن عبد شمس . انظر : ابن سعد (طبقات) جـ3 ص 504 .

4- في الأصل (دفروا) وقد صوبناه نقلاً عن عبد السلام هارون . ودمروا عليه أي : دخلوا عليه بدون استئذان ، ودفروا : دفعوا . ولا يستقيم المعنى هنا إلا بهذا التصويب .

5- في الأصل (تقدم) وقد ورد في هامش الأصل (لعله يقدم) ووردت في طبعة الحسينيّ وطبعة هارون (يقدم) دون إشارة في الهامش .

ثائرُه، ولا يكلُّ طالبُه ، وكيف يُضِيعُ اللهُ دمَ وليِّهِ [1] والمنتقم له ؟ وما سمعنا بدم بعد دم يحيى بن زكريا - عليهما السلام - غلا غليانُه ، وقُتل سَافِحُه ، وأُدركَ بطائلته ، وبلغ كلَّ محبته [2] كدمه رحمة الله عليه ، ولقد كان لهم في أخذه ، وفي إقامته للناس والاقتصاص منه ، وفي بيع ما ظهرَ من رياعه وحدائقه وسائر أمواله ، وفي حبسه بما بقي عليه ، وفي طَمْرِهِ حتى لا يُحَسَّ بذكره ما يغنيهم عن قتله ، إن كان قد ركبَ كل ما قذفوه به وادَّعوه عليه ، وهذا كله بحضرة جُلَّة المهاجرين والسَّلَف المتقدمين والأنصار والتابعين .

ولكنَّ الناس كانوا على طبقات مختلفة ، ومراتب متباينة : مِنْ قائلٍ ، ومِنْ شادٍّ على عضده ، ومِنْ * خاذلٍ عن نصرته . والعاجزُ ناصرٌ بإرادته ومطيعٌ بحسن نيته ، وإنما الشَّكُّ منا فيه وفي خاذله ، ومن أراد عزله والاستبدال به ، فأما قاتله والمُعِين على دمه والمُريد لذلك منه ، فَضُلَّالٌ لا شَكَّ فيهم ، ومُرَّاقٌ لا امتراءَ في حُكمهم ؛ على أن هذا لم يُعَدّ منهم : الفجورَ ؛ إما على سوءِ تأويلٍ وإما على تعمُّدٍ للشقاء .

ثم ما زالت الفتن متصلة والحروب مترادفة كحرب الجمل ، وكوقائع صِفِّين وكيوم النهروان ، وقبل ذلك يوم الزابوقة [3] ، وفيه أُسِرَ (ابنُ حنيف) [4] وقُتِلَ

1- أثبت الأستاذ عبد السلام هارون العبارة هكذا (وكيف يَضِيعُ دمّ اللهُ وليُّه) . وأشار في الهامش إلى اختلافها في الأصول التي رجع إليها .

2- في الأصل (كل محبته) وفي طبعة عبد السلام هارون (كل محنته) .

3- يوم الزابوقة ، أي : موقعة الجمل . والزابوقة هي موضع قرب البصرة وقعت فيه الموقعة .

4- في الأصل (ابن حنيفة) أما في الأصل الذي رجع إليه الأستاذ عبدالسلام هارون (أبو حنيف) ومصحَّحة في جميع كتب الطبقات على النحو الذي أوردناه ، وهو : عثمان بن حنيف بن واهب الأنصاريّ . انظر : ابن عبد البر م3 ص 1033 ، وابن حزم ص 336 . وابن خلكان جـ3 ص 18 ، 19 .

حكيمُ بن جبلة [1] . إلى أن قُتِلَ أشقاها عَلِيُّ بن أبي طالب - رضوان الله عليه - ، فأَسعدَهُ الله بالشهادة وأوجبَ لقاتلِهِ النارَ واللعنة .

إلى أن كان من اعتزال الحسن - عليه السلام - الحروب وتخليته الأمور عند انتثار أصحابه وما رأي من الخلل في عسكره ، وما عرف من اختلافهم على أبيه وكثرة تَلوُّنهم عليه ، فعندها استوى معاوية على المُلك ، واستبدَّ على بقية الشورى وعلى جماعة المسلمين من الأنصار والمهاجرين في العام الذي سَمَّوْهُ «عام الجماعة» ، وما كان عامَ جماعة ، بل كان عامَ فُرقة وقهر وجبرية وغَلَبة ، والعام الذي تحولت فيه الإمامة مُلكاً كِسْرَوِيًّا ، والخلافة غصباً قيصريًّا ، ولم يُعَدّ ذلك أجمعَ الضلال والفسق .

ثم ما زالت معاصيه من جنس ما حكينا ، وعلى منازل ما رتَّبنا حتى رَدَّ قضية رسول الله ﷺ ردًّا مكشوفاً وجحدَ حكمه جحداً ظاهراً في ولد الفراش وما يجب للعاهر [2] . مع اجتماع [3] الأُمَّة أن سُميَّة لم تكن لأبي سفيان فراشاً ، وأنه إنما كان بها عاهراً ، فخرجَ بذلك من حكم الفُجَّار إلى حكم الكُفَّار .

وليس قتلُ حجرِ بن عَدِيّ [4] - وإطعامُ عمرو بن العاص خَرَاجَ مصر ، وبيعةُ يزيدَ الخليع ، والاستئثارُ بالفيء ، واختيارُ الولاة على الهوى ، وتعطيلُ الحدود بالشفاعة والقرابة - مِنْ جنسِ جَحْدِ الأحكام المنصوصة والشرائع المشهورة والسُّنن المنصوبة .

1- حكيم بن جبلة بن حصين العبريّ من بني عبد القيس ، صحابيٌّ من عمال عثمان على السند، وكان ممن عابوا عثمان من أجل عبد الله بن عامر وغيره من عماله وانضم إلى عليّ فيما بعد. انظر ترجمته : ابن عبد البر ، م1 ص 336 - 369 ، والذهبي (دول الإسلام) جـ1 ص18 ، وابن حجر (تهذيب التهذيب) جـ2 ص 164 .

2- على هامش المخطوطة (ونص الحديث : الولد للفراش وللعاهر الحَجَر) .

3- في الأصل الذي رجع إليه الأستاذ عبد السلام هارون (إجماع) وهو ما أثبته .

4- حجر بن عديّ بن الأدبر الكنديّ ، قتله معاوية بن أبي سفيان سنة 51هـ . انظر ترجمته : ابن عبد البر ، م1 ص 329 - 332 .

وسواء في باب ما يستحقُّ من (الإكفار)[1] جَحْدُ الكتاب وردُّ السُّنَّة ، (إذْ)[2] كانت السُّنَّة في شهرة الكتاب وظهوره ، إلا أن أحدهما أعظم ، وعقاب الآخرة عليه أشد . فهذه أول كفرة كانت من الأمة . ثم لم تكن إلا فيمن يدَّعي إمامتها والخلافة عليها ، على أن كثيراً من أهل ذلك العصر قد كفروا بترك إكفاره ، وقد أَرْبَتْ عليهم نابتةُ [3] عصرنا ومبتدعةُ دهرنا فقالت : «لا تَسبُّوه فإن له صحبةً ، وسَبُّ معاوية بدعة ، ومن يُبغضه فقد خالفَ السُّنَّة » . فزعمتْ أنَّ من السُّنَّة تركَ البراءة ممن جَحَدَ السُّنَّة .

1- في الأصل (الكفار) وفي طبعة الأستاذ عبد السلام هارون مثل ما أثبتناه .

2- في الأصل (إذا) وفي جميع الطبعات مثل ما أثبتناه .

3- النابتة في اللغة هم الجيل الناشئ الجديد ، وقد استُخدم اصطلاح النابتة للدلالة على الفئة الجديدة التي بدأت تظهر في القرن (الثالث الهجري / التاسع الميلادي) والتى أخذت موقفاً معادياً للعباسيين وسياستهم نحو العلويين وآرائهم والمعتزلة ومذهبهم ، وقد اتخذ النابتة من الولاء الأمويّ رمزاً لمعارضتهم ، خاصة الولاء لمعاوية بن أبي سفيان .

ولم يقتصر ظهور النابتة على الشام معقل الحكم الأمويّ ، بل انتشر إلى العراق ، كما دعا المأمون والمعتضد إلى الأمر بلعن معاوية والأمويين على المنابر ولكن هذا الإجراء لم يُنفَّذ خوفاً من استفادة الشيعة منه .

وقد كانت رواية الأحاديث التي تُعدِّد فضائل معاوية والأمويين صورة من صور معارضة العباسيين ، ومن الذين عُرفوا بذلك موسى بن عُبيد الله بن خاقان ، ويحيى بن غالب ، وأبو عمر الزاهد المعروف بغلام ثعلب .

وقد كانت النابتة من الفرق والمذاهب السُّنِّيَّة التي اعتمدت المنطق وعلم الكلام ، وحاولت جاهدة التقليل من أثر المعتزلة الفكريّ ، ونجحوا في جذب جمهور واسع من العامة ، لذلك لم يعد النزاع كما كان من قبل نزاعاً بين الفقهاء والمحدِّثين التقليديين والمعتزلة ، بل أصبح نزاعاً بين المتكلمين من المعتزلة والمتكلمين من أعداء المعتزلة .

وقد انتشرت النابتة والفئات المتشيعة للأمويين في بلاد فارس وتطور مذهبهم حتى صاروا يقدِّسون معاوية ويزيد ، وإن كان النابتة قد وصلوا إلى هذا التطرف في فترة تالية لتلك التي كتب فيها الجاحظ رسالته .

انظر: الفاروق عمر ، العباسيون الأوائل جـ1 ص 137 ، ط2 ، بغداد 1977م ، ص 98 – 102، 302 – 308 .

ثم الذي كان من يزيد ابنه ، ومن عماله وأهل نصرته ، ثم غزو مكة ، ورمي الكعبة ، واستباحة المدينة ، وقتل الحسين - عليه السلام - في أكثر أهل بيته ، مصابيح الظلام وأوتاد الإسلام ، بعد الذي أَعطى من نفسه من تفريق أتباعه والرجوع إلى داره وحرمه ، أو الذهاب في الأرض حتى لا يُحَسَّ به ، أو المقام حيث أُمِرَ به ، فأَبَوا إلَّا قَتْلَهُ ، والنزول على حكمهم ، وسواء قتلَ نفسه بيده أو أسلمها إلى عدوِّه ، وخَيَّرَ فيها من لا يبرد غليله إلا بشرب دمه . فأَحْسَبُ قتله ليس بكفر ، وإباحة المدينة وهتك الحرمة ليس بِحُجَّةٍ!! كيف تقولون [1] في رمى الكعبة وهدم البيت الحرام وقبلة المسلمين ؟!! فإن * قلتم ليس ذلك أرادوا ، بل إنما أرادوا المُتحرِّزَ به والمُتحصِّنَ بحيطانه ، أفما كان من حق البيت وحَرَمِهِ أن يحصروه فيه إلى أن يُعْطِي بيده ، وأيُّ شيء بقي من رجلٍ قد أُخذت عليه الأرض إلا موضع قدمه ؟!!

وأحسبُ ما رَوَوْا عليه من الأشعار التي قَوْلُها [2] شِرْكٌ والتمثُّلُ بها كُفْرٌ ، شيئاً مصنوعاً ، كيف تصنع [3] بنقر القضيب بين ثَنِيَّتي الحسين - عليه السلام -، وحمل بنات رسول الله ﷺ حواسرَ على الأقتاب العارية ، والإبل الصعاب ، والكشف عن عورة عليِّ بن الحسين عند الشك في بلوغه ، على أنهم إن وجدوه وقد أنبتَ قتلوه ، وإن لم يكن أنبتَ حملوه كما يَصنعُ أميرُ جيش المسلمين بذراري المشركين ؟! وكيف تقول[4] في قول عُبيد الله بن زياد لإخوته وخاصَّته : دعوني أَقْتُلْهُ فإنه بقية هذا النسل ، فأَحْسِمَ به هذا القرن ، وأُمِيتَ به هذا الداء ، وأقطعَ به هذه المادة ..؟!!

1- في الأصل الذي رجع إليه الأستاذ عبد السلام هارون (تقول) .
2- المقصود هنا أبيات ابن الزبعرى التي قالها يوم أُحُد .
3- في طبعة الأستاذ عبد السلام هارون (يُصنع) .
4- في طبعة الأستاذ عبد السلام هارون (تقولون) .

خَبِّرونا عَلَامَ تدل هذه القسوة ، وهذه الغلظة بعد أن شَفَوا أنفسهم بقتلهم ، ونالوا ما أَحبُّوا فيهم ؟! أَتدلُّ على نَصَبٍ وسوء رأي وحقد وبغضاء ونفاق ، وعلى يقين مدخول ، وإيمان مخروج [1] ، أم تدل على الإخلاص وعلى حب النبي ﷺ والحفظ له ، وعلى براءة الساحة وصحة السريرة ؟!!

فإن كان على ما وصفنا لا يعدو الفسق والضلال - وذلك أدنى منازله ، فالفاسقُ ملعونٌ ، ومَنْ نَهَى عن لعن الملعون فملعونٌ .

وزعمتْ نابتةُ عصرنا ، ومبتدعةُ دهرنا ، أن سَبَّ ولاة السوء فتنةٌ ، ولعنَ الجَوَرَة بدعةٌ ، وإن كانوا يأخذون السَّمِيَّ بالسَّمِيِّ ، والوليَّ بالوليِّ ، والقريبَ بالقريبِ ، وأخافوا الأولياء ، وأَمَّنوا الأعداء ، وحكموا بالشفاعة والهوى ، وإظهار القدرة والتهاون بالأمة ، والقمع للرَّعِيَّة ، وأنهم في غير مُداراة ولا تَقِيَّة ، وأنه عدا ذلك إلى الكفر و (جاوز) [2] الضلال إلى الجحد ، فذلك أضلُّ من الجحد لمن كَفَّ عن شتمهم والبراءة منهم .

على أنه ليس مَنِ استحقَّ اسم الكفر بالقتل ، كمن استحقَّه بردِّ السُّنَّة وهدم الكعبة ، وليس مَنِ استحقَّ اسم الكفر بذلك كمن شَبَّهَ اللهَ بِخَلْقِه ، وليس مَنِ استحقَّ الكفرَ بالتشبيه كمنِ استحقَّهُ بالتجوير [3] . والنابتة في هذا الوجه أكفر مِنْ يزيدَ وأبيه ، وابن زياد وأبيه ، ولو ثبتَ أيضاً على يزيدَ أنه تمثَّل بقول ابن الزِّبَعْرَى [4] :

ليتَ أشياخي ببدرٍ شَهِـدُوا	جَزَعَ الخزرجِ مِنْ وَقْعِ الأَسَلْ
لاَ سْتَطالـوا واستهلُّوا فَرَحاً	ثُـمَّ قالـوا يا يزيـدُ لا تَسَلْ
قَدْ قَتلنا الغُـرَّ مِنْ سَاداتِهِمْ	وعَـدَلْنَـاهُ ببـدرٍ فَاعْتَـدَلْ

1- في طبعة الأستاذ عبد السلام هارون (ممزوج) .
2- في الأصل (جواز) أما في طبعة الأستاذ عبدالسلام هارون فهي على النحو الذي أثبتناه.
3- في هامش الأصل (بالراء المهملة كذا بالأصل) .
4- عبد الله بن الزبعرى بن قيس بن عَدِيّ . انظر : ابن عبد البر (القسم الأول) ص 901 .

كان تجوير النابتيِّ لربه ، وتشبيهه بِخَلْقِهِ ، أعظم من ذلك وأفظع . على أنهم مجمعون على أنه ملعون مَنْ قتلَ مؤمناً متعمِّداً أو متأوِّلاً . فإذا كان القاتل سلطاناً جائراً ، أو أميراً عاصياً ، لم يستحلُّوا سَبَّهُ ولا خلعه ولا نفيه ولا عيبه - وإنْ أخافَ الصلحاءَ ، وقتلَ الفقهاءَ ، وأجاعَ الفقيرَ ، وظلمَ الضعيفَ ، وعَطَّلَ الحدودَ والثغورَ ، وشربَ الخمورَ وأظهرَ الفجورَ -!!

ثم ما زال الناس يتكدَّرون * مرة ، ويداهنونهم مرة ، ويقاربونهم مرة ، ويشاركونهم مرة ، إلا بقية ممن عصمه الله تعالى ذكره ، حتى قام عبد الملك بن مروان وابنه الوليد وعاملهما الحَجَّاجُ ومولاه يزيد بن [أبي مسلم] [1] [فأغاروا] على البيت بالهدم ، وعلى حرم المدينة بالغزو ، فهدموا الكعبة ، واستباحوا الحرمة وحوَّلوا قبلة واسط ، وأخَّروا صلاة الجمعة إلى مغيربان الشمس . فإن قال رجل لأحدهم : «اتَّقِ الله فقد أَخَّرْتَ الصلاةَ عن وقتها» .. قَتَلَهُ على هذا القول جهاراً غير ختلٍ [2] ، وعلانيةً غير سِرٍّ . ولا يعلم القتل على ذلك إلا أقبح من إنكاره ، فكيف يكفر العبد بشيء ولا يكفر بأعظم منه !! وقد كان بعض الصالحين ربما وعظَ [بعضَ] [3] الجبابرة وخوَّفه العواقب ، وأراه أن في الناس بقية ينهون عن الفساد في الأرض ، حتى قام عبدُ الملك بن مروان والحَجَّاجُ فَزَجَرَا عن ذلك وعَاقَبَا عليه وقَتَلَا فيه ، فصاروا لا يَتناهون عن منكرٍ فعلوه .

فأحسبُ تحويلَ القبلة كان غلطاً ، وهَدْمَ البيت كان تأويلاً . وأحسبُ ما رووا من كل وجه أنهم كانوا يزعمون أن خليفة المرء في أهله أرفع عنده من رسوله إليهم ، باطلاً و [مصنوعاً] [4] مولَّداً . وأحسبُ وَشْمَ [5] أيدي المسلمين ،

1- في الأصل (يزيد بن أبي مسلمة) ، والصحيح : يزيد بن أبي مسلم ، وهو يزيد بن أبي مسلم دينار الثقفيّ . انظر : ابن خلكان جـ 6 ص 309 - 312 .

2- ختل ، أي : خداع .

3- ليست في الأصل ، وقد أضافها الأستاذ عبد السلام هارون حتى يتسق المعنى .

4- في الأصل (مسموعاً) ، أما في طبعة الأستاذ عبد السلام هارون فهي على النحو الذي أثبتناه .

5- وشمَ الشيءَ : كواه فأثر فيه بعلامة .

ونَقْشَ أيدي المسلمات ، وردَّهم بعد الهجرة إلى قراهم [1] ، وقتلَ الفقهاء ، وسَبَّ أئمة الهدى ، والنَّصَبَ لعترة رسول الله ﷺ لا يكون كفراً ، كيف تقول في جمع ثلاث صلوات فيهنَّ الجمعة ، ولا يصلُّون أُولاهنَّ حتى تصير الشمس على أعالي الجدران كالملأ المعصفر فإن نَطَقَ مسلمٌ خُبِطَ بالسيف ، وأخذته العُمُد وشُكَّ بالرماح ، وإن قال قائل : «اتَّقِ الله» .. أخذته العزة بالإثم ، ثم لم يرضَ إلا بنثر دماغه على صدره وبِصَلْبِهِ حيث تراه عياله ؟!!

ومما يدلك على أن القوم لم يكونوا إلا في طريق التمرد على الله عَزَّ وجَلَّ، والاستخفاف بالدين والتهاون بالمسلمين ، والابتذال لأهل الحق ، أَكْلُ أمرائهم الطعام وشربهم الشراب على منابرهم أيامَ جُمَعِهِم وجُموعهم ، فَعَلَ ذلك حسنُ بن ولجة[2]، وطارفُ مولى عثمان ، والحَجَّاجُ وغيرهم ، وذلك إن كان كفراً كله، فلم يبلغ كفرَ نابتةِ عصرنا ، وروافضِ دهرنا ، لأن جنس كفر هؤلاء غير كفر أولئك!!

وكان اختلاف الناس في القَدَر على أن طائفة تقول : «كل شيء بقضاء وقَدَر» . وتقول طائفة أخرى : «كل شيء بقضاء وقَدَر إلَّا المعاصي» . ولم يكن أحد يقول : «إن الله يعذِّبُ الأبناءَ ليغيظَ الآباءَ» ، «وإن الكفرَ والإيمانَ مخلوقانِ في الإنسان مثل العمى والبصر» . و [كانت] [3] طائفة منهم تقول : «إن الله يُرَى» - لا تزيد على ذلك - ، فإن خافت أن يُظَنَّ بها التشبيه قالت : «يُرَى بلا كيف» - تَعَرِّياً من التجسيم والتصوير - .. حتى نبتت هذه النابتة * وتكلمت هذه الرافضة ، [فجعلتْ له] جسماً ، وجعلتْ له صورةً وحَدًّا ، وكفَّرتْ من قال بالرؤية على غير التجسيم والتصوير [4]. ثم زعمَ أكثرهم أن كلامَ الله حَسَنٌ وَبيِّنٌ ، وحُجَّةٌ

1- في الأصل الذي رجع إليه الأستاذ عبد السلام هارون (القرى) .

2- انظر : ابن حزم ص 228 . والصحيح : حبيش بن ولجة القينيّ .

3- في الأصل (وكان) .

4- في طبعة الأستاذ عبدالسلام هارون وردت على النحو التالي : (حتى نبتت هذه النابتة وتكلمت هذه الرافضة ، فثبتت له جسماً ، وجعلت له صورةً وحَدًّا وآل من قال بالرؤية على غير الحقيقة) دون إشارة إلى اختلاف في المخطوطات .

وبرهانٌ، وأن التوراة غير الزبور ، والزبور غير الإنجيل ، والإنجيل غير القرآن ، والبقرة غير آل عمران ، وأن الله تولَّى تأليفه وجعله برهاناً على صدق رسوله ، وأنه لو شاء أن يزيدَ فيه زادَ، ولو شاء أن ينقصَ منه نَقَصَ ، ولو شاء أن يُبَدِّلَهَ بَدَّلَهُ ، ولو شاء أن ينسخه كله لغيرِهِ نَسَخَهُ ، وأنه أنزله تنزيلاً ، وأنه فَصَّلَهُ تفصيلاً ، وأنه بالله كان دون غيره ولا يقدر عليه إلَّا هو ، غير أن الله مع ذلك كله لم يخلقه .. فأعطوا جميعَ صفاتِ الخَلْقِ ومَنعوا اسمَ الخَلْق !!

والعجب أن الخَلْق عند العرب إنما هو التقدير نفسه ، فإذا قالوا : خَلَقَ كذا وكذا ، أي : قَدَّرَهُ ؛ ولذلك قال : ﴿أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ﴾ [1] وقال : ﴿وَتَخْلُقُونَ إِفْكًا﴾ [2][3] وقال: ﴿وَإِذْ تَخْلُقُ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ﴾ [4] ، تقديره : صَنَعَهُ وجَعَلَهُ وقَدَّرَهُ وأَنْزَلَهُ وفَصَّلَهُ وأَحْدَثَهُ . ومَنعوا خَلْقَهُ وليس تأويلُ خَلْقِهِ أكثرَ مِنْ قَدَرِهِ . ولو قالوا بدلَ قولهم «قدَّره ولم يخلقه» «خَلَقَهُ ولم يقدِّره» ما كانت المسألة عليهم إلَّا من وجه واحد!!

والعجب أن الذي منعه - بزعمهم - أن يزعم أنه مخلوق ، أنه لم يسمع ذلك من سَلَفِهِ ، وهو يعلم أنه لم يسمع أيضاً من سَلَفِهِ أنه ليس بمخلوق ، وليس ذلك يهم ، ولكن لمَّا كان الكلام من الله تعالى عندهم على مثل خروج الصوت من الجوف وعلى جهة تقطيع الحروف وإعمال اللسان والشفتين ، وما كان على غير هذه الصورة والصفة فليس بكلام ، ولمَّا كُنَّا عندهم على غير هذه الصفة وكُنَّا لكلامنا غير خالقين ، وَجَبَ أن الله عَزَّ وجَلَّ لكلامه غيرُ خالقٍ - إذْ كُنَّا غير خالقين

1- وردت في سورة المؤمنون ، مكية (23) من الآية (14) ﴿فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ﴾ وفي سورة الصافات ، مكية (37) الآية (125) ﴿أَتَدْعُونَ بَعْلًا وَتَذَرُونَ أَحْسَنَ الْخَالِقِينَ﴾ .

2- في الأصل (يخلقون) ، وهو خطأ .

3- سورة العنكبوت ، مكية (29) الآية (17) ﴿إِنَّمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ أَوْثَانًا وَتَخْلُقُونَ إِفْكًا﴾ .

4- سورة المائدة ، مدنية (5) من الآية (110) .

لكلامنا - .. فإنما قالوا ذلك لأنهم لم يجدوا بين كلامنا وكلامه فَرْقاً ، وإن لم يُقِرُّوا بذلك بألسنتهم . فذلك معناهم وقصدهم !!

وقد كانت هذه الأمة لا تُجاوِزُ معاصيها الإثمَ والضلالَ ، إلا ما حكيتُ لك عن بني أُميَّة وبني مروان وعُمَّالهم ومن لم يُدَنْ بإكفارهم ، حتى نجمتِ النوابتُ وتابعتها هذه العَوامُّ ، فصار الغالب على هذا القرن الكفر - وهو التشبيه والجَبْر - ؛ فصار كُفرهم أعظمَ مِنْ كفرِ مَنْ مَضَى في الأعمال التي هي الفسق ، [وصاروا] [1] شركاءَ مَنْ كفرَ منهم بتولِّيهم وتركِ إكفارهم . قال الله عَزَّ وجَلَّ : ﴿وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُۥ مِنْهُمْ﴾ [2].

وأرجو أن يكون الله قد أغاثَ المحقِّين ورحمهم ، وقوَّى ضَعْفَهم و كثَّر قِلَّتهم حتى [صار] [3] ولاة أمرنا في هذا الدهر الصعب ، والزمن الفاسد أشدَّ استبصاراً في التشبيه من عِلْيتنا ، وأعلمَ بما يلزم فيه مِنَّا وأَكْشَفَ للقناع من رؤسائنا ، وصادقوا الناس * وقد انتظموا معاني الفساد أجمع . وبلغوا غايات البدع . ثم قرنوا بذلك العصبيَّة التي هلكَ بها عالم بعد عالم ، والحميَّة التي لا تُبقي دِيناً إلا أفسدته ، ولا دنيا إلا أهلكتها ، وهو ما صارت إليه العجم من مذهب الشُّعُوبيَّة ، وما قد صار إليه الموالي من الفخر على العجم والعرب ، وقد نجمتْ من الموالي ناجمةٌ ، ونبتتْ منهم نابتةٌ تزعم أن المولى بولائه قد صار عربيًّا ؛ لقول النبي ﷺ : «**مَوْلَى القومِ منهم**» [4] . ولقوله : «**الولاءُ لُحْمَةٌ كَلُحْمَةِ النَّسَبِ لا يُباعُ ولا يُوهَبُ**» [5] . قال: فقد علمنا أن العجم حين كان فيهم المُلك والنبوَّة كانوا أشرف من العرب ، ولما حُوِّلَ ذلك إلى العرب ، صارت العربُ أشرفَ منهم .

1- لم ترد في الأصل ، وكذلك أضافها الأستاذ عبدالسلام هارون حيث لم ترد في الأصل الذي رجع إليه .

2- سورة المائدة ، مدنية (5) من الآية (51) .

3- في الأصل (صاروا) وقد صحَّحها الأستاذ عبدالسلام هارون في طبعته .

4- انظر : فنسنك : (مفتاح كنوز السنة) ص 487 .

5- انظر : فنسنك : المرجع نفسه ص 487 .

قالوا : «فنحن معاشر الموالي بقديمنا في العجم أشرفُ من العرب ، وبالحديث الذي صار لنا في العرب أشرفُ من العجم ، [وللعجم] القديم دون الحديث وللعرب الحديث دون القديم [1] ، ولنا خصلتان جميعاً وافرتان فينا ، وصاحبُ الخصلتين أفضلُ من صاحب الخصلة .

وقد جعل الله المولى بعد أن كان عجميًّا عربيًّا بولائه ، كما جعل حليفَ قريش من العرب قرشيًّا بحلفه . وبعد أن جعل إسماعيلَ - وكان أعجميًّا - عربيًّا[2]، ولولا قول النبي ﷺ : «**إنَّ إسماعيلَ كانَ عربيًّا**» ما كان عندنا إلا أعجميًّا ، لأن [الأعجميَّ] لا يصير عربيًّا كما أن العربيَّ لا يصير أعجميًّا . فإنما علمنا أن إسماعيل صَيَّره الله عربيًّا بعد أن كان أعجميًّا بقول النبي ﷺ ؛ فكذلك حكم قوله: «**مَوْلَى القومِ مِنهم**» ، وقوله : «**الولاءُ لُحْمَةٌ ...**» .

قالوا : «وقد جعل اللهُ إبراهيمَ [- عليه السلام -] أباً لمن لم يَلِدْ [3] ، كما جعله أباً لمن وَلَد . وجعلَ أزواجَ النبيِّ أمهاتِ المؤمنين ولم يلدنَ منهم أحداً ، وجعل الجارَ والدَ مَنْ لم يلد ، في قولٍ غير هذا كثير ، قد أتينا عليه في موضعه .

وليس أَدْعَى إلى الفساد ولا أَجْلَبَ للشَّرِّ من المُفاخرة - وليس على ظهرها إلا فَخُور - .

وأيُّ شيءٍ أَغْيَظُ من أن يكون عَبْدُكَ زعمَ أنه أشرفُ منك - وهو مُقِرٌّ أنه صار شريفاً بِعِتْقِكَ إياه -!!

وقد كتبتُ - مَدَّ الله في عمرك - كتباً في مفاخرة قحطان ، وفي تفضيل عدنان ، وفي ردِّ الموالي إلى مكانهم في الفضل والنقص ، وإلى قَدْر ما جعل الله

1- في الأصل (وللعرب القديم دون الحديث) وقد صحَّحناه حتى يستقيم المعنى وصححها عزت العطار (وللعرب الحديث دون القديم وللعجم القديم دون الحديث) .

2- عند الأستاذ عبدالسلام هارون (وجعل إسماعيل بعد أن كان أعجميًّا عربيًّا) .

3- إشارة إلى القول بأن إبراهيم أبو الأنبياء .

تعالى لهم بالعرب من الشرف . أرجو أن يكون عدلاً بينهم وداعيةً إلى صلاحهم ومنبهةً عليهم ولهم .

وقد أردتُ أن أُرسل بالجزء الأول إليك ثم رأيتُ ألا يكون إلا بعد استئذانك واستئمارك والانتهاء في ذلك إلى رغبتك ، فرأيك فيه [1] موفَّق إن شاء الله تعالى[2] وبه الثقة .

(تمت) [3]

****

1- عند الأستاذ عبد السلام هارون (فيك) .
2- عند الأستاذ عبد السلام هارون (الله عز وجل) .
3- عند الأستاذ عبد السلام هارون وردت الخاتمة على النحو التالي :
(تمت الرسالة من كلام أبي عثمان عمرو بن بحر الجاحظ رحمه الله ، إلى أبي الوليد محمد بن أحمد بن أبي داود في النابتة ، والله الموفِّق للصواب .

محتويات الكتاب

مقدمة التحقيق 7

مقدمة المؤلف 33

الغرض من تأليف الكتاب 33

مثالب بني أمية 35

فى أصل المنافرة بين بني هاشم وبني أمية 49

عداوتهم للرسول والإسلام 57

- أبو أُحَيْحَة 59

- عُقبة بن أبي مُعيط 59

- الحكم بن أبي العاص 60

- مروان بن الحكم 63

- عتبة بن ربيعة 65

- الوليد بن عتبة 67

- شيبة بن ربيعة 68

- أبو سفيان صخر 68

- معاوية بن المغيرة 73

- حمَّالة الحطب 74

إبعاد الرسول ﷺ لبني أمية عنه وإخراجهم من ذوي قرباه 77

فصل [تولية الرسول ﷺ أعماله لبني أمية] 91

فصل [بنو هاشم وولاية الأعمال]..... 107
فصل [سبب خروج الخلافة بعد الرسول ﷺ عن علي بن أبي طالب]... 115
فصل [تولِّي بني العبَّاس الخلافة]..... 121
فصل [الخلافة الإسلامية والمِلَّة الموسوية] 139
- بنو إسرائيل..... 142
- نسب النبيّ ﷺ..... 143
فصل [خاتمة]..... 147
رسَالة الجَاحِظ في بَنِي أُميَّة..... 151